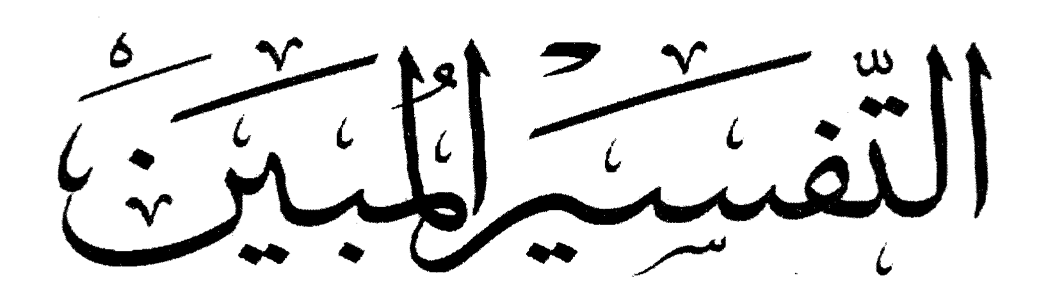


ألّفه وكتبه :

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد السادس

ح مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٦مج
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٠-٧ (مجموعة)
٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٦-٩ (ج٦)
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩/٣٦١٤

رقم الايداع : ١٤٢٩/٣٦١٤
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٠-٧ (مجموعة)
٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٦-٩ (ج٦)

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من
الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض
هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء

مكية وآياتها مائة واثنتا عشرة آية

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ (١) مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ (٢) لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٤) بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ (٥) مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ (٦)﴾

بيان الآيات:

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن حساب الناس قد اقترب والمراد به يوم القيامة ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: وهم ساهون عنها غير مستعدين لأهوالها ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ﴾ أي: ما يأتيهم من قرآن حديث النزول إلا استمعوا إليه ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ أي: مستهزؤون به معرضون عنه، وإذا كان المراد الناس هنا في عمومهم، فالمراد به

كفار مكة في خصوصهم ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: مشغولة عقولهم بالباطل والإعراض عن الحق ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: تناجى المشركون بينهم بتكذيب رسول الله ﷺ والكيد له وإيذائه ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ المراد به: رسول الله ﷺ والمعنى قولهم إنه ليس بنبي لأنه بشر مثلكم وليس له من ميزة أو صفة عنكم ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: إن ما جاء به محمد هو سحر فكيف تأتون إليه وتصدقونه وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم.

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قال محمد ربي الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض يعلم سركم ونجواكم وتكذيبكم وكيدكم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: لكل ما قلتم، وهذا توبيخ ووعيد لهم ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هذا بيان عن اصرارهم على أقوالهم وكذبهم، فتارة يقولون عن رسول الله ﷺ إنه كاهن، وتارة يقولون إنه ساحر، وتارة يقولون: إن القرآن الذي يقوله هو أوهام من الأحلام وأنه كذب من عنده. وتارة يقول فريق منهم إنه شاعر وإن ما يقوله مجرد شعر من عنده ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: إن كان صادقا فليأت لنا بآية، كما أتى موسى بالعصا وأتى غيره من الأنبياء

بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ أي: ما آمنت القرى التي أرسل إليها الرسل كقوم هودٍ وصالح بل كذبوا فأهلكناهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هل يؤمن هؤلاء بالآيات لو جاءتهم؟ كلا لن يؤمنوا وإنما هم يدَّعون ذلك ولو كانوا يؤمنون حقا كما ادعوا لوجدوا أن الآيات والبراهين قد جاءتهم على يد رسول الله ﷺ فما آمنوا وما اهتدوا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان عن قرب قيام الساعة كما قال عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١]. وقوله ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[٢]. ومن الأحكام: بيان عداوة المشركين للرسالة وتكذيبهم لرسول الله ﷺ ووصفهم له بأسوأ الأوصاف وادعائهم عدم وجود آية يصدقونها كما قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[٣]. ومنها: أن الأمم قد لا تصدق بالمعجزات التي تأتي بها رسلهم فيكون ذلك سببا في هلاكهم كما حدث للأمم البائدة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ

---

(١) سورة القمر الآية ١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٣) سورة الفرقان من الآية ٩ .

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ لما قال المشركون: كيف نؤمن بمحمد وهو بشر مثلنا؟ فنّد الله قولهم بأن الرسل التي أرسلت قبله كانوا رجالا ولم يكونوا ملائكة ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: اسالوا أهل التوراة والإنجيل وغيرهم من الأمم التي أرسلت لهم الرسل الذين كنتم تسألونهم عن محمد، وسيخبرونكم أن رسلهم كانوا بشرا وليسوا ملائكة ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: لم نجعل لهم صفة غير صفة البشر، فكانوا يأكلون الطعام ويشربون الماء ويعملون ويسيرون في الأسواق مع الناس كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾[1]. قوله ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ أي: ولم يكونوا مخلدين في الدنيا، بل يموتون مثلهم مثل سائر البشر كما قال عزوجل

(١) سورة الفرقان من الآية ٢٠ .

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾(١). وقوله عز ذكره ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٢).

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ المراد الأنبياء أي: أنجيناهم من شرار قومهم ونصرناهم وأهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي: وأنجينا أتباعهم الذين صدقوهم وآمنوا بما جاؤوهم به ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: أهلكنا الذين كذبوهم ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ المراد به القرآن العظيم وفيه خيركم وأحكامكم وشرعكم ومحاسن أخلاقكم، بل وشرفكم في الدنيا والآخرة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تشكرون هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم لكي يزيدكم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله ما أرسل رسلا إلى الناس إلا بشرا مثلهم، ولا يختلفون عنهم إلا في أن الله اصطفاهم لإبلاغ رسالته إلى أممهم. ومنها: وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلمه السائل من أمر الدنيا أو الآخرة. ومنها: أن الله قد صَدَقَ رسله وأتباعهم ما وعدهم به من النصر على أعدائهم وإهلاك الذين كذبوهم. ومنها: أن الله عز وجل أنزل القرآن على رسوله ليكون شرعا ومنهاجا لأمته

(١) سورة الأنبياء من الآية ٣٤ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٣١ .

في قضاياها ونوازلها ومحاسن أعمالها وفيه تشريف لها كما قال عزوجل ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾[١].

﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ (١٢) لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ (١٣) قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ أي: لقد أهلكنا قرى كثيرة كانت ظالمة بما كذبت به رسلها وتولت عن آيات الله ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: أتينا بعد هلاكهم بأمم أخرى ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ أي: لما رأوا العذاب قد حاق بهم ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ أي: يهربون ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ﴾ المراد أن الملائكة تقول لهم حينئذٍ استهزاء بهم لا تهربوا من العذاب، وعودوا إلى ما كنتم فيه من الرفاهية في المأكل والمسكن ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ أي: تقول لهم استهزاء بهم لعلكم تؤمنون كما كنتم تسألون ذلك قبل أن ينزل العذاب بكم ﴿قَالُواْ

(١) سورة الزخرف من الآية ٤٤ .

يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ هذا ندم منهم على ما ارتكبوه من الذنوب.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ أي: ما زالوا يقولون يا ويلنا إنا كنا ظالمين. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ أي: ميتين لا حراك لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: سوء عاقبة الظلم وما يصيب أصحابه من الهلاك، سواء كانوا أفرادا أم أمما. ومنها: مشروعية السخرية والتشفي من الظلمة إذا حل بهم العذاب. ومنها: حسرة الظلمة عندما يرون العذاب يحيق بهم ويعرفون أنهم لا محالة ملاقوه.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه ما خلق السموات والأرض عبثا كما زعم الذين كفروا، وإنما خلقهما لإقامة العدل والحق ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ أي: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا كما زعم المشركون أن الملائكة بنات الله

﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من عندنا ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: ما كنا فاعلين ذلك ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: نرمي بالحق على الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائل ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: لكم الويل -وهو واد في جهنم- أيها القائلون إن لله ولدا ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له كل شيء فيهما يتصرف فيه بإرادته وحكمته ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ المراد بهم الملائكة الذين لا يستنكفون عن عبادته ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يملون من التسبيح بحمده، فهم يعبدونه ليلا ونهارا. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي: يذكرون الله في الليل والنهار دون أن يملوا ويسأموا فلا يشغلهم شاغل عن التسبيح والتحميد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان من الله عز وجل أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما عبثا بل خلق ذلك لحكمة أحكمها وقدر قدَّره وهو مقدس ومنزه عن العبث كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. ومن الأحكام: أن الله قذف بالحق وهو القرآن على الباطل، فاندحض وزال وهو عبادة الأصنام والأوثان.

---

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

ومنها: تقرير أن الملائكة يعبدون الله ويسبحونه لا يكلون ولا يفترون كما قال تعالى ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في هذا إنكار من الله عز وجل على من اتخذ آلهة يعبدها من دونه ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أي: هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة يحيون الموتى وينشرونهم، ولما كانت هذه الآلهة لا تقدر على ذلك فكيف بهؤلاء يعبدونها ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لفسدتا؛ لما سينشأ عن ذلك من الاختلاف والتنازع بين الآلهة، فاقتضى ذلك أنه ما من إلَه إلا إلَه واحد هو الله -إذ لم يحصل التنازع- وهذا هو دليل

(١) سورة التحريم من الآية ٦.

التمانع ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عما يفتريه المفترون ويفعله المشركون.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ أي: هو الخالق المدبر المتصرف في ملكوته العلوي والسفلي، لا يسأله أحد عما يفعل، بل هو يسأل خلقه عما يفعلون كما قال عز وجل ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]. ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هذا إعادة للتوكيد على توبيخ المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم ودليلكم على ما تزعمون ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي: هذا ما ورد في القرآن من وجوب إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك عنه ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ أي: كذلك ما ورد في التوراة والإنجيل وما جاء به كافة الرسل الذين أرسلوا إلى أممهم، يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا يعلمون ما يجب عليهم من توحيد الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: عن القرآن ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ في هذه الآية يخبر الله رسوله محمدا ﷺ أنه سبق أن أوحى إلى الرسل الذين أرسلوا إلى

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٢ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩٣ .

أممهم قبله أنه ليس في الوجود إلَه غيره، وأنه المختص وحده بالعبادة وأن عبادة غيره باطلة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات نفي قاطع لتعدد الآلهة في الوجود؛ لأنه لو كان فيه إلَهان لأدى ذلك إلى التنازع والشقاق بينهما فيفسد الوجود، وهذا هو ما يسمى دليل التمانع؛ إذ يمتنع عقلا وحسا أن يكون فيه إلَه آخر غير الله. وفيها: أنه لا دليل على الشرك، وكل الكتب السماوية متفقة على إفراد العبادة لله وحده كما قال عز وجل ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥ .

(٢) سورة النحل من الآية ٣٦ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ أي: قال بعض المشركين إن الملائكة بنات الله فرد عليهم عز وجل نافيا ومنكرا مقولتهم الشنعاء بقوله ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه عن الولد وأن الملائكة عباده مكرمون عنده ومقربون إليه ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يقولون شيئا قبل أن يقوله ولا يفعلون إلا ما يأمرهم به وهم يعملون بطاعته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يحيط بعلمهم فلا يخفى عليه شيء منهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لا يشفعون إلا لمن أذن الله له ورضي عنه من أهل التقوى والإيمان ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: إنهم منه خائفون ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ أي: من زعم منهم أنه إلَه من دون الله أو من غيرهم من عباد الله الصالحين -وقيل: المراد به إبليس- ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: تكون عاقبته جهنم، وهذا هو حال الظالمين الذين جعلوا مع الله إلها يعبدونه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: أولها: نفي زعم المشركين وكذبهم في نسبتهم الولد إلى الله، بل هو مقدس ومنزه عن الصاحبة والولد؛ لأن الخلق كلهم ملكه وعبيده. ومنها: أن الملائكة عباد الله مكرمون

ومقربون عنده يأتمرون بأمره فلا يسبقونه بقول أو فعل بل هم تحت تصرفه. ومن هذه الأحكام إثبات الشفاعة عند الله على أن تكون بإذنه ورضاه، وأن يكون المشفوع له من أهل الإيمان والتوحيد الذين رضي عنهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: ألم يعلم الذين كفروا ألوهية الله وحده ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: شيئا متلاحقا مسدودا ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ أي: فتحناهما فجعلنا سبع سموات وسبع أرضين وجعلنا بينهما فاصلا مشهودا ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ أي: وجعلنا الماء يحفظ كل شيء، وقد يكون المراد خلقنا كل شيء من الماء ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أفلا يعقلون بما يرونه من الآيات الدالة على

عظمة الله فيؤمنوا به ويوحدوه ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: جعلنا فيها جبالا راسية حتى لا تميد الأرض وتضطرب ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي: جعلنا فيها طرقا؛ للسير عليها والتنقل فيها ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى السير في الأرض.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: وضعنا السماء فوق الأرض وحفظناها من السقوط عليها كما قال عز وجل ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[1]. ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ المراد بهم الكفار أي: معرضون عما يشاهدونه من الآيات والنظر إلى مافي الكون من الأفلاك والرياح والسحاب وتناوب الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها وغير ذلك من الآيات والمعجزات الدالة على حسن صنعه وقدرته ووجوب إفراده عز وجل بالعبادة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وهذا أيضا من النعم التي أنعم الله بها على عباده، حيث جعل الليل راحة وسكنا لنفوسهم وأجسامهم، وجعل النهار زمنا لطلب عيشهم وقوتهم هم وذرياتهم وأنعامهم ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وهذه أيضا نعمة يذكّر الله بها عباده، فلولا الشمس لكان الوجود ظلاما لا يستطيع الخلق الحركة فيه، ولولا ضوء القمر لما استطاع من يسير في الليل الاهتداء إلى ما يريد ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ

---

(١) سورة الحج من الآية ٦٥ .

﴿يَسۡبَحُونَ﴾ أي: إن الليل والنهار والشمس والقمر تسير وتدور في الأفلاك بسرعة قدَّرها وأحكمها الله عزوجل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان من الله عز وجل عن الكيفية التي كانت عليها السموات والأرض قبل فتقهما، وبيان منه عز وجل عن صنعه وقدرته في جعل الماء محيياً للأشياء وعن قدرته في تثبيت الأرض وترسيتها بالجبال وحفظ السماء من السقوط عليها. وفيها: بيان منه عز ذكره عن خلقه الليل والنهار والشمس والقمر وسائر الأفلاك، وكونها تدور في سرعة أحكمها وقدرها بقدرته وحكمته.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾ أي: ما جعلنا لأحد من البشر الخلد في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ يا محمد ﴿فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ أي: هل

يظنون أنهم مخلدون في الدنيا؟ ذلك أن المشركين كانوا يتمنون موت رسول الله ﷺ ويقولون نتربص به ريب المنون فلعله يموت ونستريح منه ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ أي: ما من نفس إلا وتتجرع مرارة الموت وتفارق الدنيا لا محالة ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ أي: نبتليكم بالمرض والصحة والفقر والغنى والشدة والرخاء والحلال والحرام ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ أي: سترجعون إلينا في نهاية الأمر، ثم تحاسبون وتجزون بما كنتم تعملون .

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ المراد بهم كفار قريش كأبي لهب وأبي جهل والنضر بن الحارث ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزؤون بك ويقولون على وجه السخرية ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: أهذا محمد الذي يسب آلهتكم ويتنقصكم ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ أي: إنهم كافرون بالله مشركون به ويستهزؤون برسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأنه ما من بشر مخلد في الدنيا كما قال عزوجل ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾[1]. ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

﴿ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[١]. وفيها: الحكم بأن الله يختبر عباده بأنواع الرخاء وأنواع الشدة في أجسامهم وأقواتهم؛ ليرى من هو المحتسب، ومن هو الصابر منهم كما قال عز وجل ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾[٢].

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي: إن الإنسان بطبعه عجول يستعجل ما قد يكون فيه ضره، ولعل المؤمنين كانوا يستعجلون نزول عذاب الله بالمشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ واستهزؤوا به وتربصوا به الموت فقال عز وجل ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ أي: جزائي وعذابي للظالمين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ أي: لا تتعجلوا ذلك فلكل أجل كتاب. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: يقول المشركون متى

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) سورة محمد الآية ٣١ .

موعد العذاب الذي تدَّعونه إن كنتم صادقين؟ وقولهم هذا على سبيل التكذيب وعدم التصديق بوقوع العذاب بهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لو يعلم المستعجلون للعذاب الوقت الذي سيلاقونه فيه حين لا يستطيعون أن يكفوا عن وجوههم ولا عن ظهورهم النار ولا ناصر حينئذٍ ينصرهم لما استعجلوه، ولكن استعجالهم دليل على سفه أخلاقهم وسوء تقديرهم ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ أي: سوف تأتيهم الساعة فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تجعلهم حيارى مندهشين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: لا يجدون لهم حينئذٍ حيلة في دفعها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤجل عنهم العذاب؛ لكي يتوبوا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذمّ العجلة لقول رسول الله ﷺ: **(العجلة من الشيطان)**[(١)]. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[(٢)]. وفيها: أن الساعة لا تأتي إلا بغتة كما قال تعالى ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[(٣)].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم (٢٠١٢) سنن الترمذي ج٤ ص٣٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦١٤ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ يسليه فيه عما أصابه من الأذى والاستهزاء به وتكذيبه من كفار قريش وأن الرسل صبروا على ما كذبوا ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط العذاب بالمستهزئين بهم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(1).

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: هل أحد يحرسكم غير الرحمن في الليل إذا سكنتم فيه، وفي النهار إذا قمتم

(١) سورة الأنعام الآية ٣٤ .

تعملون فيه ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: إنهم عن القرآن وآيات ربهم غافلون.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أي: هل لهم آلهة ﴿تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: ترد عذابنا عنهم، وهذا على سبيل الاستفهام الإنكاري ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: إن هذه الأصنام التي زعموا أنها تنفعهم لا تستطيع أن تنفعهم مثقال ذرة ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي: يمنعون ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي: أنعمنا على أهل مكة وآبائهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وهم متمتعون بهذه النعماء فظنوا أنها تدوم لهم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أي: ألا يتفكرون أنا نزيل عنهم هذه النعم وننصر أولياءنا عليهم ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ والمعنى: لا بل سيكونون هم المغلوبين الأذلّين وقد حدث لهم هذا في غزوة بدر؛ لأن النصر والغلبة لا تكون إلا لأولياء الله المتقين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير أن الذين يستهزؤون برسل الله لابد أن يحيق بهم العذاب لا محالة كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[1]. ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا

(١) سورة الفرقان الآية ٤١ .

عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1]. وفيها: وجوب عدم الاغترار بالسعة في الرزق وطول العمر؛ لأن كل شيء مردود إلى النقص مما يقتضي العمل من أجل الصالحات والاستعداد لليوم الآخر.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين إنما أنا رسول أبلغكم ما أوحاه الله إلي فأنذركم عن سوء عاقبتكم إذا لم توحدوا لله وتخلصوا له العبادة ولا تشركوا به ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: لا يسمع البشارة والنذارة من أعمى الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ أي: إن مس هؤلاء المشركين أقل

(١) سورة الفرقان الآية ٤٢ .

شيء من عذاب ربك يا رسولنا محمداً ﴿لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ أي: يعترفون بذنوبهم، وحينئذٍ لا ينفعهم الاعتراف في الآخرة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: توضع الموازين يوم القيامة لوزن الأعمال بالعدل. والموازين: جمع ميزان وقد يكون المراد أن لكل إنسان ميزاناً أو أنها ميزان واحد ورد بصيغة الجمع، لكون الأعمال التي توزن فيه كثيرة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يبخس من أعمالها شيء فلا ينقص من حسناتها ولا يزاد في سيئاتها ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: مهما كان صغر الأعمال ولو كان موزون حبة من خردل ﴿أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ أي: حاسبين لكل عمل من أعمال العباد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من أعرض عن ذكر الله يصاب في سمعه وبصره وعقله فلا يستجيب إلا لهواه، مهما كانت النذارة له. ومن الأحكام: أن الله يضع ميزان العدل يوم القيامة لحساب العباد فلا يظلم أحدا أحسن في عمله فينقص من حسناته، أو يظلم أحدا أساء في عمله فيزيد في سيئاته كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء من الآية ٤٠ .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: أنزلنا على موسى وأخيه هارون التوراة فيها أحكام الحلال وأحكام الحرام ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: فيها نور وعظة للمتقين ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ هذا نعت للمتقين بأنهم يخافون ربهم، وهم لا يرونه بأعينهم في الدنيا، وإنما يرونه بقلوبهم وإيمانهم، وهم كذلك خائفون من يوم القيامة وأهواله.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ المراد به القرآن بما فيه من آيات الله وبيناته ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام إنكاري أي: كيف تنكرونه وفيه الضياء والهدى للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: المقارنة بين ما أنزل الله تعالى على رسله من الكتب وأنها متفقة في الدعوة إلى الله، وتحكيم كتبه وتصديق رسله وأنها هدى للمتقين الذين يخشون الله بما جعل الله في قلوبهم من الإيمان

فيخافونه دون أن يروه ويخافون من هول عذابه يوم القيامة. ومن أحكام هذه الآيات: بيان أن الله أنزل القرآن العظيم مشتملاً على أحكام الدين والدنيا وإيضاح الحق ونفي الباطل كما قال عز وجل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[١].

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ في هذا بيان من الله عزوجل أنه أتى إبراهيم رشده، وهو في صغره، وقبل نبوته ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: كنا نعلم أنه أهل لأن يؤتى النبوة ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: استنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام وأقام الحجة عليهم بفساد عبادتهم لها واعتكافهم عليها كما قال عز وجل ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾[٢].

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٨٣ .

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ أي: عبدناها؛ لأن آباءنا كانوا يعبدونها ونظيره قوله عز وجل ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قال لهم إبراهيم إنكم أنتم وآباؤكم خاسرون بعبادتكم لها؛ لأنها أحجار وأخشاب لا تنفع ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ أي: قال قوم إبراهيم هل ما تقوله عن أصنامنا حقّ أم أنك تمزح علينا بما تقول، فنحن وآباؤنا من قبل نعبد هذه الأصنام ولم نسمع أن أحدا جاء بمثل ما تقول ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ أي: إن ربكم الذي يجب أن تعبدوه هو الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي أوجدكم من العدم إلى الوجود ورزقكم وهو الذي يميتكم ثم يحييكم فكيف تعبدون غيره؟ ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وأنا أشهد أنه لا إلَه إلا هو ولا معبود بحق سواه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان أن الله يختار من يشاء من عباده لحمل رسالته. وفيها: تقرير ذمّ من يقلد غيره وهو لا يدري أكان هذا على حق أم على باطل. ومنها: وجوب إقامة الداعي الحجة على من يدعوه

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢ .

وبيان الحق له من الباطل. وفيها: الحكم بوجوب شهادة ألا إلَه إلا الله وأن من قالها مؤمنا ومخلصا بها مقيما أركانها فقد وجب له رضا الله لحديث أبي هريرة: (**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلَه إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ..**) الحديث[١].

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ هذا قسم من نبي الله إبراهيم أمام بعض قومه أنه سيعمل على إيذاء أصنامهم بتكسيرها بعد أن يذهبوا عنها؛ ذلك أنه حاجهم بلسانه عن فسادها فلم يجيبوا فأراد أن يفعل ما يراه مناسبا لتكون دعوته أبلغ فيهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ أي: حطاما بتكسيرها وترك

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٢٢٧، والترغيب والترهيب للمنذري ج٢ ص٤١٤ ومجمع الزوائد ج١ ص١٨ وغيرها.

كبيرها ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إليه فيظنون أنه الذي كسرها ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لما رجعوا إلى الأصنام لعبادتها وشاهدوا حطامها تساءلوا بينهم عمن فعل هذا ووصفوه بالظلم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: قال الذين سمعوه يهدد بتكسيرها إن الذي فعل ذلك شاب يسمى إبراهيم ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: قال نمرود وأكابر قومه: أحضروا إبراهيم على مرأى من الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما قال؛ فيعاقب حينئذٍ على فعله ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ هذا استفهام منهم لإبراهيم عما إذا كان هو الذي حطم الأصنام ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ المراد به الصنم الذي تركه فلم يحطمه ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ وهذا حجة منه عليه السلام عليهم حتى يعرفوا أن هذه الأصنام جماد لا يتكلم ولا يسمع، وعندئذٍ يكتشفون سفاهة عقولهم وأنهم يعبدون شيئاً لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دلائل على أن الناس تعارفوا منذ الأزل على سوء الظلم وعاقبته لكون النفس بطبيعتها تأباه ويكون الوصف له حسب عقيدة الواصف فقوم إبراهيم -مثلا- يرون تحطيم أصنامهم ظلما

ولكنه في عقيدة نبي الله إبراهيم ليس بظلم؛ لأن الأصنام ليست حقا يجب احترامه، بل هي باطل يجب إزالته، والمراد أن الفعل لا يوصف بالظلم إلا إذا كان اعتداء على حق معلوم ومشروع. ومن هذه الدلائل أن الناس تعارفوا كذلك على الإشهاد وعلى الفعل المنسوب إلى فاعله، وهذا مما أقرته الشرائع كلها. ومنها: سؤال المتهم عما وجِّه إليه من التهم وهذا مما أقرته الشرائع كذلك.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: باللَّوم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لاموا أنفسهم على عبادتهم أصناما لا تنطق ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ المعنى أنهم عادوا إلى شركهم رغم اعترافهم عن حال أصنامهم ثم قالوا لإبراهيم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: إنك تعلم أن هذه الأصنام لا تنطق فكيف تطلب منا سؤالهم؟ فأجابهم إبراهيم بقوله ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ أي: لما عرفتم أنها لا تنطق فكيف تعبدونها ؟ وهي لا تجلب لكم نفعا ولا تدفع عنكم ضرا ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: السوء والقبح لكم وأصنامكم أفلا تتفكرون بعقولكم وتدركون أن فعلكم هذا ضلال مبين لا يفعله إلا السفهاء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أدلة وبينات: منها: أن الظالم قد يعترف بظلمه فيتوب منه فيكون في ذلك خير له، وقد يعترف به ويصر عليه، وهذا قمة الشقاء. ومنها: أهمية قوة الداعي وحجته في دعوته إلى الحق وهو ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، فقد حجهم بقوة حجته ومنطقه وشرعية دعوته. ومنها: وجوب تأنيب أهل الباطل وتوبيخهم على فعلهم.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ أن قوم إبراهيم لما عجزوا عن دفع حجته

وعرفوا أنه سيفسد عليهم ما هم فيه من الشرك تنادوا بينهم على تحريقه والخلاص منه، فجمعوا حطبا كثيرا وألقوه في حفرة كبيرة من الأرض، ثم أوقدوا النار على نحو لا مثيل له ووضعوا إبراهيم في المنجنيق، فلما ألقوه فيها قال: حسبي الله ونعم الوكيل ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لما كان إبراهيم عليه السلام في حرز الله أمر الله النار أن تتحول إلى برد وسلام عليه فجعل السلام مقرونا بالبرد حتى لا يكون في البرد أذى له عليه السلام. ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ أي: أرادوا إيذاء إبراهيم بتحريقه بالنار فكانت العاقبة السيئة لهم وأصبحوا من الخاسرين في دنياهم بفشلهم فيما أرادوه وفي أخراهم بما يلاقونه فيها من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: معجزة وبينات؛ أما المعجزة فهي تحول النار التي أراد قوم إبراهيم إحراقه فيها إلى برد وسلام عليه. وأما البيِّنات فإن توكل إبراهيم على الله وإخلاصه العبادة له كانت حاجزا له من النار إذ قال عليه السلام لما رموه فيها: حسبي الله ونعم الوكيل وفيها: أن كيد الكائدين يرتد عليهم بسوء العاقبة.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أنقذنا إبراهيم وسلمناه من النار كما نجينا لوطا ابن أخيه والمراد بالأرض المباركة بلاد الشام حيث رحلا من العراق إلى الشام فاستقر إبراهيم في فلسطين، واستقر لوط في قرية سدوم التي تحولت بعد هلاك قومه إلى بحيرة غير صالحة ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ ﴾ أي: زيادة؛ ذلك أنه دعا بإسحاق، فزيد له بيعقوب ليكون ولد ولده ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ أي: إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب قوم صالحون ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ ﴾ أي: جعلناهم قادة يهتدى بهم ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: بما جاءهم من الوحي من ربهم، والمعنى يدعون الناس إلى ديننا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي:

أمرناهم أن يفعلوا طاعة الله ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: وأوحينا إليهم أن يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة ويدعون الناس إلى ذلك ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ أي: مطيعين وممتثلين لأمرنا وداعين الناس إليه.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ المراد به لوط بن هاران بن آزر ابن أخي إبراهيم، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه فأعطاه الله علما وحكمة وجعله نبيا وبعثه إلى قرية سدوم فكفرت بما جاء به من تحريم الفواحش فأهلكها الله ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي: كان أهلها يفعلون اللواط ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ أي: كانوا عصاة منكرين لأحكام الله منتهكين لمحارمه ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: نجاه الله من كيد قومه وجعله من الصالحين كما قال عز وجل ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام ومسائل: منها: فضيلة الدعوة إلى الله والاحتساب فيها والصبر عليها. ومنها: أن الله يتولى أولياءه الصالحين فينجيهم من شرور أعدائهم ويسبغ عليهم فضائله. ومنها: وجوب

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٦٧ .

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ومنها: الحكم بأن ارتكاب المعاصي وانتهاك محارم الله سبب لهلاك الأمم ودمارها، وهذا هو ما حدث للأمم الفاسدة كقوم هود وصالح ولوط ومن كان على شاكلتهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن نوحا نادى ربه أي: دعاه لما يئس من قبول قومه لدعوته مما حكاه الله عنه بقوله عز ذكره ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[١]. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٢]. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: استجبنا دعوته ونجيناه ومن آمن من أهله ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: من الغرق وما أصابه من الغم بسبب تكذيب قومه له.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ﴾ أي: نجيناه وانتصرنا له من قومه الذين كذبوه لما جاءهم بآياتنا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ

(١) سورة نوح الآية ٢٦ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

سَوْءٍ ﴾ أي: إنهم كانوا أهل معاص وكفر ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: أهلكناهم كافة فلم يبق منهم أحد وذلك استجابة لدعائه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في الآيتين: تقرير إجابة دعوة الداعي إذا دعى الله مخلصا من قلبه كما قال عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾[1]. ومنها: انتصار الله لأوليائه وإهلاك الظالمين بعد أن تقوم الحجة عليهم.

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ هذا بيان من الله

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

عزوجل أن داود وسليمان حكما في الزرع أو في كرم بدت عناقيده ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: رعت فيه في الليل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ أي: مطلعين على حكمهم في هذه القضية ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: فهمناه معرفة الحكم فيها؛ ذلك أن داود قضى بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان لأبيه داود: إني أرى غير هذا ليكون أرحم للجميع قال: وما هو؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود إلى حالته السابقة وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم لينتفع منها حتى إذا عاد الكرم إلى حالته التي كان عليها دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فكان هذا فهما صائباً من سليمان بيَّن الله عزوجل أنه علَّمه إياه ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: أعطينا كلا من داود وسليمان النبوة وفهما لأحكام الله.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كان لداود عليه السلام صوت يؤثر في نفس من يسمعه، فإذا قرأ كتابه سبحت معه الجبال والطير وردت عليه تأويبا كما قال تعالى ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾[١]. أي: رجِّعي معه التسبيح ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن تسبح الجبال والطير.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ المراد به معرفته لصناعة الدروع

---

(١) سورة سبأ من الآية ١٠ .

كما قال عزوجل ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[١]. ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[٢]. قوله ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: تقيكم في زمن القتال ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ أي: هل تشكرون الله على نعمه.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ المراد وسخرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ المراد بها أرض الشام قيل: إنه إذا أراد الغزو وضع له بساط من خشب يوضع له ما يريد ثم يأمر الريح أن تدخل تحته فتحمله وتسير به إلى حيث يشاء[٣] كما قال عزوجل ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٤]. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ هذا إخبار من الله عز وجل أنه يعلم كل مافي الكون في ظواهره وبواطنه لا تخفى عليه خافية.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: وسخرنا له من يغوص في الماء ليخرج له اللالئ ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: يعملون له عملا غير استخراج اللالئ كالبناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ حافظين لهم من إفساد أعمالهم فيتعرضوا لسليمان بشرّ وإنما هم تحت قهره كما قال عز وجل ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾[٥].

(١) سورة سبأ من الآية ١٠ .
(٢) سورة سبأ من الآية ١١ .
(٣) تفسير البغوي ص٨٤٣ .
(٤) سورة ص الآية ٣٦ .
(٥) سورة ص الآية ٣٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: أولها: أن للحاكم المجتهد إذا أخطأ أجراً لما رواه عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**)[١]. وهذا إذا كان عالما بالاجتهاد وشروطه وأحكامه، وأما إن كان غير ذلك فلا عذر له في الخطأ.

ومنها: أن على الحاكم المجتهد إذا تبين له أن هناك اجتهادا أعدل من اجتهاده أن يرجع إليه، وهو ما فعله داود عليه السلام حين وافق ابنه سليمان على اجتهاده في رعي الغنم في الكرم.

وفي شرعنا أن على أصحاب البساتين حفظ بساتينهم وزروعهم في النهار؛ لما صح أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها[٢]. وقد أخذ بهذا الجمهور، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن هذا الحكم منسوخ بحديث (**العجماء جرحها جبار**)[٣]. وأن البهائم إذا أفسدت في الليل أو النهار لا يلزم صاحبها شيء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم (٧٣٥٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣٣٠.

(٢) أخرجه الإمام مالك مرسلاً في الموطأ، في كتاب الأقضية، باب القضاء في الضواري والحريسة، برقم (١٤٣١)، الموطأ ص٥٣٠، والإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٤٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب المعدن جبار والبئر جبار، برقم (٦٩١٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٢٦٥.

قلت: وقول الجمهور أصح، لموافقته لحديث البراء رضي الله عنه ناهيك منه أنه مما يقتضيه العدل؛ ذلك أن أهل الزروع مسؤولون عن حفظ زروعهم في النهار لقدرتهم على حفظها وعدم قدرتهم على حفظها في الليل؛ لكونهم نياماً مما يوجب على أهل البهائم حفظها في الليل لكونه سكنا.

ومن الأحكام: تقرير أن الجبال والطير تسبح لله كما قال عزوجل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]. ومنها: وجوب الاستعداد للحرب بصنع آلاته، ووجوب الحذر والوقاية من أضراره، وقد بيَّن الله ذلك في كتابه الكريم بقوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

ومن الأحكام: تقرير أن كل ما يحدث في السموات والأرض إنما هو بعلم الله وقدرته وتسخيره كما قال تعالى ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ (٨٤)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: اذكر يا محمد شكر عبدنا أيوب الذي صبر على ذهاب ولده وماله وما تعرض له من المرض في جسده وابتعاد الناس عنه فقد دعا ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: نزل الضر بي واشتدت وطأته علي فارحمني فأنت أرحم الراحمين، وقيل: إن الضر الذي أصابه أنه قام ليصلي فلم يستطع وقيل: المراد انقطاع الوحي عنه، وقيل: تمزق بعض لحمه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ أي: قبلنا دعوته ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال مجاهد: قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال: لا بل اتركهم لي في الجنة، فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا[1] ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: كان ذلك رحمة له ولطفا به ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ أي: أردنا أن يكون في صبره قدوة للعباد المخلصين الذين إذا ذكروا بلاءه وصبره عليه اقتدوا به في الصبر في الضراء.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عظم الصبر على البأساء والضراء والشكر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١١ ص٣٢٦، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٨٥ .

لله على البلوى كما قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٣]. وقوله عز ذكره ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾[٤]. ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[٥]. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٦]. وفيهما: تقرير وجوب الشكوى الى الله ودعائه في رفع الضر إذا نزل بالعبد. وفيهما تقرير وجوب الاعتبار بما يحدث من البلاء والمصائب وفضل الصبر عليها والاقتداء بالصالحين الذين يصبرون على مايصيبهم من النوازل والفواجع.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٨٥) وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٦)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ﴾ هو إسماعيل الذبيح عليه السلام وهو أبو العرب وأمه هاجر المصرية، وإدريس وهو أخنوخ ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .
(٤) سورة العصر الآية ١ .
(٥) سورة العصر الآية ٢ .
(٦) سورة العصر الآية ٣ .

رجل صالح قال ابن كثير: الظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي[1] ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: المراد أنهم صبروا على طاعة الله والقيام بما أمرهم به ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: كتبنا لهم الجنة بسبب صلاحهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصبر وثناء الله على الصابرين من أنبيائه ورسله وعباده الصالحين؛ ذلك أن في الصبر على النوائب دليلاً على قوة الإيمان والثبات والرضا بقضاء الله وقدره في السراء والضراء ولهذا كتب الله الجنة للصابرين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ المراد به يونس بن متَّى فقد بعث - كما أشير من قبل - إلى أهل نينوى في العراق فدعاهم إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٨٥ .

الله تعالى فأبوا فذهب منهم مغاضبا لله عز وجل ووعدهم بالعذاب فخافوا مما وعدهم به فدعوا الله بنسائهم وأطفالهم أن يدفع عنهم العذاب فتاب الله عليهم كما قال عز وجل ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]. وأما يونس فقد فر منهم بسبب كفرهم ولم يعلم بتوبتهم وكان عليه أن يصبر عليهم ولا يتركهم إلا بإذن ربه.

وقد ركب مع قوم في سفينة، فلما أثقلها الراكبون وخافوا من الغرق استهموا أن يلقو أحدهم في البحر، فكان السهم يقع عليه ثلاث مرات كما قال عز وجل ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[2]. ثم ألقي في البحر فالتقمه الحوت كما قال عز وجل ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[3].

قوله ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نحبسه في بطن الحوت من أجل مغاضبته لله ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: دعا ربه وهو في ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: استجبنا دعاءه وأخرجناه من بطن الحوت كما قال

---

(١) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٤١ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٤٢ .

عزوجل ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[١]. ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كما نجينا يونس ننجي المؤمنين إذا دعوا الله مخلصين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يستجيب دعاء عباده الصالحين عندما يكونون في الشدائد، وفي حديث سعد بن أبي وقاص الطويل أن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي على الأرض، فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال: (**من هذا أبو إسحاق؟**) قال: قلت نعم يا رسول الله قال: (**فمه**) قلت: لا والله إنك ذكرت لنا أول دعوة، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك قال: (**نعم دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**)[٣].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا

---

(١) سورة الصافات الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٤٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٨٢، برقم (٣٥٠٥)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٩٥، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (٤٩٩١)، ج٢ ص٦٥٣ .

لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن زكريا دعاه أن يهب له ولدا كما في قوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يولد لي ولا وارث يرثني في النبوة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: أتوسل إليك وأدعوك حق دعائك ألا تقطع النبوة عن عقبي ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: أجبنا دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ أي: مننَّا عليه بولد اسمه يحيى ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ أي: جعلناها تلد بعد أن كانت عاقرا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ المراد بهم زكريا ويحيى وامرأته ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: كانوا يدعوننا رغبة فيما عندنا ورهبة مما عندنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي: متواضعين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير مشروعية طلب الذرية الصالحة. وفيهما: تقرير سؤال الله الزوجة الولود الصالحة. وفيهما: وجوب المسارعة إلى فعل الخير ودعاء الله، رغبة فيما عنده من الثواب ورهبة مما عنده من العقاب. وفيهما: تقرير فضيلة الخشوع لله في السر والعلن.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ أي: اذكر يا محمد مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته من الدنس ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أمرنا جبريل أن ينفخ في كُمِّ ثوبها فحملت من جراء ذلك النفخ بعيسى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: جعلنا حملها وولادتها آية للعالمين أي: دلالة لهم على قدرتنا أن تحمل المرأة دون زوج كما فعلنا من قبل، فولدت زوجة زكريا يحيى وكانت عاقرا.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب العفة وإحصان الفرج. وتقرير قدرة الله عزوجل على فعل المعجزات؛ ليكون في ذلك عظة وذكرى لعباده أنه القادر والمتصرف فيهم، وأن عليهم أن يعبدوه ويوحدوه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤﴾.

بيان الآيات

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ لما ذكر الله عز وجل الأنبياء قال: إن أمتكم أي دينكم دين واحد هو الاستسلام لله تعالى بتوحيده وطاعته ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أي: لا رب لكم ولا إلَه لكم إلا أنا فاعبدوني ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: اختلفت الأمم في الدين، فمنهم من عبد الله ووحَّده وأطاعه، ومنهم من أشرك به وعصاه ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ أي: كل منهم سيرجع إلينا يوم القيامة فنجازيه بما عمل من عمل صالح أو عمل سيئ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ أي: من يعمل عملا صالحا وهو مسلم موحد ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي: لن يبخس أو يجحد عمله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: كاتبون لعمله محافظون عليه ليجزى به.

أحكام ومسائل الآيات

في هذه الآيات: الحكم بأن دين العباد واحد هو الإسلام وهو توحيد الله وطاعته ونفي الشرك عنه. وفيها: تقرير أنه لا رب ولا إلَه في الوجود إلا الله وهو وحده المستحق للعبادة. وفيها: تقرير أن الأمم اختلفت في أديانها، فمنهم المسلم ومنهم الكافر ومنهم المشرك. وفيها: تقرير أن من يعمل العمل الصالح لا يجحد عليه بل يكتب ويحفظ له ليجزى عليه.

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

بيان الإجمال

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: حق على أهل كل قرية حدث لها هلاك في الدنيا أنهم لا يرجعون إليها قبل أن تقوم الساعة، وقد يكون الأصح أنهم لا يتوبون؛ لأنهم هلكوا قبل توبتهم فحينما تقوم عليهم الساعة لن يكون لهم توبة؛ لأن القيامة حساب بلا عمل ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ سبق الحديث عنهم والمراد أنهم قوم يخرجون قبل قيام الساعة حين ينكسر السد الذي يمنعهم ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ أي: من كل مرتفع من الأرض يسرعون في المشي للسعي فيها فسادا ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: قرب يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بارزة أبصار الكافرين مما يشاهدونه من هول يوم القيامة وشدته ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي: يدعون بالويل ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: كنا ساهين في الدنيا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: لقد ظلمنا أنفسنا بما ارتكبناه من معصية الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من يهلكه الله من الأمم لم يعد له توبة؛ إذ إن التوبة مشروطة بالوجود في الحياة، فإذا انتهت الحياة الدنيا فلا توبة حينئذٍ. وهذا حكم عام فيمن يهلكه الله بعذاب كحال الأمم التي أهلكها بسبب عصيانها أو من يموت بانقضاء أجله المسمى كما قال عزوجل ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ الآية[1].

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾

---

(١) سورة النساء من الآية ١٨.

لما ذكر الله عز وجل اقتراب الساعة وشخوص أبصار الكافرين من هولها خاطب الله المشركين في مكة وكل عبدة الأوثان والأصنام بأنهم سيكونون وقود جهنم أو حطبها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي: مقبلون عليها داخلون فيها ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ المراد بالآلهة الأصنام فإنها ستلقى في النار معهم كما قال تعالى ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1] ولو أنها تستحق العبادة ما دخلوها، أما الملائكة والأنبياء الذين يُعْبَدُون من دون الله فلا يدخلون في عموم الآية والمعنى لو كانت هذه الأوثان المعبودة صحيحة لما دخلوا النار ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: العابدون والمعبودون ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ المراد بهم الذين دخلوا النار والزفير الأنين الذي يخرج من القلب ضيقا وحسرة ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لكونهم صمّاً كما قال عز وجل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ أي: الذين كتبنا لهم الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: أنهم مبعدون عن جهنم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حركتها وصوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ أي: مقيمون فيها أبدا ولهم فيها ما تشتهيه

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٧ .

أنفسهم من الملذات ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أي: لا يحزنون ولا يخافون من أهوال يوم القيامة ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: تتلطفهم عند أبواب الجنة، وقيل: عند النفخة للنشور تبشرهم برضا الله عنهم وتقول لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي وعدكم الله فيه بالثواب وحسن الجزاء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ما للمشركين عبدة الأصنام من العذاب المهين خلافا للمؤمنين الذين سبقت لهم رحمة الله فأبعدهم عن العذاب، وجعل لهم الخلود في الجنة، وهيأ لهم فيها ما تشتهيه نفوسهم من اللذات ووقاهم أهوال يوم القيامة.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾.

بيان الآية:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه يطوي يوم القيامة السماء كما تطوى الكتب كما قال عز وجل ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1]. قوله ﴿كَمَا

(١) سورة الزمر من الآية ٦٧ .

بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ أي: نعيد الخلائق كما كانوا في أول الخلق فنبعثهم من قبورهم ليوم الحساب والجزاء ﴿ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ أي: قادرين على ذلك.

أحكام ومسائل الآية

في هذه الآية: تقرير أن الساعة اذا قامت طوى الله السماء كما تطوى الكتب، ويحيي الخلائق، كما أحياهم في بداية خلقهم وفي حديث ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: **إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا** ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه كتب في الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى والقرآن ﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: بعد ما كتب ذلك وقرره في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ برقم (٤٧٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٩٢ .

اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ قيل: الأرض أرض الجنة[١] ولعل المراد الأرض في الدنيا يرثها عباد الله الذين صدقوه وآمنوا به وأحلوا ما أحله وحرموا ما حرمه واتبعوا ما جاءهم من عنده ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه نفعا وخيرا للذين يعبدون الله كما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أرسل نبيه ورسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين؛ لأنه يبلغهم عن الله ما يدلهم إلى نفعهم في الدنيا والآخرة، فمن آمن بما جاء به فقد ربح دنياه وآخرته ومن عصاه فقد خسرهما.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله كتب فيما أنزل على أنبيائه ورسله وفيما حفظه عنده في اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها عباده الصالحون والإرث هنا بمعنى السيادة فيها لقول الله عزوجل ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. وقوله جل شأنه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٩٤٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٢٨ .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(١).

قلت: وقد يقال إن الأرض يرثها المؤمن والكافر، وهذا صحيح، غير أن ولاية الكافر ولاية دنيا، سرعان ما تنتهي وتؤول إلى الخراب وهذا هو ما حصل للأمم الكافرة التي ورثت الأرض ثم سرعان ما أهلكت. أما ولاية المؤمنين فهي ولاية أبدية تدوم إلى أن تقوم الساعة وهذا هو حال أمة محمد ﷺ لا تزال ولن تزال إن شاء الله أمة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولو عادت هذه الأمة إلى ما كان عليها سلفها الصالح من الصدق في الإيمان والعزيمة في العمل لكانت قد ورثت الأرض كلها.

ومن الأحكام في الآيات: أن في القرآن الكريم ما يكفي لمن آمن بما فيه واتبع أحكامه أن يصل إلى مبتغاه في الدارين. ومن الأحكام فيها: فضل رسول الله ﷺ وأن الله قد أرسله رحمة للعالمين إنسهم وجنهم وكبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم كما قال عزوجل ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

نعم: كان عليه الصلاة والسلام رحيما بمن أرسله الله إليهم

---

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

فرغم ما تعرض له من الأذى والكيد فقد امتنع عن الدعاء عليهم وقال: (**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**)[١]. ولما قيل له ادع عليهم قال: (**إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة**)[٢]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فأجعلها له زكاة ورحمة**)[٣].

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٢٣١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٦٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦١٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة، برقم (٢٦٠١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٢١ .

﴿مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين إنّ ما أقوله لكم هو وحي من الله أنه ليس لكم إلَه إلا إلَه واحد هو الذي خلقكم ويحييكم ويميتكم ثم إليه ترجعون ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: أعرضوا عما تقوله لهم ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾ أي: أعلمكم أني بريء منكم وأنتم بريئون مني ولكم عملكم ولي عملي كما قال عزوجل ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1]. وقوله ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2]. ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾[3]. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾[4]. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أدري متى يحين الوقت الذي توعدون به؟ لأن علمه عند الله ولكنه سيقع لا محالة.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: إن الله هو الذي يعلم الجهر والسر من أقوال خلقه وأفعالهم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ﴾ أي: يعلم ما في ضمائركم، وما تبدون، وما تخفون ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي

---

(١) سورة يونس الآية ٤١ .

(٢) سورة الكافرون الآية ١ .

(٣) سورة الكافرون الآية ٢ .

(٤) سورة الكافرون الآية ٣ .

لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ أي: لست أدري عما إذا كان نزول العذاب بكم فتنة لكم ومتاعاً إلى أجل مسمى أجَّله الله لكم. ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ هذا دعاء من رسول الله ﷺ أن يحكم بينه وبين قومه الذين كذبوا الحق الذي جاء به ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: إن الله هو المستعان على ما يقوله المشركون ويفترونه من الكذب وما يفعلونه من المكايد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير توحيد الألوهية، فمن كذب بذلك فقد برئ الله ورسوله منه. وفيها تقرير أن قيام الساعة واقع لا شك فيه؛ أما وقته فهو عند الله لا يعلمه إلا هو كما قال عز وجل ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ ﴾[١]. وفيها: الحكم بأن الله وحده الذي يعلم أحوال خلقه جهرهم وسرهم وما في ضمائرهم. وفيها: تقرير أن تأخير العذاب عن المحادين لله المكذبين لرسوله قد يكون فتنة لهم فيمتعهم الله إلى أجل مسمى.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ هذه دعوة من الله عزوجل للمكلفين من الناس أن يتقوه ويخشوه؛ لكي يفوزوا برحمته وينجوا من عذابه قبل حدوث الزلزلة التي تحدث عند قيام الساعة وما في هذه الزلزلة من الأهوال العظيمة وهو معنى قوله ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾. وقوله ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ أي: في هذه الزلزلة تشتغل كل مرضعة عن رضيعها رغم حبها له وشفقتها عليه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي: تسقط الحامل ما في بطنها من شدة الخوف من ذلك الهول ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ أي: ومن شدة ذلك الهول ترى الناس مشدوهين فاقدين توازنهم كأنهم سكارى من الخمر وما هم في حقيقتهم بسكارى ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ أي: عظيم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن من الناس من يترك الحق الذي جاءه بيِّنا من عند الله ويتَّبع ما يقوله له أهل الكفر من الباطل والإعراض عن ذكر الله ويجادل فيما يقوله ويفعله دون أن يكون له علم أو بينة أو هدى من الله ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: ويتبع في جداله كل شيطان ضال ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: حكم عليه أنه إذا اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: إذا اتبع هذا الشيطان المريد فإنه بلا شك يضله عن الحق ويؤدي به إلى عذاب جهنم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة الزلزلة قبل قيام الساعة، وما فيها من الأهوال العظام وما يصيب الناس فيها من الخوف والشدائد كما قال عز وجل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١]. وقد روى البخاري عن

(١) سورة الزلزلة الآية ١ .

أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم؟ فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار. قال: يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذٍ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**). فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي ﷺ: (**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا**)[(١)].

وفي هذه الآيات تقرير حرمة الجدال بالباطل؛ لما فيه من الصد عن الحق والدعوة إلى الضلال. وفيها: تقرير أن من يوالي الشياطين يكون منهم ويكون مصيره معهم في نار جهنم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ برقم (٤٧٤١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٩٥ .

(٢) سورة فاطر الآية ٦ .

تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بهذا يخاطب الله عز وجل الذين ينكرون البعث بأن أصل خلقة أبيهم آدم كانت من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من قطرة المني التي تمتزج من الزوجين كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾(١). ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: يتحول هذا الماء خلال أربعين يوما إلى دم متجمد يتشكل في قطعة دم ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ ثم تتحول هذه القطعة من الدم بعد أربعين يوما إلى قطعة لحم قدر المضغة ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ أي: مصوَّرة خلقا تاما ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ والمراد

(١) سورة السجدة الآية ٨.

بها السقط، ويكون نفخ الروح فيه بعد مرور مائة وعشرين يوما ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أننا قادرون على ما نريد ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: نثبت في الأرحام من كتبنا له الحياة، وفيه قول رسول الله ﷺ: **(إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح)**[1].

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: تكونوا بعد ذلك أطفالا صغارا ضعيفي القوة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي: تكون لديكم القوة في السمع والبصر والفهم وهي مرحلة الشباب ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي: في مرحلة شبابه ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي: مرحلة الشيخوخة والهرم وضعف الجسم والفهم ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي: يصير في جسمه وعقله وفهمه مثل الطفل الذي لا يعلم شيئاً.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ لما ذكر الله عز وجل قدرته في خلق الإنسان وتدرج هذا الخلق دلل أيضا على كمال قدرته في إحياء الأرض

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم (٣٣٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤١٨ .

الميتة فإذا أنزل عليها المطر تحركت في داخلها وأنبتت الزروع وكل ما هو جميل في منظره وطيب في ريحه ونافع للعباد وأنعامهم وهو معنى قوله ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: هو الخلاق العظيم المتصرف في خلقه المدبر لهم والمطلع على سرائرهم ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: يبعثهم ليوم الحساب والجزاء ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: قادر على كل ما يريد كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ أي: واقعة لا محالة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ أي: يحييهم بعد مماتهم كما خلقهم أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بقدرة الله عز وجل على خلق الإنسان وتقرير مراحل هذه الخلق إلى حين انتهاء أجله، وبيان ذلك في صورة حسية يدركها عقله بعد أن رآها صورة واضحة في نفسه فيكون فيها عبرة للعاقل منه ليجعل عبادته للذي خلقه وصوره. ومن الأحكام: أن المولود إذا سقط صارخا يصلى عليه، وقيل: يصلى عليه متى ما نفخ فيه الروح

---

(١) سورة يس الآية ٨٢.

بعد مرور مائة وعشرين يوما على حمله. ومن هذه الأحكام: أنه يورث إذا استهل أي: كان منه حركة أو رفع صوت أو عطاس لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا استهل المولود ورث**)[1].

وفي هذه الآيات: تقرير أن الساعة آتية لا مراء فيها، وأن الناس يبعثون حينئذ من قبورهم قياما لرب العالمين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾

نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام وقيل: في النضر بن الحارث وكان هذا ينكر نبوة رسول الله ﷺ ورسالته، ويقول إن القرآن لم يكن منزلا من عند الله، وإن الملائكة هم بنات الله وغير ذلك من الأقوال

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض، باب في المولود يستهل ثم يموت، برقم (٢٩٢٠)، سنن أبي داود ج٣ ص٥٦، وابن ماجة في كتاب الفرائض، باب إذا استهل المولود ورث، برقم (٢٧٥٠)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٩١٩، والدارمي في كتاب الفرائض، باب ميراث الصبي، برقم (٣١٢٦)، سنن الدارمي ج٢ ص٤٨٥ .

القبيحة[1] فكان جداله جدال جهل وضلال ليس له من العلم ولا من الهدى أو الكتب الصحيحة شيء ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ المراد به النضر بن الحارث فكان يلوي جانبه استكبارا وتجبرا ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يعمل على صد الناس عن اتباع الحق ويدعوهم إلى اتباع الباطل ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌ﴾ أي: هوان وذلة وشماتة وقد حصل له هذا يوم أمر رسول الله ﷺ بقتله يوم بدر صبرا لما كان منه من المحادة والمعاندة لأمر الله والكيد لرسوله وللمؤمنين ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: سوف يلقى يوم القيامة عذاب جهنم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: تقول له ملائكة العذاب يوم القيامة أن ما تجزى به اليوم من العذاب هو جزاء ما ارتكبته من الشرك والكفر ومحاربة الله ورسوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ أي: أنه لن يظلم أحدا من عباده فيجازيه على ذنب لم يفعله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم المجادلة بالباطل، ويدخل في ذلك الجدل في الدين كما فعلت الفرق القديمة من القدرية والمرجئة والمشبِّهة والمعطِّلة التي شغلت الأمة زمنا طويلا بجدال فاسد ألهاها عن العمل والتفكير المبني على العقل السليم. وكما تفعل الفرق المعاصرة المنحرفة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٥ .

كالبابية والبهائية والقاديانية وغيرهم من الفرق المنحرفة، كما يدخل في الجدال الباطل الجدال في أمور الدنيا إذا كان يؤدي إلى إلهاء الأمة عن واقعها ومشكلاتها والمخاطر المحيطة بها، وهو ما يفعله بعض الأفراد باسم الفكر، أو ما تفعله بعض الأحزاب بحجة السياسة.

ومن الأحكام: تحريم الكبر؛ لما فيه من الاستعلاء على عباد الله وفيه قول رسول الله ﷺ: (**لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء**)[1]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[2].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ هذا مما نزل ببعض الأعراب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ برقم (٥٧٨٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٢٦٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥.

فقد كان أحدهم يأتي إلى المدينة فيسلم، فإذا ولدت امرأته غلاما وأنتجت أنعامه تفاءل واستبشر بذلك وقال هذا بسبب هذا الدين، وإن ولدت زوجته بنتا أو لم تنتج أنعامه تشاءم وقال: هذا دين سوء[1] وهو معنى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: إن أصابه مرض أو نحوه من أمور الدنيا ارتد كافرا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: صارت خسارته مضاعفة فيخسر الدنيا بحيث لم يحصل على خير فيها ويخسر الآخرة بارتداده عن الإسلام والعياذ بالله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: هذه هي الخسارة الجسيمة والمصير المشؤوم.

﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ أي: إن هذا الذي ارتد عن الإسلام يعود إلى عبادة الأصنام التي لا تنفعه ولا تضره بشيء ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ أي: الضلال الذي يبعد صاحبه عن الهدى في الدنيا والآخرة ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ أي: هذا الذي ارتد عن الإسلام يدعو الأصنام التي ضررها أقرب من نفعها؛ لأنه بسبب عبادته لها يشرك بالله فتكون النار جزاءه ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ أي: تعس هذا الصنم الذي دعاه من دون الله ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ أي: المعاشر والملازم له.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠١، وتفسير البغوي ص٨٥٩ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم ببطلان دين من يعبد الله وهو شاك في عبادته فيسلم إن كان يرى في إسلامه فائدة دنيوية له، ويرتد إذا وجد في إسلامه خلاف ذلك كحال بعض الأعراب والمنافقين الذين أسلموا يبتغون من إسلامهم منافع لهم في الدنيا. ومن الأحكام: أن عبادة الأصنام سفه في العقل؛ لأن العاقل لا يعبد من لا يضر ولا ينفع، وإنما يعبد من يضر وينفع وهو الله عز وجل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لما بيَّن الله عزوجل أهل الشقاوة وأهل الضلال الذين يجادلون في الله بغير علم ويستكبرون عن عبادته ويعبدون ما لا ينفعهم، بيّن حال المؤمنين الذين آمنوا بالله قولا وعملا، واجتهدوا في فعل الصالحات والطاعات ووعدهم بالجنة بكل ما فيها من النعيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: يجازي المؤمنين بدخولهم الجنة ويجازي الكافرين بما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير وعد الله - ووعده الحق - أنه يدخل الذين آمنوا بالله قولا

وعملا وصدقوا رسوله واتبعوه جنات تجري من تحتها الأنهار، وفي هذا الوعد بشارة للمؤمنين ليعلموا أن الله لن يضيع أعمالهم وإنما يجازيهم الحسنة بعشر أمثالها. ومن أحكام الآية: أن الله بمشيئته النافذة وقدرته المطلقة يفعل ما يريده بحكمته وتقديره فيقول للشيء كن فيكون فتقدست أسماؤه وصفاته.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله ﷺ أو يظن أن الله يقطع عنه النصر الذي أوتيه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ثم ليقطع النصر إن قدر ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ وحيلته ما يغيظه من نصر النبي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن العظيم ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: جليات في ألفاظها وأحكامها تبشر المؤمنين وتنذر العاصين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي: يهدي ويضل بحكمته من يشاء من عباده.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد تعهد بنصر دينه ورسوله محمد ﷺ، ومن أصابه الغيظ من ذلك فليفعل ما يشاء من الحيل لرد هذا النصر مع أنه عاجز عن ذلك. والحكم أن الله قد أنزل القرآن للناس فيه البيان الجلي لشرع الله وأوامره ونواهيه، فإن اتبعوا ما فيه نجوا وإن تولوا عنه هلكوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المراد بهم المسلمون ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ المراد بهم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة لها طقوس مستمدة من ديانات ومعتقدات مختلفة[1]. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى بن مريم. ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ المراد بهم عبدة الكواكب ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ أي: عبدة

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الطائفة في المجلد١، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصابئة نوعان: حنفاء ومشركون. أما الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً للتوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف وهؤلاء مدحهم الله وأثنى عليهم. وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة .. فمن دان منهم بدين أهل الكتاب فهو منهم. كتاب الرد على المنطقيين ج١ ص٤٨٠ .

الأوثان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: سيحكم بينهم يوم القيامة بالعدل، فمن كان مؤمنا بالله مصدقا لرسوله محمد ﷺ دخل الجنة ومن كان غير ذلك لاقى العذاب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد على أقوال العباد وأفعالهم يعلم ما يبدون وما يكتمون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان من الله عز وجل أنه سوف يفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالحق والعدل وهو في الحقيقة فصل بين الحق والباطل؛ فالمؤمنون حين يفدون إلى الله تشفع لهم أعمالهم في الدنيا ويشفع لهم رسول الله ﷺ ويشفع بعضهم لبعض فيحكم الله فيهم بعدله ورحمته فيدخلون الجنة؛ أما المشركون الذين جعلوا مع الله أندادا، واستكبروا عن عبادته فيجدون أنفسهم يوم القيامة دون حجة تشفع لهم فيحكم الله فيهم بعدله فيلاقون العذاب.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾.

بيان الآية:

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم وتتيقن يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يخضع ويذل لعظمته كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ﴾ أي: وتخضع لعظمته هذه الأفلاك التي يعبدها المشركون وما علموا أن الله هو الذي خلقها وأنها تسجد له ﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ أي: وتخضع لعظمته الجبال والأشجار وسائر الدواب وهي كل ما يدب على الأرض من الحيوانات والزواحف ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: ويسجد لعظمته كثير من الناس والمراد بهم الذين آمنوا به وائتمروا بأمره وانتهوا عن نهيه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: ويمتنع عن السجود له من عتا وتكبر فاستحق بذلك العذاب ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ أي: من أهانه الله بالكفر فلا يستطيع أحد إكرامه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: يفعل ما يريد بحكمته وعلمه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تذكير رسول الله ﷺ والمراد أمته أن كل شيء في الوجود يسجد لعظمة الله وشاهده قوله عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2]. وشاهده

---

(١) سورة النحل الآية ٤٨ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٣٧ .

من السنة ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس فلما غابت الشمس قال: (**يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟**) قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: (**فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها**)[١]. وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**)[٢].

وفي هذه الآية أيضاً: أن كل المخلوقات تسبح بحمد الله كما قال عز وجل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٣]. وفيها: أن المستثنى من عدم السجود والتسبيح بعض بني آدم كما قال عز وجل ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فاستوجبوا بذلك العقاب لتكبرهم عن السجود.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢)﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٩٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (٨١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٠٣ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

بيان الآيات:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: تخاصموا في دين الله وقد نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم غزوة بدر وهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[1] ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي: فُصِّل للذين جحدوا دين الله واتبعوا الباطل ثياب من نار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي: يصب فوق رؤوسهم الماء الحار من النار ثم ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ أي: يذاب ويحرق به ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ أي: ويشوي كذلك جلودهم ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي: مطارق يضربون بها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ أي: أنهم يعيشون في النار في ظلمة وغم وألم، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها للخلاص مما هم فيه ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ أي: أرجعوا إلى النار ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: توبخهم ملائكة العذاب وتقول لهم: ذوقوا ما كنتم به تستهزؤون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الخصومة قائمة بين المؤمنين والكافرين إلى يوم القيامة، وأن الكافرين يلاقون أشد العذاب يوم العرض على الله، وقد

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٢، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم)، برقم (٤٧٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٩٧.

تجلت هذه الخصومة منذ أن خلق الله الخلائق فعصى إبليس ربه عن السجود لآدم، وقتل ابن آدم أخاه ظلما وحسدا، واستمر الخصام بين الحق والباطل في كل زمان ومكان وهو ما رأيناه وشهدناه، ولا نزال نشهده ونراه من العداوة لدين الله ومحاربته بشتى أنواع الكيد والافتراء.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية. لما بيّن الله حال المتخاصمين في دين الله بالباطل وما سيلاقونه من العذاب، بيّن حال المؤمنين الصالحين، وأنهم يدخلون الجنة بكل ما فيها من النعيم ولباس الزينة من الذهب والحرير ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ المراد به شهادة ألا إلَه إلا الله ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ أي: أرشدوا إلى صراط الله وهو دين الإسلام.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن المؤمنين الذين خصهم الله بالنعيم

أرشدوا إلى القول الطيب وهو كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ كما أرشدوا كذلك إلى اتباع دين الله الإسلام وتصديق رسول الله محمد ﷺ والإقرار برسالته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾

لما بيَّن عز وجل حال المشركين واختصامهم في دين الله وتكذيبه ذكر من صفاتهم الصد عن سبيل الله، وذلك بمنع الناس من الدخول فيه والصد كذلك عن دخول المسجد الحرام كما فعلوا ذلك مع رسول الله ﷺ عام الحديبية لقوله عز وجل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1].

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ﴾ هذا وصف للمسجد الحرام الذي منع المشركون الناس من الوصول إليه، بينما أن الله جعله عاما لهم، لا فرق فيه بين المقيم وغير المقيم ﴿وَمَن

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٧ .

يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ أي: ينوي فيه فعل الباطل ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: متعمد قاصد ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ أي: يلقى العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

في قوله ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ خلاف حول إيجار وبيع دور مكة، وسبب الخلاف حول ما إذا كانت مكة فتحت عنوة أم صلحا؟ فالقول بأنها فتحت عنوة يعني أنها بالقوة والقهر ولكن رسول الله ﷺ لم يقسمها، بل أقرها لأهلها ولمن بعدهم فتبقى دورها لا تكرى ولا تباع ومن سبق إلى مكان فيها فهو أولى به، وقال بهذا الإمامان أبو حنيفة[١] ومالك[٢] كما قال به الأوزاعي[٣].

ومن قال بهذا: استدل بما روي أن رسول الله ﷺ توفي وأبو بكر وعمر، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب[٤]. وما روي أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال: **(مكة حرام حرمها الله لا تحل بيع رباعها ولا إجارة بيوتها)**[٥]. وما روي أن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج٥ ص١٤٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٣ .

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب أجر بيوت مكة، برقم (٣١٠٧)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٣٧ .

(٥) أخرجه الزيلعي في نصب الراية (ط المجلس العلمي) ج٤ ص٢٦٦، وقال: إسناده ضعيف لإرساله، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٣ ص٢٩٧ .

يارسول الله ألا نبني لك بمنى بيتا أو بناء يظلك من الشمس؟ فقال: (**لا إنما هو مناخ من سبق إليه**)[١].

القول الثاني: أن مكة فتحت صلحا، وقال بهذا الإمام الشافعي واحتج بقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾[٢]. كما احتج بأن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: (**من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**)[٣]. كما احتج بحديث أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله أين تنزل في دارك بمكة ؟ فقال: (**وهل ترك عقيل من رباع**)[٤]. أما الإمام أحمد بن حنبل فله روايتان: رواية أن بيع رباع مكة وإجارة دورها غير جائز، وفي الرواية الثانية: يجوز بيع رباعها وإجارة بيوتها[٥].

قلت: والذي عليه طائفة من السلف أن رباع مكة تورث وتؤجر وهو المعقول وقد دلت عليه الأدلة.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب تحريم حرم مكة، برقم (٢٠١٩)، سنن أبي داود ج٢ ص١٦٨، والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مناخ من سبق، برقم (٨٨١)، سنن الترمذي ج٣ ص٢٢٨ .

(٢) فتح الباري لابن حجر، ج٣ ص٥٢٧، وشرح النووي لمسلم ج٦ ص٣٦٤٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فتح مكة، برقم (١٧٨٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٩٤٢ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها، برقم (١٥٨٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٥٢٦ .

(٥) المغني لابن قدامة ج٦ ص٣٦٤ - ٣٦٧ .

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ هذا تنبيه لرسول الله ﷺ يقول الله فيه: اذكر أننا أسكنا إبراهيم بمكة وأرشدناه إلى مكان البيت لبنائه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ أي: ألزمناه ألا يشرك في العبادة مع الله أحدا ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: نزهه من أرجاس الشرك والمشركين واجعله مكانا خالصا طاهرا للمتعبدين بالطواف والقيام والركوع والسجود ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: ادع الناس إلى الحج في هذا البيت ولما تلقى إبراهيم عليه السلام هذا الأمر، قال: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا يصل إليهم ؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوا، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام

والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة[١].

وقوله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: يأتوك للحج يمشون وركبانا على ضوامر الإبل التي أنهكها السير من طول المسافة ممن هم خارج مكة وهو معنى قوله عز وجل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: من مختلف الطرق والمسالك.

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: يشهدوا منافع لهم في الدنيا والآخرة، فمنافع الدنيا فيما يحصل لهم من التجارة وفوائد السفر، أما منافع الآخرة فحصولهم على رحمة الله ورضوانه جزاء تلبيتهم لندائه ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أي: ويلبون ويوحدون الله في الأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة؛ لقول رسول الله ﷺ: (**ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه**) قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**)[٢]. قوله ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ أي: كلوا من هديكم وأطعموا منه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢١٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٠ ص١٤٤، والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم (٩٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٥٣٠.

الفقراء ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ المراد به حل الإحرام وحلق الرأس أو تقصيره وقص الأظافر ولبس الثياب ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ أي: يذبحوا ما نذروه لله من الأضاحي والهدي ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ المراد به طواف الإفاضة أحد أركان الحج.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب تطهير البيت الحرام كما قال عز وجل ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[1]. والطهارة هنا نوعان: طهارة روحية أو دينية وهي أن يكون كل ما فيه خالصا لوجه الله، فلا يكون فيه مجال للشرك أو البدع أو نحوها. وطهارة مادية وهي أن يكون نظيفا من الأوساخ والأقذار صالحا للمتعبدين لله بالطواف والصلاة. ومنها: أن الحج يكون بالمشي والركوب، والسير إليه راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ، فقد حج راكبا مع قدرته على المشي. ومن الأحكام: وجوب ذكر الله في الحج بالتلبية والاستغفار واستشعار عظمة الله، وخاصة يوم عرفة لقول رسول الله ﷺ: (**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من الأيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد**)[2]. وقوله

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١١ ص٨٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٤ ص١٧ .

عليه الصلاة والسلام: **(ما رئي الشيطان بأصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رُئي يوم بدر)**[١]. ومن هذه الأحكام: جواز الاتجار في الحج، على ألا يكون هذا هو المبتغى منه، فإن فعل الحاج ذلك فليس له من حجه إلا ما ابتغاه لقول رسول الله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)**[٢].

ومنها: فضيلة الأكل من ذبائح الهدي، اقتداء برسول الله ﷺ لما ثبت أنه لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة من لحمها فطبخت فأكل من لحمها وحسا من مرقها[٣]. ومن هذه الأحكام: وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ثم الإفاضة؛ لأن رسول الله ﷺ لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض إلى البيت فطاف به[٤].

ومن هذه الأحكام: وجوب الوفاء بالنذور وهي نحر ما نذر من البدن طاعة لله والمراد بالنذور ما كانت شرعية؛ أما غيرها فيحرم

---

(١) أخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، ج٢ ص٧٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأضاحي، باب الأكل من لحوم الضحايا برقم (٣١٥٨)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٥٥، والإمام أحمد في مسنده ج١ ص٣١٤ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، برقم (١٣٠٥)، بدون ذكر طواف الإفاضة، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٥٣١ .

لقول رسول الله ﷺ: **(من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه)**[١].

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ المراد أن من يجتنب محارم الله ويعظم هذه الحرمة في نفسه فسوف يجزيه الله الجزاء الحسن ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أن جميع الأنعام حلال لكم أكل لحومها إلا ما استثناه الله بقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[٢]. وقوله عز ذكره

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، برقم (٦٦٩٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٨٩ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٣ .

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾[1].

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ أي: اجتنبوا عبادة الأصنام ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الكذب وكل ما يخالف الحقيقة ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مطيعين مخلصين له العبادة ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ أي: غير متخذين إلَها غيره ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مثل المشرك مثل الذي يسقط من السماء لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي: تتلقفه في الهواء ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ أي: توصله إلى مكان يكون فيه بعيدا عن الحق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: الحكم بوجوب تعظيم حرمات الله قولا وعملا، باطنا وظاهرا، سرا وجهرا. ومنها: الحكم بأن الله أحل لعباده سائر الأنعام إلا ما استثناه منها ومن ذلك: الميتة والدم والخنزير وغير ذلك مما ورد نصا في القرآن وفي السنة النبوية. ومن هذه الأحكام: تحريم عبادة الأصنام، ويشمل ذلك كل ما كان فيه عبادة أو تعظيم لغير الله، سواء كان هذا التعظيم مباشرا أو غير مباشر، ومن ذلك تعظيم بعض الأشخاص كالزعماء أو المتنفذين باسم الدين ونحوهم.

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٠٣ .

ومنها: تحريم قول الزور وهو كل قول أو فعل يغيِّر الأمور عن حقائقها أو صفاتها، ومنه شهادة الزور؛ ففي حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**) قلنا بلى يا رسول الله قال: (**ثلاثة الإشراك بالله وعقوق الوالدين**) وكان متكئا فجلس فقال: (**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**) فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت[(١)].

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ شعائر الله أحكامه وأوامره ونواهيه ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: لا يعظمها إلا من كان قلبه تقيا ومن شعائر الله تعظيم البدن وكل ما يهدي لله كان يكون الهدي وما في حكمه سمينا طيبا؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا. قوله ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي: إن لكم في الهدايا والبدن منافع جمة ومن ذلك صوفها وأشعارها وأوبارها فضلا عن ركوبها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أن لكم منافعها إلى وقت ذبحها يوم العيد وأيام التشريق ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: مكان الهدي البيت العتيق وهو مكة والحرم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤١٩ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب تعظيم شعائر الله، وهي حرماته والدلالة على أن هذا التعظيم لا يكون إلا من قلوب تقية. ومن الأحكام: مشروعية الانتفاع من البدن والهدايا إلى أن يحين الوقت الذي تذبح فيه.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ لما بيّن الله تعالى الهدايا والبدن التي جعلها من شعائره في الحج بيَّن أن لكل أمة من الأمم المؤمنة ذبائح يتقربون بها إلى الله حسبما نزل عليهم وذلك ﴿ لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ أي: وأوجب عليهم أن يذكروا اسم الله عند ذبح أنعامهم ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي: إلَه الأمم كلها واحد هو الله الذي لا إلَه غيره ولا رب سواه ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ أي: استسلموا له وأطيعوه ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ المراد بهم المتذللون لله الخاضعون لعظمته ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: الذين إذا ذكر ربهم وجلت قلوبهم خشية منه ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ أي: يصبرون عند المصائب ولا يجزعون منها ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ﴾ أي: الذين يؤدونها بشروطها وأركانها في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: يزكون أموالهم ويتصدقون منها على الفقراء والمحاويج.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله شرع للأمم دينا واحدا هو الإسلام كما قال عزوجل ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]. ومن الأحكام: وجوب ذكر الله عند ذبح القربان فإن لم يسمّ عليه حرم أكله لقول الله جل ثناؤه ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[3]. وفي الآيتين تقرير البشرى للمخبتين الذين يخشون الله ويخافون أن يقصروا في طاعته.

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ

(١) سورة الحج من الآية ٧٨ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١١٨ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١١٩ .

وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ هي الإبل والبقر ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: هي من مظاهر عبادة الله ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ أي: إن لكم في ذبحها تقرباً إلى الله ثواباً مدخراً لكم عنده ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّ﴾ أي: إذا صفت قوائمها معقولة يدها اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا نزلت على الأرض بعد الذبح وفارقت الحياة وانتهى حراكها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ القانع المقيم في بيته مستغنيا، ويقنع بما يعطى له والمعتر الذي يتعرض للرجل، ولكن لا يسأله شيئا بسبب عفته ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ أي: طوعناها وذللناها لكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على نعمه وما سخره لكم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند ذبحها كما سبق ذكره، وأن يكون نحر الإبل بعد صف قوائمها وعقل أيديها اليسرى وتحريم الأكل منها قبل التأكد من موتها وسكون حركتها، وقد ضحى رسول الله ﷺ بكبشين في يوم عيد ثم قال حين وجهها إلى القبلة: (**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا**

شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)[١]. وفيها: الأمر بإطعام الفقراء والمساكين والمحاويج منها. وفيها: وجوب شكر الله على ما أنعم به على عباده من تسخير الأنعام لمنافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٧﴾.

بيان الآية:

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ كان المشركون في جاهليتهم إذا ذبحوا القرابين لآلهتهم يضرجون البيت بدمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن أحق بذلك منهم فنزلت هذه الآية[٢]. والمراد أن الله لا يناله شيء من لحوم الهدايا أو الأضاحي أو النذور، فهو أعز وأسمى وأغنى عن ذلك وإنما يناله تقوى عباده فيتقبل منهم ما تقربوا به إليه ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي: ذللها وطوعها لكم وهي أكبر وأقوى منكم وما ذاك إلا ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: تذكروا اسمه عند ذبحها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: بشر يا محمد المحسنين الذين يتقربون إلى الله يبتغون رضاه ويخافون عذابه.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأضاحي، باب أضاحي رسول الله ﷺ، برقم (٣١٢١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٤٣ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٩٥٩، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢١٧ .

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب التسمية والتكبير عند ذبح الهدايا أو الأضاحي أو كل ذبح يتقرب به إلى الله، كالنذر أو الصدقة، وقد سبق ذكر ما كان يفعله رسول الله ﷺ لما ذبح كبشين أقرنين قال: (**إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا**) إلى قوله (**وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته باسم الله والله أكبر**) ثم ذبح[1].

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قيل: إن المسلمين لما كثروا بمكة ثم تعرضوا لأذى المشركين، فهاجر منهم من هاجر وبقي آخرون، أراد بعضهم أن يغتال ويحتال على من قدر عليه من الكفار فنزلت هذه الآية[2] وقيل: غير ذلك، وأيا كان السبب فإن الله عز وجل تكفل بالدفاع عن المؤمنين من كيد الكائدين وأن يحفظهم من شر الأشرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحب من يخون من عباده أو يغدر أو يجحد ما أنعم الله عليه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٦٧.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوعد الله الصادق للمؤمنين بالدفاع عنهم كما قال عز وجل ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]. وفيها: الحكم بتحريم الخيانة أو الغدر وفي الحديث: (**أن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان**)[3].

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ هذه أول آية نزلت في قتال المشركين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما أوذي وأخرج من مكة قال أبو بكر: لقد أخرجوا نبيهم إذا ليهلكن، فأنزل الله هذه الآية فقال

---

(١) سورة الزمر من الآية ٣٦ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، برقم (٦١٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٧٨ .

أبو بكر: عرفت أنه سيكون هناك قتال[١]. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على نصر عباده المظلومين على أعدائهم دون أن يكون هناك قتال، ولكنه بحكمته أراد من عباده القتال من أجل أن يمتحن بلاءهم وصبرهم وجهادهم في نصرة دينه.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ المراد به الذين أخرجوا من مكة إلى المدينة، ظلما وعدوانا وهم محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لم يكن لهم ذنب ولا خطيئة، إلا أنهم وحدوا الله ونبذوا الشرك وتبرؤوا مما كان يفعله قومهم من عبادة الأصنام ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: لولا أن أهل الإيمان يقاتلون أهل الباطل لتغلب هؤلاء على الأرض ففسدت، وهذا يؤدي إلى تهديم صوامع الرهبان وكنائس النصارى و(صلوات) أي: معابد اليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ أي: مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله ويسبح له فيها بالغدو والآصال ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: إن الله ينصر من ينصر دينه ويقاتل من أجله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: قوي قادر على فعل ما يريد وهو عزيز بقدرته وعظمته.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٣-٥٠٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٠ ص١٧٢، وتفسير البغوي ص٨٦٩.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: الإذن للمؤمنين في أي زمان ومكان أن يقاتلوا من أجل دينهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. ومنها: وعد الله للمؤمنين بالنصر إذا فعلوا ذلك كما قال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ الآية[1]. ومنها: أن من أخرج من دياره يعد مظلوما ويحق له الإذن بقتال من ظلمه، ولو كان الذي أخرج من دياره كان كافرا؛ لأن هذا يعد من باب الظلم، وقد حرم الله الظلم للمؤمنين والكافرين دون استثناء.

ومن هذه الأحكام: أن من سنن الله في خلقه أنه يدفع بأناس عن أناس آخرين حتى لا يعم الفساد في الأرض، فتهدم دور العبادة، وهذا يقتضي أن يكون المسلمون أقوياء حتى يردوا الظلم عنهم وعن غيرهم. ومنها: الحكم بأن الله ينصر من ينصر دينه لقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[2].

وقوله جل ثناؤه ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[3]. وقوله عز ذكره

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

(٢) سورة محمد الآية ٧ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[1].

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لما قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ وصف المنصورين بأنهم رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنهم هم الذين ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وكما هو وصف لرسول الله ﷺ وأصحابه، فهو حكم ووصف دائم للمؤمنين في أي زمان ومكان إذا كانوا على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: عنده الجزاء الحسن للمؤمنين الذين ينصرون دينه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله يجعل السلطان والقوة في الأرض للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قلت: وربما يقول قائل فما بال الذين في أيديهم السلطان والقوة

---

(١) سورة المجادلة من الآية ٢١ .

في هذا الزمان؟ وهم يظلمون عباد الله ويتسلطون عليهم، فيجاب بأن الله عزوجل يبتلي من يشاء من عباده، ليرى مدى جهادهم وقوتهم وصبرهم في سبيله وليس من شك بأن الذين يؤمنون بالله حق الإيمان ويتوكلون عليه حق التوكل ويصلحون أنفسهم ومن تحت أيديهم ويتعلمون فنون القتال لابد أن ينصرهم الله؛ لأن الله وعد بذلك ووعده الحق في قوله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1]. وقوله ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[2].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ في هذا تسلية

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٠ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٢١ .

لرسول الله ﷺ عما أصابه من قومه، والمعنى إن كذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح نبيهم ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ أي: كذب هؤلاء أنبياءهم ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ أي: وكذلك كذب اليهود موسى ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أي: رغم تكذيب هؤلاء القوم لأنبيائهم ورسلهم فقد أخرت العذاب عنهم إملاء لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ أي: أنزلنا عليهم العذاب الذي أهلكهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الاستفهام للتقرير والتحقيق، أي: انظر كيف أهلكناهم وحولنا النعم التي كانوا فيها إلى عذاب استأصلهم فكذلك أفعل بالمشركين.

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أي: كم من قرية أهلكناها والمراد به كثرة القرى التي أهلكت بسبب ذنوبها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ أي: بكفرها وتكذيبها لرسلها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي: ساقط أعلاها على أسفلها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي: متروكة، لا أحد يستفيد منها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ أي: حصين منيع لم يبق فيه أحد.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ المراد به المشركون في مكة والمعنى ألم يسافروا بأبدانهم ويبصروا بعقولهم كيف أهلكت تلك القرى وأصحبت أثرا بعد عين؟ ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ أي: يتفكرون بها ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: يستمعون لما حل بغيرهم من الأمم

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما هو عمى البصيرة عن معرفة الحق من الباطل كما قال عز وجل ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: لم يكن عمى هؤلاء المشركين في أبصارهم، فهم يبصرون ما حل بالأمم الهالكة قوم هود وقوم صالح، ولكن قلوبهم هي التي عميت عن معرفة الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن تكذيب المشركين في مكة لرسول الله ﷺ لم يكن حالة استثنائية، وإنما كان تكذيب الأمم لرسلهم حالة عامة، ومع انتهاء إنزال الرسل وختمهم بمحمد ﷺ فإن المكذبين للحق لا يزالون موجودين على الأرض، وسوف يلاقي دعاة الحق عناء منهم فيجب عليهم أن يصبروا كما صبر الرسل. وفيها: الحكم أن الله بقدرته يهلك الأمم الظالمة، وأن تأخير العذاب لها إلى أجل مسمى تقتضيه حكمة الله؛ لأن لكل أجل كتاباً. وفيها: تقرير أن العبرة ليست في البصر والسمع، وإنما هي العقل.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المراد بهم الكفار الذين يكذبون بالبعث ويزعمون أنهم لن يبعثوا بعد موتهم كما قال كفار قريش وعلى رأسهم النضر بن الحارث -كما سبق ذكره- ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. وقولهم ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]. ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: لن يخلف ما وعد به من قيام القيامة وعذاب الكافرين فيها أو التعجيل لهم بالهلاك كما أهلك الأمم المكذبة من قبل ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: أن اليوم الذي عند الله يساوي في حساب الخلق ألف سنة ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: كم من قرية أمهلتها رغم ظلمها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ أي: أهلكتها بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع لجميع الخلائق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير سفاهة عقول المشركين الذين يستهزئون

---

(١) تفسير البغوي ص٨٧٠، والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٧٧، والآية في سورة الأنفال من الآية ٣٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ٧٠.

بوعد الله ويزعمون أنه لا حياة لهم بعد موتهم كقولهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]. وفيها: توكيد أن الله يحقق وعده إن آجلا أو عاجلا وفيها: تقرير اختلاف حساب الأيام والشهور والسنين عند الله عما عند العباد في الحياة الدنيا. وفيها: تقرير أن الله يمهل للظالمين ثم يأخذهم بالعذاب.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لأهل مكة وغيرهم إنما أنا منذر لكم من عذاب الله إذا كذبتم ما جئتكم به وعصيتم ما أمركم ربكم به من توحيده وطاعته ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: جئتكم أبيِّن لكم ما أمركم الله به ونهاكم عنه، فإن أطعتموني فسوف تجزون بأحسن مما تعملون، وإن كذبتموني، فعاقبة ذلك خسرانكم في الدنيا والآخرة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الذين آمنوا بالله وصدقوا ما جاءهم من عنده ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: سوف يغفر الله لهم ما سلف من ذنوبهم

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤.

ولهم رزق كريم هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: الذين عملوا لصد الناس وصرفهم عن دين الله وتزيين الشرك لهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: أهل النار المخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله أرسل رسوله محمدا ﷺ ينذر الناس أيا كانوا في زمانهم أو مكانهم عن الشرك بالله ويبيِّن لهم رسالة الله إليهم، وهي توحيده وطاعته والائتمار بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه. وفيها: تقرير أن الله يغفر ما سلف من ذنوب المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله، أما الذين يثبطون الناس ويصرفونهم عن دين الله فسوف يلقون جزاءهم في الجحيم، وهذا وعيد لمن سلف من الكافرين ووعيد دائم لمن كان على طريقتهم في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن

رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[١] أي: ما حدث قبلك يا رسولنا محمداً من رسول أو نبي إلا وألقى الشيطان في حديثه، ليفسد هذا الحديث ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يزيله ويبطله ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾ أي: يثبت الله آياته بعد أن يزيل عنها ما ألقاه الشيطان فيها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم ما كان وما يكون في الكون ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: بما يدبره ويصرفه فيه ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: ليجعل ما يلقيه الشيطان

---

(١) قيل إن رسول الله ﷺ كان يقرأ حول الكعبة سورة النجم والمشركون يسمعونه فلما بلغ قول الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ألقى إبليس في سمع المشركين هذه الكلمات: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لترتجى ففرح المشركون بما سمعوه اعتقادا منهم أن رسول الله ﷺ قرأها وأن الله أنزل ما قالوا فلما سجد في آخر سورة النجم سجدوا معه إلا أمية بن خلف لكبره وأخذ حفنة من تراب فسجد عليها ثم شاع بينهم أن محمدا قد تصالح مع قومه فسمع بذلك الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة فرجعوا فحزن لذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية تسلية له قال الإمام ابن كثير إن كثيرا من المفسرين ذكر هذه القصة ولكنها كلها من طرق مرسلة ولم أرها مسندة من صحيح: المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير ص ٩٠٠ - ٩٠١ قلت: وما قاله الإمام ابن كثير هو الصحيح. وقد أورد الشيخ الألباني في كتابه «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» بطلان هذه القصة من أساسها سنداً ومتناً.

في حديث الرسول أو النبي فتنة للمنافقين والكافرين ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركون والطغاة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: في ضلال وبعد عن الحق المبين.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: يعلم الذين نور الله عقولهم وبصائرهم بالعلم أن القرآن الذي أوحيناه إليك هو الحق الذي لا مراء فيه منزل من ربك محفوظ عنده في اللوح المحفوظ فيؤمنوا به ويصدقوه ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تطمئن وتسعد به ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يرشدهم في الدنيا إلى اتباع طريق الحق واجتناب الباطل ويرشدهم في الآخرة إلى الجنة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله ما أرسل قبل محمد ﷺ من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى (أي: قرأ) ألقى الشيطان في قراءته ما يوسوس به له كيداً له، ولكن هذا الالقاء سرعان ما يزول؛ لأن الله قد عصم رسله وأنبياءه من وساوس الشياطين وكيدهم. وفيها: تقرير أن هذا الإلقاء من الشيطان فتنة لمرضى القلوب من المشركين والمنافقين والكافرين. وفيها: تقرير أن الظالمين يكونون دائما في بعد عن الحق.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: لا يزال المشركون والكافرون في شك وارتياب من القرآن ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: تأتيهم فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ والمراد ما حدث لهم يوم بدر من هزيمة وقتل وخزي ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أن الله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن هو الذي يحكم بينهم بالعدل ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: أن للذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا بما جاءهم به من الصالحات كالصلاة وإيتاء الزكاة لهم جنات النعيم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد بهم المكذبون المعرضون عما جاءهم به رسول الله من البيِّنات ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: سيكون لهم عذاب يوم القيامة يهانون ويذلون فيه أمام الخلائق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الكفار الأولين والمتأخرين منهم لا يزالون في شك وريب مما جاء به القرآن من البينات الدالة على عظمة الله وقدرته، وعلى ما أرسل به رسوله محمداً ﷺ من العلم والهدى. وفيها: تقرير أن الساعة لا تقوم إلا بغتة كما سبق ذكره في آيات أخرى. تقرير: أن الله يحكم يوم القيامة بين خلقه؛ فالمؤمنون الصالحون يجزون بالجنة والكافرون المكذبون يجزون بالعذاب في نار جهنم.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن فضل الذين هاجروا من ديارهم للقتال في سبيله وإعلاء كلمته ثم قتلوا أثناء قتالهم أو ماتوا في غير القتال أن الله سوف يرزقهم الرزق الحسن في الآخرة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: هو خير وأعظم وأجل

والقادر على رزق عباده ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ أي: يدخلهم الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يهاجر في سبيله، حليم عليه، فيكفر ذنوبه؛ بسبب هجرته إليه.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من مشركي مكة التقوا قوما من المسلمين في ليلتين بقيتا من شهر المحرم، فقال المشركون: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم واقتلوهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في هذا الشهر فأبى المشركون إلا قتالهم فاضطر المسلمون لقتالهم فنصرهم الله عليهم ولكن حدث في نفوسهم شيء من ذلك فأنزل الله هذه الآية[1] والمعنى من عاقب بمثل ما عوقب عليه فلا جناح عليه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: حصل الأذى والإخراج من دياره ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ أي: يمكنه من عدوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: يعفو عن ذنوب المؤمنين الذين قاتلوا في الشهر الحرام.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من خرج للجهاد في سبيل الله ثم قتل أو مات صار له أجر عظيم، لا فرق في ذلك بين من يقتل أو يدركه

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٨٧٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٩٦٤ .

الموت دون قتال وقيل: إن عثمان بن مظعون لما مات بالمدينة قال بعض الناس: من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه[١] فنزل قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ مسويا بينهم في الأجر ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾[٢]. كما يشهد لذلك قصة أم حرام، فقد صرعت عن دابتها فماتت وقد قال لها رسول الله ﷺ: **(أنت من الأولين)**[٣]. وفيه أيضا: حديث عبد الله بن عتيك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خرج من بيته مهاجرا في سبيل الله عز وجل ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن، وقال: وأين المجاهدون؟ فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله عز وجل، والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ فمات فقد وقع أجره على الله ومن قتل فقضى فقد استوجب المآب[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٨٨ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٠٠ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم (١٩١٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٢٧٨ .

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٥ ص٢٧٦، وأحمد في المسند ج٤ ص٣٦ .

ومن الأحكام في الآية: أنه يجوز لمن عوقب أن يعاقب من عاقبه بمثل ما عاقبه به كما قال تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ في هذا بيان من الله عن عظمته وقدرته وأنه يُدخل جزأ من الليل في النهار وجزأ من النهار في الليل، فمرة يطول الليل ويقصر النهار، ومرة يقصر الليل ويطول النهار، وهكذا في نظام دقيق لا يقدر عليه إلا الله مالك الملك مدبر الكون ومصرفه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده بصير بهم فيدبرهم كيف شاء ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لما بيَّن عز وجل قدرته في تصريف الكون بيَّن أنه الإلَه الحق الذي لا يعبد إلا هو، ولا يدعى إلا هو، ولا يرتجى إلا هو، ولا يخشى إلا هو ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠ .

﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: أن ما يعبد من الأوثان والأصنام وغيرها فهو باطل، وعمل صاحبه مردود عليه، ومعاقب عليه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: العلي فوق كل علو الكبير المتعال.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عظمة الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه مدبر الكون المتصرف فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

﴿مُخْضَرَّةً﴾ هذا من كمال قدرة الله وعظيم سلطانه فهو ينزل المطر من السماء فتتحول الأرض من الموت إلى الحياة، فتصبح مخضرة من النبات الذي يتنوع في ألوانه وأوصافه كما قال عز وجل ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: رؤوف بعباده فيرحمهم عندما تصيبهم الضراء والبأساء، وهو خبير بأحوالهم في معاشهم وغناهم وفقرهم ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك الكون كله علوه وسفله وما فيه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: الغني عن خلقه كما قال عزوجل ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[2]. والحميد في أفعاله وصفاته والمحمود من خلقه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهذه أيضا من نعم الله على خلقه، فقد سخر لهم الحيوان، وسخر لهم النبات، وسخر لهم الجماد، وذلل لهم كل شيء في الأرض ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: وجعل السفن بأحمالها وأثقالها تسير في البحار رغم ظلمات البحر وأمواجه المتلاطمة، فتحمل هذه السفن أموال العباد وأنفسهم ومختلف

---

(١) سورة الحج من الآية ٥ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

حاجاتهم ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو الذي يمسك السماء من السقوط على الأرض كما قال عزوجل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾[1]. ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ أي: لو شاء لأسقطها عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يرحمهم رغم كفرهم وعصيانهم له واستكبارهم عن عبادته كما قال عزوجل ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾[2].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾ أي: أن الله هو الذي خلقكم من العدم ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم ثم يحييكم أي: يبعثكم أحياء من قبوركم ليوم الحساب والجزاء ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ أي: ومع كل ما أوتيه الإنسان من النعم فإنه يجحد ويكفر بآيات الله وينسى ما أنعم به عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الدلائل والبينات على ربوبية الله وعظمته وكمال قدرته وعظيم سلطانه في إنعامه على خلقه. وفيها: تقرير أنه رغم كفر الناس وجحودهم لنعم الله وفضله عليهم بما سخر لهم في الأرض، فإنه يرأف ويلطف بهم، ولا يؤاخذهم بذنوبهم.

---

(١) سورة لقمان من الآية ١٠.

(٢) سورة النحل من الآية ٦١.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: شرعا ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: متعبدون به ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: لا ينازعك أحد فيما جئت به من الشرع لأمتك، ومن نازعك فلا تحفل به. قيل: إن هذه الآية نزلت بسبب جدال المشركين في أمر الذبائح، فكانوا يقولون للمؤمنين كيف تأكلون ما ذبحتم ولا تأكلون ما ذبح الله ويريدون بذلك الميتة[١]. ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: استمر في دعوتك إلى رسالتك، فأنت على صراط مستقيم واضح ولا تحفل بما ينازعونك فيه ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: إن جادلك المشركون بالباطل كما هي عادتهم فقل لهم: الله أعلم بما تعملون من الافتراء وتكذيب آياته وبيناته وما جئتكم به من عنده ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيحكم بينك يا محمد وبين قومك فيعرف أهل الشرك بطلان عملهم ويجزون بالعدل على باطلهم.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٨٧٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الله أرسل إلى كل أمة رسولا يبلِّغهم رسالة ربهم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ﴾(١). فمن آمن بك منهم يا محمد واتبع ما جئت به فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن نازعك فلا تحفل به فإنك على دين مستقيم. وفي هذه الآيات: التوجيه بترك الجدال؛ لأن من يجادل في أسس الدين وأصوله، إنما يجادل عناداً فلا ينفع معه علم ولا هدى.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يجب أن تعلم يا محمد أنت وكل الخلق أن الله يعلم ما في السماء والأرض ما كان فيها وما يكون وما هو كائن كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾(٢). وقوله عز ذكره ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

---

(١) سورة النحل من الآية ٣٦ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٢ .

وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[١]. قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: أن مقادير الخلق وأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم مكتوبة في اللوح المحفوظ، وفي ذلك: قال رسول الله ﷺ: (**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب ماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**)[٢].

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بربوبية الله وإحاطته المطلقة بكل ما في الوجود العلوي والسفلي من عظائم الأمور وصغائرها. وفيها: الحكم أن جميع أمور الخلق حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأمور الكون كله مسجلة في اللوح المحفوظ لا يعزب عن الله شيء منها.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

---

(١) سورة سبأ من الآية ٣ .

(٢) أخرجه أبو داود ج٤ ص٢٣٥، والترمذي في كتاب التفسير، باب (٦٦)، برقم (٣٣١٩) سنن الترمذي ج٥ ص٣٩٤، وأحمد في المسند ج٥ ص٣١٧ .

بيان الآيتين:

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ المراد بهم مشركو مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: يعبدون ما ليس لهم في عبادته حجة ولا برهان ولا دليل ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: وليس لديهم في عبادته دليل علمي أو عقلي، وإنما هو تقليد لآبائهم في ضلالهم في عبادتهم للأصنام ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: ليس لهم ناصر ينصرهم إذا حل بهم العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: إذا يتلى عليهم القرآن، بما فيه من الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته ووجوب توحيده ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: ترى في وجوههم الغضب ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يعتدون عليهم ويبطشون بهم ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المراد قل لهم يا محمد: إن النار أشد من الذي يكرهون سماعه وقد وعدها الله الذين كفروا وكذبوا القرآن وأعرضوا عن آيات الله وأحكامه ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: وبئس النار مقرا ومآلا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يعلم بعلمه المطلق كل ما في السموات والأرض ما كان

فيها وما يكون وما هو كائن، فيعلم مقادير أعمار الخلق وأعمالهم وأسرارهم وعلانيتهم لا يعزب عنه مثقال ذرة فيها. تقرير: أن عبدة الأصنام جهال وسفهاء؛ لأنهم يعبدون ما ليس لهم فيه دليل من علم أو عقل، وإنما هم متبعون لأسلافهم في ضلالهم كقولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]. تقرير: أن الكفار يغضبون إذا تليت عليهم آيات الله، وما علموا أن النار التي تنتظرهم هي أشد ألما عليهم من الكره الذي يعانونه في نفوسهم أثناء سماعهم لهذه الآيات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ المثل المضروب هو ما يعبده المشركون من الأصنام ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ أي: أنصتوا لسماعه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٣ .

لَهُۥ ﴾ أي: إن الأصنام التي يعبدها المشركون من دون الله وعددها ثلاثمائة وستون صنما لو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوا ذبابا لما استطاعوا ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ أي: لو أن الذباب جاء إلى هذه الأصنام وسلب منها ما كان يضعه المشركون عليها من الطعام وغيره لم تقدر على استنقاذها منه لو أرادت ذلك ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ أي: ضعف العابد لهذه الأصنام وضعفت هذه الأصنام ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي: لم يعظموه حق عظمته ولم يقدروه حق قدره، وهو الذي خلقهم وتكفل بأرزاقهم فجعلوا معه أصناما يعبدونها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: القوي الذي لا يضاهيه أحد في قوته، والعزيز الذي علا وتنزه عن الشركاء والأنداد والأمثال.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين مشروعية ضرب الأمثال، لما يكون فيها من تقريب المعاني إلى الأفهام. وفيها: الحكم بأنه لا أحد من الخلق يستطيع خلق أحقر شيء مما خلقه الله كالذباب، ولا أحد أظلم ممن يقول إنه يستطيع ذلك لقول رسول الله ﷺ: (**قال الله عزوجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعرة**)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ برقم (٧٥٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٣٧ .

وفيها: الحكم بأن من جعل مع الله شريكا في عبادته ما قدره حق قدره، فاقتضى ذلك وعيده بالجزاء يوم الحساب.

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قيل: إن الوليد بن المغيرة المخزومي قال: كيف أنزل عليه القرآن من بيننا؟ فنزلت الآية[1] وفيها: بيان أن الله يختار من يشاء من عباده من الملائكة ومن الناس كما هو الحال في اختياره محمدا ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ أي: يسمع أقوال عباده وهو بصير بمن يختاره منهم لإبلاغ رسالته ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: يعلم ما بين أيدي الرسل الذين يرسلهم وما خلفهم فلا يخفى عليه شيء من دعوتهم في إبلاغ رسالاته ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: الأمر كله يرجع إليه فيمن يختار من الملائكة، أو من الناس لرسالته.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٩٨.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يختار لإبلاغ رسالته من يشاء من عباده لإبلاغ رسالته كاختياره من الملائكة جبريل وميكائيل، واختياره من الناس محمدا ﷺ وغيره من الرسل. وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته المقتضية لوجوب إفراده بالعباده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ هذا نداء بمعنى الأمر من الله لعباده المؤمنين أن يركعوا ويسجدوا، والمراد به الركوع والسجود في الصلاة المفروضة والنافلة؛ لما فيه من تعظيم الله وذكره لقول رسول الله ﷺ: (**أما الركوع فعظموا فيه الرب**

وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم)[١].

ويشمل السجود: السجود عند الآيات التي فيها ما يدل عليه كما في هذه السورة من سجدتين ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: أطيعوه فيما أمر به وما نهى عنه ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ أي: افعلوا ما تستطيعونه من عمل الخير كالصدقة والبر والإحسان وما فيه نفع للعباد في دينهم ودنياهم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: تفوزون بمرضاة الله ورحمته لكم. ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ المراد به جهاد أهل الكفر وجهاد النفس بالتغلب على هواها وعلى وساوس الشيطان وأوامره ونزغاته ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: اختاركم على سائر الأمم؛ لحمل رسالته وفضلكم عليهم بأن جعلكم شهداء عليهم يوم القيامة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ أي: لم يكلفكم ما لا تستطيعون ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: سماكم المسلمين قبل محمد ﷺ ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: سوف يشهد عليكم، بأنه بلغكم الرسالة ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: وسوف تشهدون أنتم على الناس أن رسلهم قد بلغوهم رسالات

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم (٤٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٦٩٢ .

ربهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: أدوا ما فرض الله عليكم من إقامة الصلوات في أوقاتها، وأدوا زكاة أموالكم لمستحقيها من الفقراء والمساكين والمحاويج ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: استعينوا به، والجؤوا إليه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: معينكم ومتوليكم وناصركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: نعم الولي ونعم الناصر، فلا ولي ولا ناصر إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: أولها: الأمر بالركوع والسجود دلالة على أداء الصلاة خاصة المفروضة وثانيها: الأمر بفعل الخير، وهذا يقتضي فعل كل ما فيه خير مما شرعه الله أو حث عليه كما يقتضي من وجه آخر كف الأذى ومنع الشر الذي نهى الله عنه وحذر منه. وثالثها: الأمر بالجهاد ويراد به إعلاء كلمة الله ويدخل فيه جهاد النفس ومغالبة الهوى وقول الحق كما قال رسول الله ﷺ للرجل الذي سأله عند الجمرة الثانية وجمرة العقبة أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: (**كلمة عدل عند سلطان جائر**)[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم (٤٣٤٤)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٩، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم (٢١٧٤)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٠٩، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠١١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٩ .

ورابع الأحكام: أن الله عز وجل قد رفع الحرج عن الأمة وقد تباينت الآراء حول المراد من هذا الرفع والصحيح أن الله لم يكلف عباده فعل ما لا يطيقونه من الأعمال كما قال عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١]. ومن ذلك أنه خفف الصلاة عن المسافر بالقصر ورفع الحرج عن المكلف إذا أخطأ في معرفة القبلة كما قال عزوجل ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٢]. وخفف عن المريض الذي لا يقدر على الصيام، وخفف عن المرضعة والحامل إذا خافتا على وليدهما وفي هذا كله: قال رسول الله ﷺ: (**ولكنني بعثت بالحنيفية السمحة**)[٣]. ورفع الحرج المراد هو عن متبعي شرع الله، أما العصاة الذين يتمردون على أحكام الله ويتعدون حدوده فيقع عليهم الحرج.

وخامس الأحكام: شرف أمة المسلمين حيث جعلهم شهودا على الأمم كما قال عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١١٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٢٦٦ .

(٤) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون

مكية وآياتها مائة وثماني عشرة آية

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فاز المؤمنون فوزا عظيما وقد وصفهم الله بقوله عز وجل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع من أهم آداب الصلاة، وقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى السماء حين الصلاة فأنزل الله هذه الآية[1] توجيها له وأمته بوجوب الخشوع فيها والخشوع نوعان: أحدهما خشوع القلب وهو الأهم؛ لأنه إذا خشع

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٨ .

خشعت الجوارح. النوع الثاني خشوع الجوارح عن الحركة مالم تكن ضرورة عارضة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ اللغو: قول الباطل، وكل قول أو فعل فيه معصية لله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ المراد بهم الذين يخرجون زكاة أموالهم طيِّبة بها نفوسهم فينفقونها حسبما فرضها الله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ أي: يكفون عما حرم الله عليهم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ وهذا الوصف يشمل الكف عن الزنا واللواط فلا يقربون إلا أزواجهم الذين عقدوا عليهم عقدا شرعيا أو ما ملكت أيمانهم من السراري حال وجودها.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ أي: من ابتغى غير زوجته أو أمته فيعد معتديا على أحكام الله منتهكا لحرماته. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يحافظون على أماناتهم، فلا يخونون ما ائتمنهم الله عليه من الأحكام وما ائتمنهم عليه الخلق في المعاملات ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يحافظون على أدائها في وقتها وعدم التهاون أو التساهل فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ أي: الوارثون لمنازل الجنة كما بيَّنه عز وجل بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الفردوس: أعلى منزلة في الجنة وفيه قول رسول

الله ﷺ: (فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)[(١)].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب الخشوع في الصلاة، وقد تباينت الآراء فيه فقيل: إنه من مكملات الصلاة وآدابها، وقيل: إنه واجب من واجباتها، ولعله فرض من فرائضها؛ لأن الله مدح الخاشعين في الصلاة ووصفهم بالفلاح وهذا يقتضي بالمفهوم المخالف أن غير الخاشع في الصلاة لا يعد من المفلحين.

ومنها: أن على الرجال حفظ فروجهم إلا على أزواجهم وهذا يقتضي تحريم العميرة أو ما يعرف بالاستمناء. كما يقتضي تحريم اللواط، وتحريم نكاح المتعة، وكل نكاح لا تتوفر فيه الشروط الشرعية للنكاح. وإذا كان هذا الحكم يشمل الرجال نصا، فهو يشمل النساء من وجه آخر؛ ذلك أن الله أوجب عليهن إحصان فروجهن كما قال عزوجل لنبيه ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الآية[(٢)]. وقال في حق مريم عليها السلام مادحاً لها ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[(٣)]. ومنها: أن من ابتغى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، برقم (٧٤٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤١٥ .

(٢) سورة النور من الآية ٣١ .

(٣) سورة التحريم من الآية ١٢ .

غير ما أحله الله له من الزوجة فقد تعدى على أحكام الله وانتهك حرماته. ومن هذه الأحكام: وجوب أداء الأمانة، فمن خانها عد من أهل النفاق لقول رسول الله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)**[١].

ومنها: وجوب المحافظة على الصلوات في أوقاتها المخصوصة كما قال عزوجل ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٢]. أي: مفروضا في الأوقات وهذا يقتضي حكما عدم تأخيرها عن أوقاتها؛ لأن ذلك يدخل في باب الوعيد بالويل، وهو واد في جهنم كما قال عز وجل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[٣]. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٤] أي: غافلون وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: **(الصلاة على وقتها)** الحديث[٥].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .
(٢) سورة النساء من الآية ١٠٣ .
(٣) سورة الماعون الآية ٤ .
(٤) سورة الماعون الآية ٥ .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، برقم (٥٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٢ .

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المراد بالإنسان آدم وذريته، وقد استل الله خلقه من الطين كما قال عز وجل ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[1].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ أي: بدأ خلقه من قطرة المني التي تخرج من صلب الرجل ومن ترائب المرأة كما قال عز وجل ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[2]. ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾[3]. ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[4]. ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ أي: رحم المرأة حيث تستقر هذه النطفة إلى قدر معلوم. ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي: حولنا هذه النطفة إلى دم متجمد على شكل العلقة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ أي: حولنا العلقة إلى قطعة من اللحم غير متشكلة

---

(١) سورة الروم الآية ٢٠ .

(٢) سورة الطارق الآية ٥ .

(٣) سورة الطارق الآية ٦ .

(٤) سورة الطارق الآية ٧ .

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ أي: صيرنا هذه القطعة من اللحم إلى صورة يتبين منها شكل الإنسان ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: أضفنا على هذا الشكل اللحم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي: تم نفخ الروح فيه؛ ليكون بشرا سويا يسمع ويبصر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: تقدس وتعظم على صنعه وعظيم إتقانه.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال نشأة الإنسان وتدرج هذه النشأة من طين ثم نقطة المني إلى العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم نفخ الروح وما يستتبع ذلك من الولادة، ثم مرحلة الطفولة ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة لمن قدرت له الحياة كما قال عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾[1]. بعد كل هذا قال عز ذكره: إنكم بعد هذا كله سوف تموتون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي: أن الموت ليس نهاية الإنسان، بل كتب الله عليه أن يبعثه من جديد ليرى ماذا عمل في الدنيا فيجازيه بالعدل على هذا العمل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الأدلة البيِّنة على كيفية خلق الله للإنسان، وعظيم

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

صنعه، وإتقانه لهذا الخلق. وفيها: الحكم بأن مصير الإنسان بعد تدرجه في حياته هو الموت ثم البعث والحساب، وجماع ذلك كله ما ورد في الآيات السابقة، وفي حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق **(أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إلَه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)**[١].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ لما بيَّن الله عز وجل كيفية

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٥٠، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم (٢٦٣٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٩١.

خلقه للإنسان وأنه الذي أتقن هذا الخلق بيّن عز ذكره أنه خلق سبع سموات بعضها فوق بعض. ومع ما في خلق الإنسان من عظيم صنع الله الأمر الذي لا يقدر عليه إلا هو بيّن عز وجل أن خلق السموات المتطابق بعضها فوق بعض أعظم وأجل من خلق الإنسان كما قال عز ذكره ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[١].

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ أي: لسنا عن الخلق غافلين بل نقوم عليه ونتعهده ونعلم ما فيه كما قال عز وجل ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ الآية[٢]. وقوله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣].

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تذكير الإنسان المنكر للبعث المكذب لآيات الله أن الله لم يخلقه من العدم فحسب، بل خلق السماء الذي تظله، والأرض الذي تقله، وخلقهما أكبر من خلق الإنسان والعقل النير يدرك هذا بداهة؛ فالإنسان من حيث خلقه جزء صغير، والسموات والأرض كون

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة الحديد من الآية ٤ .

متكامل، ولا يقدر على هذا إلا الله. وفيها: أن الله جل ثناؤه يقوم على رعاية الكون بكل ما فيه كما قال عز وجل ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[1].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ إن من نعم الله على خلقه أن جعل الماء حياة لهم، ففيه شرابهم، وفيه سقي نباتهم وأنعامهم، بل وفيه عناصر حياتهم كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[2]. وقد أتم جل وعلا هذه النعمة بأن جعل نزول الماء بقدر معين يحقق الغرض من نزوله، فلو كان كثيرا فوق الحاجة لكان ضارا، ولو كان أقل من الحاجة لكان أيضا ضارا ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا له فيها قرارا تختزنه لحاجة الناس ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ

(١) سورة الحج من الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .

ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ أي: لو أردنا لجعلنا الماء يذهب بحيث لا ينتفع به أحد كما قال عز وجل ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴾(١). ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أي: وبسبب الماء الذي أنزلناه من السماء صار لكم بساتين من النخيل والأعناب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: ولكم في هذه البساتين مختلف الفواكه ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: من هذه الفواكه تأكلون، وهذا من لطفه عزوجل وحسن تدبيره لخلقه؛ بأن جعل لهم ما ينتفعون به، وقد دلت الدراسات الطبية المعاصرة على فائدة الفواكه لصحة الإنسان وغذائه.

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ وكما ذكر الله عز وجل امتنانه بإنزال الماء ذكر شجرة الزيتون وهي من الشجر المبارك وقيل: إن أول نباتها كان في طور سيناء ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ أي: تنبت الدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ المراد أن الزيت الذي يخرج من هذه الشجرة يصبغ الأكل بطعمه وفائدته ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ أي: ومن العبر أن جعل الله الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم تدر للبشر من بين فرث ودم اللبن بما فيه من المنافع الكثيرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ ومن هذه المنافع ركوبها والاستفادة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: وتأكلون لحمها طعاما لكم ﴿ وَعَلَيْهَا

---

(١) سورة الملك الآية ٣٠ .

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي: وتحملكم وتحمل أثقالكم حين انتقالكم من مكان إلى آخر كما أن السفن تحملكم كذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان فضل الله تعالى على عباده بإنزال الماء عليهم من السماء، لما فيه من حياتهم، وجعل هذا الإنزال مقدرا حسب حاجتهم، وهذا يقتضي عدم إسرافهم فيه لقوله عز وجل ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]. وفيه: أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: (**ما هذا السرف؟**) فقال: أفي الوضوء إسراف ؟ قال: (**نعم وإن كنت على نهر جار**)[2]. وكان عليه الصلاة والسلام يقتصد في الماء فيتوضأ بمد ويغتسل بصاع[3]. وفيها: بيان القيمة الغذائية لزيت الزيتون. وفيها أيضا: بيان فضل الله على عباده بأن سخر لهم الأنعام، وجعل فيها فوائد لطعامهم وركوبهم، وهذا يقتضي حكما الرأفة والرحمة بالحيوان بإطعامه وعدم تكليفه ما لا يطيق والرفق به عند ذبحه كما قال عليه الصلاة والسلام: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم**

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، برقم (٤٢)، سنن ابن ماجة ج١ ص١٤٦، والإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٢٢١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، برقم (٢٠١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٣٦٤ .

فاحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في هذا بيان من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أنه أرسل نوحا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأنه ليس لهم إلَه غيره، وأن ما يعبدونه من الأصنام والأوثان عمل باطل سيكون وبالا عليهم، وقد ذكر الله ما قاله لهم نبيهم نوح ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون أن ينزل بكم العذاب جزاء عبادتكم للأصنام ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ والمراد بهم سادتهم ورؤساؤهم المنفذون فيهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: إن نوحا لا يختلف عنكم في شيء، فلا يستحق منكم طاعته ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن ما يبتغيه بقوله هذا هو

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (١٩٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٣٦٤ .

السيادة عليكم ورئاستكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لو أراد الله أن يبعث نبيا لأنزل أحد الملائكة ليقول لكم ما يريد ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سمعنا من أسلافنا وغيرهم من الأمم هذا القول الذي يقوله نوح ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: ليس نوح إلا رجلاً مجنوناً يزعم أن الله أرسله إليكم ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: لا تصدقوه فيما يقول وانتظروا لعله يموت فتستريحون منه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير توحيد الألوهية وهو أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل ولا نظير وأن عبادة غيره شرك أكبر. وفيها: تقرير أن الذين يكذبون دعوة الرسل هم الرؤساء المتنفذون في قومهم؛ خشية فقدانهم لرئاستهم وسيادتهم على قومهم. وفيها: تقرير أن الدعاة إلى الحق يتعرضون لاتهامهم بالكذب والجنون والادعاء الباطل، وهذا شائع في كل زمان ومكان، وقد أمر الله الأنبياء والدعاة أن يستقيموا على دعوتهم ويصبروا على ما يلاقونه من الأذى كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[1]. وقوله ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

---

(١) سورة الشورى من الآية ١٥ .

(٢) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ لما عرف نوح عليه السلام إصرار قومه على تكذيبه، واتهامه بالجنون دعا ربه أن ينصره عليهم كما قال عز وجل عنه في الآية الأخرى ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[1].

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي: علمناه أن يصنع السفينة بعلم علَّمه الله إياه ولما ركب هو ومن معه من أهله والمؤمنين قال لهم اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: إذا جاء أمر الله بهلاك القوم وعلا منه فوران الأرض ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: اجعل في السفينة ذكرا وأنثى من أصناف الحيوانات والثمار ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا

---

(١) سورة القمر الآية ١٠.

﴿مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْۖ﴾ أي: أن يحمل أهله في السفينة إلا من قدر الله إهلاكه منهم؛ بسبب كفره ومنهم ولده ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ أي: إذا رأيت إنزال العذاب بقومك وهو الغرق يجب ألا تأخذك بهم رأفة فتطلب إمهالهم لعلهم يتوبون؛ لأني قد قدَّرت عليهم العذاب بسبب طغيانهم وجحودهم ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه نوح أن يحمد الله ويشكره على نجاته ومن معه من أهله والمؤمنين من العذاب الذي حاق بقومه ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه نوح أنه إذا نزل من السفينة إلى الأرض وحمد الله على نجاته ومن معه أن يدعو ربه أن ينزله في الأرض منزلا مباركا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ أي: أنت أجل وأعظم المنزلين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ أي: إن في أمر نوح بصنع السفينة ثم إهلاك قومه بالغرق لدلالات على عظمة الله وكمال قدرته واستجابته لدعاء أنبيائه وعباده الصالحين ونصرهم على الكفرة والظالمين. ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: نختبر العباد لنرى من هو الصادق منهم في دينه المطيع لرسوله، ومن هو المكذب منهم فيجازى كل عامل بعمله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأن الله يهلك المكذبين للحق الذي جاء به

رسل الله وآخرهم وخاتمهم محمد ﷺ والهلاك إما أن يكون في الدنيا كما حدث لقوم نوح وغيرهم من الأمم البائدة مع ادخار العذاب لهم في الآخرة، وإما أن يكون الهلاك بالعذاب في الآخرة مؤجلاً. وفي هذه الآيات: استحباب بل وجوب التسمية عند ركوب وسائل النقل من سفن وطائرات وسيارات وغيرها، وكان رسول الله ﷺ يقرأ دعاء السفر عند سفره وهو قوله: (**الله أكبر ثلاث مرات ثم يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**)[١].

ويستحب كذلك أن يقول عندما ينزل منزلاً: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق[٢].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، برقم (١٣٤٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٦٢٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٠١، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم (٣٤٣٧)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٦٢، والإمام أحمد في مسنده ج٦ ص٣٧٧ .

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: أنشأنا من بعد هلاك قوم نوح أمة أخرى وهم عاد قوم هود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: قال لهم هود مثل ما قال نوح لقومه: اتركوا عبادة الأصنام، ولا تعبدوا إلا الله؛ لأنه المستحق وحده للعبادة ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي: قال رؤساء عاد الذين عمروا مدنهم وقراهم وكانوا مترفين بما هم فيه من رغد العيش: لا تصدقوا هودا الذي يدعي أنه رسول إليكم، فهو مجرد بشر مثلكم لا يختلف عنكم في الأكل والشرب ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ أي:

إن اطعتموه فيما يقول لكم، فسوف تخسرون ما أنتم فيه من ترف العيش ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ أي: سيقول لكم إنكم إذا متم وأصبحتم عظاما بالية، فسوف تعودون مرة أخرى إلى الحياة ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا بعيد جدا، فالذي يموت ينتهي ولا يعود إلى الحياة مرة أخرى فلا تصدقوا هودا بما يقول.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي: قالوا ليس لنا إلا حياة واحدة، فنحن نموت ويأتي بعدنا آخرون وهكذا فلا حياة إلا في هذه الدنيا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: إن هودا ليس إلا رجلاً يفتري على الله الكذب ويدعي أنه رسول من عنده ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لن نصدقه فيما يقول ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ لما رأى هود عليه السلام أن قومه يكذبونه ويستهزئون بما قاله لهم عن الحياة الأخرى استنصر ربه عليهم فاستجاب الله له بقوله ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ أي: سوف يندمون على تكذيبهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ قيل: إن جبريل صاح بهم في الوقت الذي نزلت بهم ريح عاصفة أهلكتهم ودمرت مساكنهم[1] كما قال عز وجل ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا

(١) تفسير البغوي ص٨٨٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص٩٧٤، والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٢٤ .

يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]. قوله ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۚ﴾ أي: هامدين كغثاء السيل ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: بعدا لهم من رحمة الله بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن دعوة رسل الله واحدة وهي توحيده وطاعته وإفراده بالعبادة، وهذا يقتضي أن من كفر بما جاء به رسول الله محمد ﷺ، فلا يقبل منه عمل، ولو ادعى أنه يعمل بما جاء به رسول من قبل محمد ﷺ، وذلك لأن رسالته عليه الصلاة والسلام قد نسخت ما قبلها من الرسالات. وفيها: تقرير ذم الترف، وأنه قد يؤدي إلى المعاصي، وقد دلت الوقائع أن الأمم المترفة سرعان ما تنسى نعم الله عليها فتكفر بها ثم يعاقبها الله كما فعل بقوم نوح وهود وصالح. وفيها: الحكم بأن عاقبة الكفر والظلم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: أنشأنا بعد هلاك

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٥.

قوم عاد أمما آخرين فأهلكناهم بسبب ذنوبهم كحال من سبقهم من الأمم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ أي: لا تسبق أمة الوقت الذي وقّته الله لها فلا تتقدمه ولا تتأخر عنه ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: يتبع بعضهم بعضا ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أي: كلما أرسل إلى تلك الأمم رسول يدعوهم إلى توحيد الله كذبوه وعصوه كما قال عز وجل ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلكناهم واحدة بعد الأخرى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: قصصا يتحدث بها الناس للعظة والذكرى كما قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[2]. ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعدا لهم من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن آجال الأمم مثل آجال الأفراد كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3]. وهذه الآجال قد تكون بالهلاك العاجل كما حدث لقوم هود وثمود وغيرهم، وقد تكون بانتهاء قوتها واندثارها وتأجيل العذاب لها في الآخرة، ويشهد لهذا أن أمما كثيرة سادت وطغت بقوتها فاستعمرت

---

(١) سورة يس الآية ٣٠ .

(٢) سورة سبأ من الآية ١٩ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٣٤ .

البلدان المستضعفة واستغلتها ثم ما لبثت أن تحولت قوتها إلى ضعف فتمزقت ممالكها وأصبحت قوتها مجرد أحاديث. وفيها: تقرير أن الله يبعد عن رحمته من يكفر بآياته وما جاءت به رسله.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ أي: بعد هلاك الأمم السابقة كعاد وثمود أرسلنا موسى وأخاه هارون ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أرسلناهما بالآيات التسع التي سبق ذكرها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: أرسلناهما إلى فرعون وقومه فكذبوهما واستكبروا على ما جاءا به إليهم من الهدى، وكانوا قوما عالين أي: متكبرين على غيرهم وقاهرين لمن تحت سلطانهم ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أي: كيف نؤمن لمن هم بشر مثلنا ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: إن قومهما بني إسرائيل خاضعون لسطاننا ومطيعون

لأمرنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ أي: كان الهلاك عاقبة فرعون وقومه لتكذيبهم بما جاء به موسى وهارون إليهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: أنزلنا عليه التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد أن الله بعد أن أهلك فرعون وقومه أنزل على موسى التوراة، لعل بني إسرائيل يهتدون بما فيها فلم يفعلوا كما سيأتي.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ في هذا بيان من الله تعالى أنه جعل عيسى ابن مريم وأمه آية أي: دليلا على قدرته عز وجل في خلق الولد بلا أب، فخلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق عيسى بلا أب، وذلك خلافا لواقعة التوالد التي تتم بين الذكر والأنثى ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي: آويناهما إلى مكان مرتفع ومستو للقرار عليه، وفيه مياه جارية والمراد به أرض فلسطين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله أرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون وقومه ومعهما البيِّنات الدالة على نبوتهما. تقرير استكبار فرعون وقومه عن قبول الحق، وأن الكبر من صفات الظلمة والطغاة، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: (**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون**

من عصارة أهل النار طينة الخبال)[١]. تقرير إهلاك الله للكافرين الذين ينكرون الحق ويتبعون الباطل. التوكيد على قدرة الله وعظمته في خلق الولد بلا أب ولا أم كما خلق آدم. التوكيد على قدرة الله وعظمته في خلق الولد بلا أب كما خلق عيسى ابن مريم.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾.

بيان الآيات

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ في هذا أمر من الله لرسله أن يكون مأكلهم حلالا ومشربهم حلالا؛ لأنهم الأئمة الذين يهتدى بهم وقد امتثلوا عليهم السلام لهذا الأمر فأكلوا من عمل أيديهم فكان داود يأكل من عمل يده، وكان إدريس كذلك، وكان محمد عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم. وفي الحديث: **(ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)** فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله ؟ قال: **(نعم كنت أرعاها على قراريط**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين، سنن الترمذي ج٤ ص٥٦٥، برقم (٢٤٩٢)، وأخرجه أحمد في مسنده ج٢ ص١٧٩ .

لأهل مكة)[١]. ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ أي: لتكن كل أعمالكم صالحة لوجه الله ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بما تعملونه سرا وجهرا.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: إن دينكم أيها الأنبياء والرسل دين واحد لا خلاف فيه وهو القيام بالدعوة إلى عبادة الله وحده وتنزيهه عن الشرك وإفراده بالعبادة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ توكيد على أنه جل وعلا هو الرب المتفرد بالربوبية والألوهية ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا﴾ أي: أن الأمم التي أرسل إليها الرسل تفرقوا شيعا وأحزابا فاختلفوا على أنبيائهم فكانوا متفرقين ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ أي: إن كلا منهم يفرح بما وضعه لنفسه من الدين وما يدري أنه على ضلال وإثم مبين ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اتركهم في ضلالهم وخطيئاتهم حتى يأتيهم العذاب كما قال عز وجل ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾ أي: أيظن هؤلاء المكذبون أنا أعطيناهم الأموال والبنين لأجل استحقاقهم ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: إنما نسارع لهم في الخيرات استدراجا لهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، برقم (٢٢٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٥١٦ .

(٢) سورة الحجر الآية ٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الأكل من الحلال، وهذا الحكم عام للأنبياء والرسل والمؤمنين بالله، ففي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له**)[1]. وفيها: الحكم بأن دين الأنبياء دين واحد، هو الدعوة إلى توحيد الله وتنزيهه عن الشرك وقد نُسِخَتْ جميع الأديان بدين محمد ﷺ فهو الدين الحق الذي يجب اتباعه. وفيها: التنديد والإنكار على الذين يتفرقون في دينهم ويحسبون أنهم على حق إذ إنه لا دين إلا دين واحد هو الدين الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ للناس كافة كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[2]. وفيها: التوكيد على أن الأمم التي يرزقها الله ثم تكفر بنعمه إنما يستدرجها ثم يهلكها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٧٩٧ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٢٨ .

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

بيان الآيات

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ لما ذكر الله جل وعلا حال الكفار المكذبين لرسلهم المنكرين للبعث ذكر حال المؤمنين فوصفهم بأنهم يخشون ربهم ويخافون عقابه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا وصف آخر لهم بأنهم يصدقون بآيات الله ويوقنون بها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: ومن صفاتهم عبادة الله وحده وتنزيهه عن الشرك ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ المراد بهم الذين يعبدون الله فيصلون ويصومون ويتصدقون ويعملون الصالحات، ولكنهم يخشون ألا تقبل منهم؛ لأنهم يعرفون أنهم سيرجعون إلى ربهم فيحاسبهم على كل عمل عملوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يتسابقون إلى فعل الطاعات؛ لكي ينالوا رضا ربهم ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: لا تفوتهم الخيرات؛ لأنهم يعملونها في أوقاتها .

أحكام تستفاد من الآيات

في هذه الآيات الحث على الخشية من الله؛ لأن فيها دلالة على قوة

الإيمان وصدقه وفي الحديث: قول رسول الله ﷺ: (**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**)[١].

وفيها: الحث على الوجل والخوف من عدم قبول العمل وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ الآية أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (**لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم**)[٢].

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذا من لطف الله بعباده أنه لا

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، سنن الترمذي ج٤ ص١٥٠، والنسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، برقم (٣١٠٨)، سنن النسائي ج٦ ص٣١٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٢٤) برقم (٣١٧٥)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٠٦، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، برقم (٤١٩٤)، سنن ابن ماجة، ج٢ ص١٤٠٤ .

يكلف أحدا من عباده ما لا يطيقه من الأعمال ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الكتاب المسجلة فيه أعمال العباد ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لن يظلم الله أحدا من عباده، وإنما يجازي كلا بما عمل ويعفو عن سيئات عباده الصالحين ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: إن قلوب الكافرين في لهو عن القرآن وما جاء به من البينات ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ المراد أن لهم أعمالاً سيئة لابد أن يعملوها دون أعمال المؤمنين حتى يستحقوا بذلك العذاب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: لما انتقم الله من كبار المشركين يوم غزوة بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يصرخون مما حل بهم من العذاب ﴿لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تصرخوا، فإنه لا ينفعكم أحد مما أنتم فيه من العذاب ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: كانت آياتي التي تدلكم على الخير تتلى عليكم فكنتم تفرون من سماعها ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ المراد تسمرون بالحرم في الليل أي: تتحدثون فيه بالهذر من القول وتهجرون الحق وتعرضون عن قبوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل لم يكلف عباده ما لا يطيقونه من العبادة؛ لأنه لما أمرهم بعبادته راعى أحوالهم وقواهم، فقد خفف

عنهم الصلاة فجعلها خمس فرائض وأجرها يعدل خمسين فريضة، ووضع عنهم التكاليف التي كانت على من قبلهم من الأمم. وفيها: تقرير أن الله يحصي أعمال عباده فيجازي كلا بعمله، ويعفو عن سيئات عباده الصالحين. وفيها: تنزيه الله عزوجل عن الظلم؛ لأنه هو الحق وكلمته الحق. وفيها: الأمر بالتوبة قبل حلول الأجل وقبل نزول العذاب. وفيها: تقرير ذم السمر في الليل لا سيما إذا كان بالباطل؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون الليل للسكن والنهار للعمل؛ فمن فعل خلاف ذلك فقد خالف حكمة الله، وفي حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكم والسمر بعد هدأة الرجل فإن أحدكم لا يدري ما يبث الله تعالى من خلقه أغلقوا الأبواب وأوكوا السقاء وخمروا الإناء وأطفئوا المصابيح**)[1].

قلت: وهذا يدل على أن العمل في الليل مما يتعارض مع طبيعة الإنسان، ناهيك عن معارضته لحكمة الله في قوله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[2]. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[3].

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال مختصراً، برقم (٢١٤٨٠) ج٧ ص٨٠٢، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (١٢٣٠)، والسيوطي في جمع الجوامع، برقم (٩٣٣٧)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٣٨ .

(٢) سورة النبأ الآية ١٠ .

(٣) سورة النبأ الآية ١١ .

بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ المراد المشركون والمعنى أفلم يتفهموا القرآن فيعرفوا فيه الحق من الباطل، والضلال من الهدى كما قال عز وجل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١). ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ والمعنى بل جاءهم كتاب هو القرآن لم يأت آباءهم الأولين فكان الواجب عليهم لو كانوا يعقلون أن يتدبروا ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ المراد بهم قريش والمعنى الإنكار عليهم بعدم تصديقهم لرسولهم محمد وهم الذين يعرفون أمانته وصدقه فكيف ينكرونه لما أرسل إليهم برسالة الله.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ ﴾ أي: ما هو الذي يمنعهم من تصديقه هل يظنون أنه مجنون أم هو متقول على الله فإذا كانوا يزعمون ذلك فهم

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤ .

كاذبون كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾(١). ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾(٢). ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٣). ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٤). قوله ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: القرآن بما فيه من الآيات والبينات ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ أي: أنهم يكرهون ما جاء به رسول الله حسدا وطغيانا.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المراد بالحق الله عز وجل، والمعنى لو أن الله اتبع أهواءهم ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ أي: لفسد النظام الكوني كله وحاشا الله أن يتبع أهواء خلقه أو آراءهم، فهو المدبر لهم، والمتصرف فيهم، والعالم بأحوالهم، فحق عليهم أن يتبعوا ما شرعه لهم ويأتمروا بما أمرهم به وينتهوا عما نهاهم عنه ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: أنزلنا عليهم ما فيه خيرهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: تولوا عن هذا الذكر فلا فلاح ولا رشاد لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ أي: إنك يا محمد بدعوتك لهم لا تسألهم رزقا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ﴾ أي: إنك تطلب الأجر من الله على دعوتك

---

(١) سورة الحاقة الآية ٤٠ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤١ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٢ .

(٤) سورة الحاقة الآية ٤٣ .

لهم وصبرك على آذاهم كما حكاه الله عن سائر رسله بقوله ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. قوله ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: لا أحد يعطي مثل ما يعطي أو يرزق مثل ما يرزق ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ أي: إنك لا تدعوهم إلا إلى طريق واحد هو طريق الجنة والسلامة من النار ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: المكذبون بالبعث والحساب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: مائلون عن سبيل الحق ظلماً لأنفسهم وسوف يجزون على تكذيبهم ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ أي: لو أعدناهم إلى الدنيا لنختبرهم ﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ أي: لعادوا كما كانوا يتمادون في الطغيان والضلال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بمن لم يتدبر القرآن ويفهم ما فيه من أحكام الله وشرعه. وفيها: الحكم بخطر الهوى وما يؤدي إليه من سوء العاقبة في الدارين. وفيها: التوكيد على أن دين الإسلام هو الطريق إلى السعادة في الدنيا والآخرة. وفيها: الوعيد لمنكري البعث.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾

(١) سورة الشعراء الآية ١٠٩ .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب كالجوع والأمراض ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ أي: لم يخضعوا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: ما دعوا ربهم أن يكشف عنهم ما هم فيه من الشدائد؛ ذلك أنهم لما عصوا رسول الله ﷺ وآذوه قال: (**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**)(١). وقد استجاب الله دعاءه، فحلت بهم المجاعة ومع ذلك لم يتضرعوا إلى ربهم، وذلك بسبب قسوة قلوبهم وإعراضهم عن الحق كما قال عزوجل ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٢٥٤)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٥٣، والبخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾، برقم (٤٦٩٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢١٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٣ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: إذا جاءهم يومهم الموعود بما فيه من العذاب ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: قانطون آيسون من رحمة الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ أي: جعل لكم سمعا تسمعون به وبصرا تبصرون به وعقولا تعقلون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ومع هذه النعم لا تشكرون الله إلا قليلا. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هو الذي أنشاكم وخلقكم من العدم إلى الوجود ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: ترجعون إليه للحساب والجزاء ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: يخلق الخلق ويميتهم ثم يحييهم ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ أي: هو القادر على جعل الليل يختلف في ظلمته عن النهار في ضيائه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تتفكرون في عظمته وقدرته فتطيعوه ليكون في ذلك الخير لكم.

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ أي: قالوا مثل من سبقهم من الأمم البائدة ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أي: قالوا لا يعقل أن نبعث إذا تحولنا إلى تراب وعظام بالية.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: قيل لنا هذا القول قبل مجيء محمد، ومع هذا لم يكن صحيحا ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: إن هذا القول ليس إلا مجرد أقاويل وحكايات قديمة عن الأولين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان نعم الله على عباده وما يجب عليهم من حمده وشكره على هذه النعم. وفيها: التنديد بمن يرى الشدائد تنزل عليه فلا يستكين ولا يتضرع إلى الله أن يكشفها عنه مما يدل على قسوة قلبه كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1]. وفيها: الوعيد لمنكري البعث.

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٩٠) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل على سبيل التقرير أن الأرض ومن فيها هي له جل وعلا يتصرف فيها كيف يشاء، ويأمر نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين لمن الأرض ومن فيها أي: من هو خالقها ومالكها. ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي:

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

هل تعلمون أحداً غير الله له ملك السموات والأرض؟ ولأنهم لم يعلموا أحدا غير الله ذكر عز وجل أنهم مقرون بربوبيته كما قال عز ذكره ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يقرون أنها لله وحده ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعقلون أن من خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى بعد موتهم ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: قل لهم يا محمد من هو الذي خلق الكون العلوي بما فيه من الكواكب؟ ومن هو الذي يسيرها ويقدر منازلها؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سوف يقرون بذلك فقل لهم حينئذ ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بذلك افلا تجعلون العبادة له وحده لا شريك له ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: اسألهم يا محمد عمن هو المالك للسموات والأرض ومن فيهن ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: هو العالي الذي لا يعلى عليه والكبير الذي ليس أحد أكبر منه، يَحْمِي ولا يُحْمَى ويَحْفَظُ ولا يُحفَظ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سوف يقرون بأن الله هو السيد الكبير المتعال ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: قل لهم إذاً كيف تتركون عبادته وحده وتخدعون أنفسكم بعبادة الأصنام ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أثبتنا لهم أنه لا إلَه إلا هو وأنه لا شريك له في ملكه وأن عبادة الأصنام عمل باطل ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: أنهم ظالمون بعبادتهم الأصنام وأن ما يفعلونه هو من تزيين الشيطان لهم باتباع أسلافهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الدعوة إلى تربية المعرض عن الحق وتوجيهه بالدليل العقلي على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده دون شريك، وهذا يوجب على الدعاة التحلي بالصبر في دعوتهم إلى الله، وأن تكون مجادلاتهم مجادلة علمية تقرب المدعوين إلى الله كما قال عزوجل ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٩٢)﴾.

بيان الآيتين:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ﴾ أي: تنزه الله وتقدس عن أن يكون له صاحبة أو ولد كما قال عز وجل ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[2]. ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[3]. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ في هذا بيان من الله عزوجل أنه ليس معه في الوجود إله؛ لأن تعدد الآلهة مستحيل حكما وعقلا؛ ذلك أن كل واحد منهم لو تعددت يريد أن يعلو على الآخر،

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٣ .

(٣) سور الإخلاص الآية ٤ .

فحينئذ يكون التصادم ويفسد الكون ولا ينتظم وقد عبر أصحاب الكلام عن هذا بدليل "التمانع" - كما سبق ذكره - وهو أنه لو فرض وجود صانعين وأراد أحدهما تحريك جسم وأراد الآخر سكونه فإن لم يتحقق لأحدهما مراده أصبح كل منهما عاجزا والواجب لا يكون كذلك فيمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. وبالمعنى الآخر لو كان هناك إلَهان لتقاسما الملك وذهب كل منهما بما خلق، وهذا يقتضي عقلا أن يتحاربا ويعلو بعضهم على بعض بالقهر والغلبة ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عما يقوله الظالمون عن الشريك والولد ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه عما يقول الظالمون.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله قد تنزه عن الصاحبة والولد. وفيهما: الاستدلال بالعقل بأنه لا يصنع الكون إلا إلَه واحد وأن تعدد الآلهة ممتنع عقلاً. وفيهما: تنزيه الله وتعظيمه عن قول الظالمين الجاحدين لألوهيته.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ (٩٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ هذا دعاء علَّمه الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أي إن أريتني ما يحيق بهم من العذاب ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تجعلني منهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾ أي: نقدر على أن نريك ما نفعله بهم وقد أراه الله بالفعل قتل أئمة الكفر يوم بدر كما أراه ما حل بهم من الجوع حين دعا عليهم وقال: (**اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف**)[1] ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ هذا أمر من الله جل وعلا لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالتزام مكارم الأخلاق والإحسان إلى من يسيء إليه والصفح عنه كما قال عز وجل ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2]. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[3]. قوله ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: ما يقولونه من تكذيبك ﴿وَقُل رَّبِّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء، برقم (٦٣٩٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص١٩٧ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتعوذ من الشياطين ووساوسهم وأحابيلهم وكان عليه الصلاة والسلام يقول: (**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**)[١]. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: أستعيذ بك رب من حضور الشياطين عند منامي ومأكلي ومشربي وسائر أمري.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أهمية الدعاء لقوله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢]. وقوله جل ذكره ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣]. وفي الحديث: (**لا يرد القضاء إلا الدعاء**)[٤]. وفيها: الحكم بدفع السيئة بالحسنة؛ لما في ذلك من مكارم الأخلاق وصلاح العلاقة بين الأمة، وأمر الله لرسوله

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، برقم (٧٧٥)، سنن أبي داود ج١ ص٢٩٤، والترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم (٢٤٢)، سنن الترمذي ج٢ ص٩، وابن ماجة في كتاب الاقامة، باب افتتاح الصلاة، برقم (٨٠٧)، سنن ابن ماجة ج١ ص٢٦٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، برقم (٢١٣٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٣٩٠، وابن ماجة في المقدمة، باب في القدر، برقم (٩٠)، سنن ابن ماجة ج١ ص٣٥، والإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٢٧٧ .

أمر لأمته ودفع السيئة بالحسنة يكون بين المؤمنين؛ أما مع الأعداء فلا تدفع السيئة إلا بما يجازى عليها. وفيها: الحكم بالتعوذ من الشياطين في كل أمر يكون لهم فيه مدخل كحال الغضب وفي حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه يكون البركة**)[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عن حال الكفرة والمشركين إذا حضرتهم الوفاة، ورأوا أهوال الموت وغمراته، ورأوا الملائكة تستعد لقبض أرواحهم تنصلوا من إنكارهم البعث فيقول كل منهم: رب أرجعوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّىٓ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة، برقم (٢٠٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٥٤٩ .

﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي: سوف أتوب وأعمل صالحا وأشهد ألا إله إلا الله وأتبرأ من كل ما عملت من الخطايا والذنوب ﴿كَلَّآ﴾ كلمة زجر ورد على من يطلب الرجوع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: كلمة يقولها الكافر عند الموت، فلا تغنيه عما هو فيه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ أي: وقت بين الموت والبعث ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: يلاقون العذاب في البرزخ إلى حين بعثهم ثم حسابهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الإخبار بأن الكفرة يتمنون الرجوع إلى الدنيا عند معاينتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وعند رؤيتهم العذاب وذلك لكي يتوبوا ويعملوا صالحا كما ذكر الله عنهم بقوله جل ثناؤه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[2]. وفيها: تقرير أن هذا محال؛ لأن الأعمال تختم بالموت. وفيها: تقرير أنهم يعذبون في البرزخ وهو الوقت الحاجز بعد الموت إلى يوم البعث.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (١٠٢) وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ (١٠٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ المراد النفخ للبعث والنشور ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يكون هناك تفاخر في الأنساب ولا تساؤل حولها؛ لشدة الهول الذي يرونه كما قال تعالى ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾[1]. ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته فقد أفلح ونجا ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: باؤوا بالخسران فأصبحوا ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ أي: مقيمون فيها مخلدون ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تحرقها ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ أي: تقلّصت شفاههم وبدت أسنانهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن إسرافيل ينفخ في الصور، وهو القرن كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[2]. ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ

(١) سورة المعارج الآية ١٠.

(٢) سورة المدثر الآية ٨.

﴿عَسِيرٌ﴾[١]. وفيها: تقرير المقاصة بين الخلق في حقوقهم، فيفرح كل واحد بما له من حق على غيره فيؤخذ من حسنات هذا وتضاف إلى حسنات ذاك، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات هذا فطرحت على ذاك كما قال رسول الله ﷺ[٢].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم تأتكم الرسل والآيات والبراهين مفصلة تدلكم على الخير وتنهاكم عن الشر ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كذبتم الرسل والآيات وكنتم تستهزئون ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: قالوا نعم لقد أرسلت إلينا الرسل، وأنزلت علينا الكتب، وأقمت علينا الحجة ولكن الشقاوة غلبتنا فلم نوفق لقبول ما جاءنا وكنا قوما ضالين عن الحق ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: ردنا إلى الدنيا لنتوب إليك ﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: إن عدنا إلى المعصية، فنحن ظالمون نستحق عقابك

---

(١) سورة المدثر الآية ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور، برقم (٦٥٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٤٥٦.

وهذا كقولهم ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[١].

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: انتفاء حجة الكافرين بغلبة الشقاوة عليهم؛ ذلك أن الله عز وجل بيَّن لهم الآيات والأحكام، وجعل لهم عقولا يهتدون بها كما قال عز وجل ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾[٣]. ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾[٤]. ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[٥].

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ هذا جواب الله للكافرين الذين

---

(١) سورة غافر من الآية ١١ .

(٢) سورة غافر الآية ١٢ .

(٣) سورة البلد الآية ٨ .

(٤) سورة البلد الآية ٩ .

(٥) سورة البلد الآية ١٠ .

طلبوا العودة للدنيا للعمل الصالح فيها، والمراد كونوا في النار أذلة صاغرين مطرودين مبعدين. قيل: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين سنة ثم يرد عليهم أنكم في النار ماكثون[١]، ثم يدعون ربهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله عز وجل ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم بعد ذلك لا يتكلمون بكلمة فلم يبق لهم إلا الشهيق والزفير.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: يذكِّرهم الله بما كانوا يفعلونه في الدنيا من الاستهزاء بالمؤمنين حين يدعون الله كما قال عز وجل ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: سخرتم من عبادي المؤمنين حين دعائهم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: أشغلتم أنفسكم بالسخرية بهم فنسيتم ذكري ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي: تسخرون وتستهزئون بهم ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي: جزيتهم بالجنة نتيجة طاعتهم لي وصبرهم على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: أنهم الذين يفوزون بالجنة فيضحكون عليكم كما ضحكتم عليهم في الدنيا كما قال عزوجل ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[٢]. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٩٨١ .

(٢) سورة المطففين الآية ٣٤ .

يَنظُرُونَ ﴾(١). ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم السخرية بالمسلم كما قال عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾(٣). وفيه: قول رسول الله ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)**(٤). وفيها: الأمر بالصبر خاصة صبر الدعاة على الأذى في دعوتهم إلى الله.

﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

معاني الآيات:

﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ هذا سؤال للمشركين والكفرة يوم القيامة عن مدة إقامتهم أحياء وأمواتا ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

---

(١) سورة المطففين الآية ٣٥ .

(٢) سورة المطففين الآية ٣٦ .

(٣) سورة الحجرات من الآية ١١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٧٣ .

﴿بَعْضَ يَوْمٍ﴾ هذا جوابهم, ولم يعرفوا كم مكثوا؛ لأن شدة الهول أنستهم ما كانوا يعلمون ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: يقولون اسألوا الحاسبين الذين يعرفون كم لبثنا؟ والمراد بهم الملائكة الذين كانوا في الدنيا ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لم تمكثوا إلا مدة يسيرة ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كنتم تعقلون لما فرطتم في حياتكم وعصيتم الله فلو أطعتموه في هذه المدة اليسيرة لحصل لكم الفوز في الآخرة، ولما أصابكم ما أنتم فيه من العذاب ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: أزعمتم أنا خلقناكم للهو واللعب والعبث ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: وهل ظننتم أنكم لن تبعثوا بعد موتكم ولن تحاسبوا على أعمالكم ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تقدس أن يخلق الخلق عبثا ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ أي: لا إلَه غيره وهو مالك العرش الكريم، والعرش أكبر من الكرسي، والكرسي يسع السموات والأرض كما قال عز وجل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[١].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سؤال الكافرين عن حياتهم وماذا عملوا فيها وإقامة الحجة عليهم بإهمالهم طاعة الله وارتكابهم لمعاصيه.

وفيها: الحكم بتنزيه الله تعالى عن العبث.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي: أن من يدعو مع الله إلَها آخر، ليس له دليل أو برهان على فعله ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: إن ربه سوف يحاسبه ويعاقبه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: لا فلاح لهم، ولا ناصر لهم يوم القيامة ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء الجامع والمراد أن يدعو الله أن يغفر له وللمؤمنين من أمته، وأن يرحمه ويرحمهم أجمعين؛ لأنه خير الغافرين وأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بأن من دعا مع الله إلَهاً آخر، فهو مشرك شركا أكبر وعقوبته عدم مغفرة الله له كما قال عزوجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[1]. وفيهما: تقرير عدم فلاح الكافرين في الدنيا والآخرة. وفيهما: فضل الدعاء وسؤال المغفرة والرحمة من الله.

---

(١) سورة النساء من الآية ٤٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون آية

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾.

بيان الألفاظ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ أي: أنزلنا هذه السورة، وفيه تنبيه على مافيها من الأحكام ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا ما فيها من الأحكام ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: بيَّنا فيها الدلائل الواضحة التي تدلكم على الخير ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتفكرون وتعملوا بما فيها من الأحكام.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الزانية المرأة التي تنكح من رجل دون عقد شرعي، والزاني كذلك من ينكح امرأة بغير عقد شرعي، وقد أمر الله بجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قوله ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: لا تأخذكم الرحمة بهما فتتركوا شرع الله وتعطلوا حدوده ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي:

هذا ما يجب عليكم إن كنتم مؤمنين بالله وبالبعث والحساب والجزاء ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد إقامة الحد عليهما في العلن؛ ليكون ذلك أبلغ في العقاب وأردع لغيرهما.

أحكام ومسائل الآيتين

في هاتين الآيتين: الحكم بعقاب الزاني والزانية البكرين بجلدهما مائة جلدة، وتغريبهما لمدة عام والأصل فيه حديث أبي هريرة أن أعرابيين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفا - أي أجيرا - على هذا فزنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن على امرأته الرجم وإنما على ابني جلد مائة وتغريب عام فقال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى أما الوليدة والغنم فردها، وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام وأما أنت يا أنيس (رجل من أسلم) فاغد على امرأة هذا، فإن اعترفت فأرجمها فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها)**[١].

أما إن كان الزانيان محصنين في نكاح صحيح، وهما بالغان عاقلان فإنهما يرجمان، والأصل فيه حديث مالك أن عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، برقم (٧٢٦٠)، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٤٤ .

رضي الله عنه قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحَبَل أو الاعتراف[١]. وفي هذه الآيات: الحكم بوجوب إقامة الحد.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ أي: لا ينكح الزاني إلا زانية مثله أو مشركة لا دين لها ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: إن الزانية لا ينكحها إلا زان مثلها أو مشرك ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن الله حرم الزنا على المؤمنين والمؤمنات حرمة أبدية.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى، برقم (١٦٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٦٤٠ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية الحكم ألا تتزوج امرأة عفيفة من زان إلا بعد توبته التوبة الشرعية، وكذلك لا تتزوج زانية من رجل عفيف إلا بعد توبتها. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ﴾[1].

وفي الآية السابقة أقوال كثيرة، والجمهور من العلماء على أن امرأة الرجل إذا زنت أو زنى هو لا يفسد نكاحهما، وأن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد أن تستبرأ بحيضة[2].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ المراد الذين يقذفون المؤمنات العفيفات، ولما نزلت هذه الآية قال سعد بن عبادة سيد الأنصار: أهكذا أنزلت

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥١٤، وأخرجه أحمد في المسند ج٢ ص١٥٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٦٩-١٧٠، وبداية المجتهد لابن رشد ج٢ ص٣٠، والمهذب للشيرازي ج٢ ص٤٣، والإنصاف للمرداوي ج٨ ص٤٣٠ .

يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: (**يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟**) فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج أمراة قط إلا بكرا وما طلق امرأة له قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني قد تعجبت لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء. فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته[1].

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ أي: إذا قذف المؤمنة المحصنة أو المؤمن المحصن ولم يقم بينة على قذفه وجب جلده ثمانين جلدة ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ أي: ترد شهادتهم ولا تقبل ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: يوصفون بالفسق ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إذا تابوا وأصلحوا قبلت شهادتهم وانتفت عنهم صفة الفسق.

[illegible]

الحكم بتحريم القذف وهو رمي الإنسان أو سبه بما ليس فيه كمن يقذف امرأة عفيفة أو رجلا عفيفا بالزنى. ومن الشروط في القاذف أن يكون عاقلا بالغا، وأن يكون القذف بزنى أو لواط، وأن يكون

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥١٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٣٨ .

المقذوف عفيفا مسلما، فإذا توفرت هذه الشروط وجب جلد القاذف ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادته، ووصفه بالفسق، وعدم العدالة عند الله وعند الناس، ويستثنى من ذلك من تاب وأصلح فتقبل حينئذ شهادته وينتفي وصفه بالفسق، أما الجلد فقد انتهى بوقوعه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي: يقذفون زوجاتهم بالزنى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: لم يشهد معهم غيرهم على زنى زوجاتهم. هذه الآية نزلت في هلال بن أمية حيث جاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا، فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار، وقالوا: لقد ابتلينا وقال

سعد بن عبادة: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا ثم قال: يا رسول الله، فإني أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم أني لصادق فكان رسول الله يهم بضربه إذ نزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ الآية فقال: (**أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا**) فقال هلا:ل كنت أرجو ذلك من ربي فقال رسول الله ﷺ: (**أرسلوا إليها**) فجاءت فتلاها عليهما فذكّرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال: يا رسول الله لقد صدقت عليها، فقالت: كذب فقال رسول الله ﷺ: (**لاعنوا بينهما**) فشهد هلال أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين، فلما كان في الخامسة قيل له: اتق الله يا هلال فقال: والله لا يعذبني الله عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم قيل للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، وقيل لها في الخامسة: اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فتلكأت ساعة، وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما أو قضى ألا ترمى أو يرمى ولدها ومن فعل ذلك فعليه الحد.

وقال: (**إن جاءت به أصيهب حمش الساقين فهو لهلال، وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رميت به**) فجاءت به أورق جعدا جماليا فقال رسول الله ﷺ: (**لولا الأيمان لكان لي ولها شأن**)(١). قوله ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾ أي: على القاذف لزوجته أن يحضرها إلى الحاكم؛ لإقامة اللعان بينهما وهو أن يشهد أربع شهادات بالله ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: فيما رماها به ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فإذا شهد بذلك طلقت منه طلاقا بائنا وحرمت عليه، ويتوجب عليها حينئذ حد الزنى إلا أن تلاعنه ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: يبطل عنها الحد ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: فيما قذفها به ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: عندئذ يفرق بينهما، فإن كان كاذبا في حقها حقت عليه اللعنة، وإن كان صادقا فيما رماها بها وكذبت حق عليها غضب الله ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أي: إن من فضله عليكم ورحمته بكم عدم فضح الكاذب في لعانه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ويستر عيوبكم، لعلكم تتوبون إليه فيرحمكم ويتوب عليكم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في اللعان، برقم (٢٢٥٦)، سنن أبي داود ج٢ ص٢٥٤، والإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٣٨ .

أحكام ومسائل الآيات

في هذه الآيات: بيَّن الله حكم من يقذف زوجته ولم يكن لديه شهود يشهدون معه على ما قذفها به. وفيها: بيان اللعان وما يترتب عليه من الحكم بالتفريق بين الزوجين تفريقا أبديا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي: جماعة منكم، وقضية الإفك اختلقها المنافقون وروج لها بسطاء من المسلمين لا يعرفون أهداف المنافقين، ومفاد هذه القصة: أن رسول الله ﷺ لما قفل راجعا من غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع) واقترب من المدينة أذن بالرحيل في الربع الأخير من الليل، فلما علمت عائشة رضي الله عنها بذلك خرجت من هودجها ونأت قليلا عن مكان الجيش لقضاء حاجتها، فلما رجعت إلى رحلها فقدت عقدها فرجعت إلى طريقها تبحث عنه ومكثت وقتا في هذا البحث، فلما وجدته رجعت إلى رحلها فلم تجد الجيش ولا رحلها؛ ذلك أن الرجال الموكلين بالترحيل حملوا الهودج وهم يحسبون أنها فيه وكانت قليلة اللحم، ولما لم تجد أحدا

جلست في مكانها أملا في أن يفتقدوها فيعودوا إليها فنامت.

وكان رسول الله ﷺ قد أوكل إلى صفوان بن المعطل السلمي حراسة ساقة الجيش، فلما تيقن صفوان بابتعاد الجيش ولم يخش عليه من غدر العدو ركب راحلته، فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه الجيش أبصر سواد إنسان، فإذا هي عائشة رضي الله عنها وكان قد عرفها قبل نزول الأمر بالحجاب فاسترجع واستيقظت عائشة باسترجاعه، فنزل عن راحلته وقدَّمها فركبتها وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، وكان مع الجيش عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة فقال: قبحه الله فريته الشنيعة، والله ما نجت منه ولا نجا منها، فانطلى كذبه وافتراؤه على حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة (قريب أبي بكر رضي الله عنه) وحمنة بنت جحش أخت زينب زوج رسول الله ﷺ، ثم روج لهذه الفرية نفر من المنافقين أصحاب عبدالله بن أبي بن سلول[1] قبحهم الله.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ أي: لا تحسبوه يا آل أبي بكر شرا لكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، فقد أظهر الله براءة ابنتهم عائشة وصارت هذه البراءة قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ

---

(١) أخرج البخاري حديث الإفك بطوله في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، برقم (٤٧٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٠٦-٣٠٩، ومسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٢٠-٦٩٢٥، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص١١٤-١٢٤.

﴿مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: إن لكل واحد من الذين خاضوا في الإفك ورموا زوج رسول الله ﷺ نصيبا من الإثم ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: المراد به عبد الله بن أبي بن سلول، فقد ادخر الله له العذاب العظيم؛ لأنه هو الذي روج لهذا الإفك فإثمه ووزره أكبر من غيره.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير شرور المنافقين وخطرهم على الأمة، وكان هؤلاء مما ابتليت بهم الأمة، ولا تزال تبتلى بهم، وقد بيَّن الله مكايدهم وفضحهم في سورة التوبة.

قلت: والمنافقون أخطر من الكافرين؛ ذلك أن الكافرين معروفون بكفرهم فيتم التعامل معهم في وضوح من أمرهم؛ أما المنافقون فهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فيلتبس أمرهم على غيرهم، وهذا هو الذي جعل نفرا قليلا من المسلمين ينخدعون بما أظهره لهم المنافقون من الأيمان في قضية الإفك فظنوهم كذلك وهم أبعد ما يكونون عنه.

ولا تزال الأمة تبتلى بهذا النوع من الناس الذي يظهر انتماءه لدين الأمة والمؤمنين ويظهر حرصه عليه في كل مناسبة، ويعاشر المؤمنين، ويظهر مودته لهم، ويتعامل معهم وهو يتآمر عليهم مع أعدائهم إما لأجل عرض من الدنيا أو كفر بالدين أو خوف من عدو يظن أنه يتربص به.

ومن الأحكام: أن المنافقين يلاقون أشد العذاب إذا لم يتوبوا من

نفاقهم لقول عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[١].

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَّوْلَآ﴾ أي: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: الكذب الذي رميت به أم المؤمنين عائشة ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لما ذكر الله ما فعله الأفَّاكون من المنافقين بحق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها عاتب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك قائلاً لهم: لما سمعتم هذا الكذب كان عليكم أن تظنوا بأنفسكم خيراً؛ لأن نفوس المؤمنين والمؤمنات واحدة ووجب عليكم أن تقولوا ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر، لا يقبل التصديق وتظنون خيرا بأم المؤمنين ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي: هلا جاؤوا على ما قالوه بأربعة شهداء، يشهدون على صدق ما جاؤوا به ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ولأنهم لم يأتوا بهؤلاء الشهود، فهم مفترون فاجرون.

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

أحكام ومسائل الآيتين

لما كان اتهام المسلم أو المسلمة بالفحشاء من أشد الجرائم، لما فيه من هتك للعرض، وتعد على الحرمات، وجب على المسلم عدم اتهام أحد دون أن يكون ثمة بيِّنة ظاهرة جلية، إذ من واجب المسلم أن يظن بأخيه خيرا. ومن الأحكام: أن من اتهم آخر بالإفك عليه أن يأتي بأربعة شهداء، وإلا أصبح من الكاذبين وتشمله اللعنة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: لولا منة الله عليكم يا من خضتم في الإفك ثم تبتم فقبل الله توبتكم وعفا عنكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لحل بكم عذاب أليم والمقصود بذلك حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش فقد تابوا وتاب الله عليهم؛ أما المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول فلا يدخلون في هذه الآية؛ لأنه وأضرابه ممن تولوا كبره. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: تتداولونه بينكم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: تتكلمون بما لا تعلمون ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ

﴿هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي: وتظنون أن ما كنتم تتكلمون به في زوجة رسول الله ﷺ أمر هيِّن بينما هو عند الله أمر عظيم؛ ذلك أن الافتراء والكذب مما حرمه الله وعظَّم تحريمه فكيف إذا كان هذا في زوجة رسول الله إحدى أمهات المؤمنين اللاتي صانهن الله وكرَّمهن بتزوج رسول الله لهن وصحبتهن له. كما قال عز وجل ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الله على المؤمنين الذين تابوا بعد أن خدعوا بقول المنافقين، فصدقوهم في قضية الإفك. تقرير: وعيد الله بالعذاب لكل من يقذف المحصنات، ويكون هذا العذاب أشد إذا كان مناطه إحدى أمهات المؤمنين. تقرير: فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبراءتها وطهارتها.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ وهذا

(١) سورة الأحزاب من الآية ٦ .

عتاب أيضا للمؤمنين بأنه كان عليهم إذا سمعوا ما سمعوا من الإفك ألا يتكلموا فيه ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي: سبحان الله أن يتفوه بهذا الافتراء على زوجة رسول الله ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي: يحذركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدا لمثل ما حدث ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تؤمنون بالله وبرسوله ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: يوضح لكم الأحكام التي تدلكم على الخير وتنهاكم عن الشر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما ينفع عباده حكيم فيما شرعه لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإفك من أشد الجرائم؛ لأنه هتك لعرض المسلم، وهذا يساوي في حرمته دمه وماله لقول رسول الله ﷺ في خطبته الجامعة في حجة الوداع: (**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**)[1]. وفيها: أن شدة الجرم والعقاب تزداد على مبتدع الإفك ومروجه ومشيعه. وفيها: أن على المسلم أن يتروى فيما يسمع فلا يتحدث بكل ما يسمع لقول رسول الله ﷺ: (**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، برقم (٧٠٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٩ .

سمع)[١]. وفيها: أن على المسلم أن يظن بأخيه أو أخته المسلمة خيرا، فلا يصدق كل ما يقال له عنهما كما قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٢]. وفيها: أن من تعدى على حرمة مسلم بالقول الفاحش عليه أن يتسامح منه، وأن يتوب من فعلته، وإلا أصبح طوقا في عنقه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا وعيد للذين يسمعون الأقوال البذيئة ضد المؤمنين، ثم يقومون بإشاعتها وترويجها، قوله ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بما يجب عليهم من الحد على قذفهم ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: العذاب فيها ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: يعلم ما تسببه إشاعة الفاحشة من المفاسد والآثام، وأنتم لا تعلمون ذلك، فردوا الأمر إلى الله واعملوا بأحكامه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بالوعيد الشديد لمشيعي الفاحشة في المؤمنين

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، برقم (٤٩٩٢)، سنن أبي داود ج٤ ص٣٢٦، ومسلم في المقدمة بلفظ «من سمع كذباً» باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، المقدمة ص٢٥٢ .

(٢) سورة الحجرات الآية ٦ .

ويستوي في ذلك إن كان هذا بقصد أو غيره؛ لأن ضرر إشاعة الفاحشة يترتب بصرف النظر عن نية صاحبها. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**)[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته**)[٢].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

أي: لولا فضله ومنته على الذين تداولوا الإفك لعجل لهم العقوبة ولكنه بعباده رؤوف رحيم فقبل توبة من تاب منهم وطهّر من أقيم عليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، برقم (٦٤٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣١٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص٢٧٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨ ص٨٧ .

الحد منهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: لا تسلكوا مسالكه ولا طرائقه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: يسلك طريقه ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ أي: يحث على ارتكاب الفواحش والمنكرات وسائر الرذائل ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: لولا لطف الله ورحمته بكم، وتفضله عليكم ما زكت نفوسكم ولا صلحت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يصلح من يشاء من عباده ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده ويعلم أحوالهم وسرائرهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان فضل الله على العصاة من عباده فلا يعجل لهم العقوبة، بل يمهلهم ليتوبوا إليه. وفيهما: الحكم بتحريم اتباع الشيطان في مسالكه ومذاهبه وطرائقه؛ لأنه يأمر أتباعه بارتكاب الفواحش والضلال فوجب على المسلم الحذر منه كما قال عزوجل ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ

(١) سورة فاطر الآية ٦ .

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: ولا يحلف ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي: أصحاب الفضل ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ أي: الجدة والغنى ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى لا تحلفوا بأن لا تصلوا أقاربكم ممن هم في حاجة إلى عونكم؛ لفقرهم وحاجتهم ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ أي: يتجاوزوا عن إساءتهم. وسبب نزول هذه الآية أن مسطح بن أثاثة أحد أقرباء أبي بكر رضي الله عنه (ابن خالته) وكان هذا من المهاجرين البدريين الفقراء، واسمه عوف بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف ومسطح لقبه، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لفقره وقرابته منه، فلما حدث الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبوبكر ألا ينفق عليه، فجاء إليه مسطح معتذراً وقد أقيم عليه الحد وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان فكنت أسمع ولكن لم أقل شيئا فقال له أبو بكر: لقد قلت وشاركت فيما قيل فلما برأ الله أم المؤمنين عائشة وتاب الله على من تاب من المتقولين في الإفك وأقيم الحد على بعضهم نزلت هذه الآية فلما قال الله عز وجل ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال

الصديق رضي الله عنه: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى الإنفاق عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً[١]. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويرحمهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب العفو عن الإساءة والأذى خاصة من ذوي الأرحام كما قال عز وجل ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]. وقوله عز ذكره ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٢٢، وأخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، برقم (٢٦٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٣١٩، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٤) سورة الشورى من الآية ٤٠ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: إن الذين يقذفون العفيفات بالزنى ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: طردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي: شديد ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: تشهد ألسنتهم بما كانت تنطق من القذف، وتتكلم جوارحهم بما كانوا يعملون في الدنيا ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: يحاسبهم الحساب الأوفى، ويجازيهم على ما كانوا يقولون ويفعلون ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: ويعلمون حينئذ أن الله هو الإلَه الذي تجب طاعته وتجتنب معاصيه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تشنيع جريمة قذف المحصنات وفي مقدمة ذلك تحريم التعرض لأم المؤمنين عائشة زوج رسول الله ﷺ التي نزلت فيها الآيات، وكذا سائر زوجاته أمهات المؤمنين، فمن تعرض لها رضي الله عنها، أو تعرض لهن بالإفك يعد كافرا؛ لأنه يكون كافرا بالقرآن. ومن تعرض لأي مؤمنة عفيفة ورماها بالفاحشة عد قاذفا يقام عليه الحد ما لم يثبت ما قاله بأربعة شهود. وفيها: الحكم بلعنة القذفة وطردهم من رحمة الله. وفيها: أن جوارحهم تشهد عليهم يوم القيامة

كما قال عز وجل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[2].

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية. قال ابن عباس: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول، والمعنى أن ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها هم أحق به، وهي أحق بالبراءة التي نزلت بطهارتها وثبت بذلك كذب المنافقين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: هي مبرأة وصفوان مما افتراه عليهما المنافقون ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: جزاء ما لحق بهم من الإفتراء ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: في الآخرة عند الله.

---

(١) سورة فصلت الآية ٢٠ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٢١ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن الخبث يلصق بأهله فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث، أما الطيب فلا يناسبه إلا القول الطيب فلكل أمر ما يناسبه. وفيها: الحكم ببراءة أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل مما نسبه لهما المنافقون لقوله عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. وفيها: وعد الله لهما بالمغفرة والرزق عنده في جنات النعيم تعويضا لهما عما لحقهما من الإفك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ لما بيَّن الله ما حرم على المؤمنين من القذف والفواحش، بيَّن لهم ما يجب أن يكونوا عليه من السلوك القويم والآداب في تعاملهم مع غيرهم فنهاهم

عن أن يدخلوا بيوتا غير بيوتهم دون إذن من أصحابها ذلك أن للبيوت حرمات وأسراراً يجب احترامها فقال ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ المراد لا تدخلوها حتى تستأذنوا من أهلها فإن أذنوا لكم فادخلوا وإلا فارجعوا ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي: إن في الاستئذان خيراً لكم؛ لأنكم حينئذ تدخلون بيوت أناس بإذنهم حتى لا يكون عدم إذنهم مظنة الإثم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتذكرون أحكام الله وأوامره ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ أي: إذا لم تجدوا أهلها أو وجدتموهم ولم يأذنوا لكم فلا تدخوا لأن ذلك ليس من حقكم ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أي: إن استأذنتم من أهل البيوت، ولم يأذنوا لكم فارجعوا من حيث أتيتم؛ لأنه لا يحل لكم حينئذ أن تكرروا طلب الإذن؛ لأن ذلك أزكى لنفوسكم ونفوس غيركم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ أي: عليم بأحوالكم، وعليكم أن تطيعوه فيما يأمركم به؛ لأنه أعلم بما ينفعكم وما يضركم، وإياكم والدخول على الناس في غفلة ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾ لما نهى الله عن دخول البيوت دون إذن، أطلقه بعض الناس على ظاهره فلا يأتي موضعا غير مسكون إلا سلم واستأذن، فرفع الله الحرج بهذه الآية، وتشمل البيوت غير المسكونة الخالية من الناس أو ذات النفع

العام كالمساجد والمحلات المعدة للبيع، وتكون عادة مفتوحة للناس ونحو ذلك مما لا يكون في دخوله أذى للغير؛ لأن الغاية من الإستئذان هو الخوف من التطلع على عورات الناس وأسرارهم. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ أي: يعلم ما تظهرونه قولا وعملا ويعلم ما تكتمونه في أنفسكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب الاستئذان قبل الدخول في بيوت الناس، وروى أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**)[1]. وعن أنس أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال: (**السلام عليكم ورحمة الله**) فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثا ورد عليه سعد ثلاثاً، ولم يسمعه فرجع رسول الله ﷺ فاتبعه سعد فقال: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ما سلمت تسليمة إلا هي بأذني، ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأحببت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت الحديث[2]. ومن آداب الاستئذان: ألا يقف المستأذن أمام مدخل البيت إذا كان الباب مشرعا لما يحتمل من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، برقم (٦٢٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣ ص١٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧ ص١٨٧ .

انكشاف البيت أمامه. ومن الأحكام: أن الاستئذان لا يكون للغرباء فحسب بل للأقربين وأهل بيته؛ لما روي أن امرأة من الأنصار قالت: يارسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع فنزلت الآية[١]. ومنها: أن يعرّف المستأذن نفسه صراحة؛ لما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: (**من هذا؟**) فقلت: أنا فقال عليه الصلاة والسلام: (**أنا أنا**)، كأنه كره ذلك[٢].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله جل وعلا ما يجب على المؤمنين من حسن السلوك ووجوب الاستئذان قبل الدخول إلى بيوتهم وبيوت غيرهم، بيَّن حكم النظر فقال عز ذكره ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ أي: قل يا محمد للمؤمنين أن يخفضوا أبصارهم، فلا ينظروا إلى ما حرم الله عليهم؛ لأن البصر من أشد الحواس نفاذاً إلى المحسوس لأنه يدفع

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٢٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٠ ص١١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب كراهة قول المستأذن «أنا» إذا قيل من هذا ؟، برقم (٢١٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨١٨ .

الحواس الأخرى إلى الحركة فكان الأولى غضه دفعا لما قد ينتج عنه من الوقوع في الإثم ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ أي: يمنعوها من الوقوع في الزنى ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أطهر لأنفسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: عليم بما يفعلون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير وجوب غض البصر عن المحارم؛ لما قد يؤدي إليه عدم غضه من الوقوع في الإثم، فإذا وقع البصر على محرم من غير قصد وجب غضه؛ لما رواه جرير بن عبد الله البجلي قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري[1]. وفيها: وجوب حفظ الفرج عن الحرام، وقد أثنى الله على المؤمنين بقوله عزوجل ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[2]. ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾[3].

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب نظر الفجأة، برقم (٢١٥٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥ .

(٣) سورة المؤمنون من الآية ٦ .

أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ هذا أمر من الله عزوجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يأمر نساء أمته أن يغضضن أبصارهن عن الرجال الأجانب، وقد بدأ بغض البصر؛ لأنه كما ذكرنا المحرك للحواس كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أي: يصنهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾ أي: يجب عليهن إخفاء زينتهن إلا ما لا يملكن إخفاءه كالثياب والكفين ومافيه ضرورة ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ أي: يجب أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها؛ لكي تستر به صدرها وذلك خلافا لما كانت النساء في الجاهلية يفعلنه؛ فكانت المرأة إذا غطت رأسها بالخمار سدلته من وراء ظهرها فيبقى صدرها

وعنقها وأذناها ظاهرة فنهى الله عن ذلك وأمر باسدال الخمار على الجيب ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: لا يبدين ما كان فيها من زينة إلا لأزواجهن ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ فهؤلاء كلهم محارم للمرأة، فيجوز لها أن تظهر عليهم وهي في زينتها، ولكن لا يكون ذلك في وضع تبرج أو تصنع فإن خير ما للمرأة أن تخفي زينتها إلا عن زوجها قوله ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: يجوز لها أن تبدي زينتها عند النساء مثلها، ومن على دينها ومع ذلك لها أن تقتصد في ذلك لما يحتمل أن تصفها بعض النساء لأزواجهن، وقد حرم رسول الله ﷺ ذلك بقوله: (**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**)[1].

قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ المراد به مملوكهن ومملوكاتهن وقيل: المراد الإماء وليس المملوكين من الرجال ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ المراد بذلك من لا رغبة لهم في النساء كالعنين ومن في حكمه ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الطفل اسم جنس والمراد الأطفال الذين ليس لهم قدرة على مواقعة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها، برقم (٥٢٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٢٥٠ .

النساء لصغرهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: لا تضرب المرأة برجلها لكي تسمع صوت خلخالها كما كان نساء الجاهلية يفعلنه إذا رأين الرجل وهو معنى ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتوبوا فيما يبدر منهم من تقصير وأن يتقوه فيما أمرهم به من الستر والعفاف.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية عدة أحكام: منها: الحكم بوجوب غض المرأة لبصرها إذا رأت الرجال الأجانب عنها. ومنها: وجوب حفظ فرجها وصونه عما حرمه الله عليها. ومنها: وجوب وضع المرأة خمارها على جيبها لتستر فتحات صدرها وعنقها. وفي هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها[1]. ومن هذه الأحكام: وجوب إخفاء المرأة زينتها عدا ما تقتضيه الضرورة كالكفين أو أطراف الثياب وما يتعذر عليها ستره بحكم الضرورة. ومنها: جواز إظهار الزينة لمن ليس لهم حاجة في النساء كالعنين والأطفال غير المميزين. ومنها: تحريم إعلان المرأة عن نفسها إذا كانت تسير في الطريق، ويشمل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ برقم (٤٧٥٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٤٧ .

ذلك ما كان نساء الجاهلية يفعلنه من وضع الخلاخل في أرجلهن كما يشمل ذلك إظهار الزينة والتطيب والتعطف ولبس الثياب المثيرة عند خروجها إلى الأسواق. ومن هذه الأحكام: وجوب التوبة إلى الله من تقصير العبد في عبادته أو فيما أمره الله به من الأحكام.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيامى: العازبون، وهذا أمر من الله للمؤمنين أن يزوجوا الرجال الذين لا زوجات لهم، وأن يزوجوا النساء اللاتي لا أزواج لهن ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وهذا أيضا أمر للمؤمنين بتزويج مملوكيهم وإمائهم ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لا يكون الفقر مانعاً لهم من الزواج؛ لأن الله سوف يغنيهم من فضله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الرزق عليم بحاجات عباده ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهذا أمر من الله عز ذكره بأن يتعفف عن الحرام من لا يستطيع النكاح إلى أن يجد ما يتزوج به ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ هذا أمر من الله لأصحاب الموالي أن يكاتبوا مواليهم للحصول على حريتهم إذا علموا فيهم خيرا أي: كان لهم مال ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: أعطوهم ما فرض الله لهم من الزكاة ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ كانت بيئة العرب في الجاهلية بيئة فاسدة، فإذا كان لبعضهم أمة استرقها بحكم الغزو الذي ينشب بينهم فجعلها تزني ويفرض عليها جُعلا من المال، فلما جاء الإسلام حرَّم ذلك. وقيل في سبب نزول هذه الآية: أنه كان لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة إماء وكان يكرههن على البغاء فشكت اثنتان منهن لرسول الله ﷺ فنزلت الآية[١] والمعنى النهي عن إكراه الإماء على البغاء وهن يردن التحصن وهذا نهي تحريم ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: من خراجهن ومهورهن ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: ومن يقهرهن

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٢٨، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧٩ .

فإن الله رحيم بهن وسيعاقب من يكرههن.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ المراد بذلك القرآن ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: خبرا عن الأمم السابقة وما حدث لهم بعد أن عصوا رسلهم وكذبوهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: وفيه التحذير والزجر من ارتكاب المحرمات ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين يخشون الله ويتقونه ويخافون من عقابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الأمر للمسلمين بالعمل على تزويج أولادهم العازبين وفيه قول رسول الله ﷺ: (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**)[1]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**)[2]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، برقم (٥٠٦٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص١٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، برقم (٢٠٥٠)، سنن أبي داود ج٢ ص١٨٠، والنسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، برقم (٣٢٢٧)، سنن النسائي ج٦ ص٣٧٣ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، برقم (١٨٤٦)، بلفظ: «النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني»، وقال: وفي الزوائد: إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف عيسى بن ميمون المديني لكن له شاهد صحيح، سنن ابن ماجة ج١ ص٥٩٢، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ج٢ ص٤٢٩ .

وفيها: وجوب العفة لمن لم يقدر على النكاح حتى يغنيه الله. وفيها: تقرير مكاتبة المملوك للحصول على حريته إذا كان له مال يستطيع منه تمويل مكاتبته مع وجوب إعانته، وذلك بأن يعطيه صاحبه ما يعينه على المكاتبة أو يحط عنه شيئا منها. ومن الأحكام في الآية: تحريم الزنى إكراها أو اختيارا وإبطال ما كان سائدا في الجاهلية من الأعمال الشائنة التي يفعلها المشركون بإمائهم.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾.

بيان الآية:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: منوِّرهما ومضيئهما فنوره عام في كل شيء من خلقه فمن نوره استنارت الأرض والسموات والشمس والقمر والنجوم، وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: (**اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض**

ومن فيهن)[١]. ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: ما يقذفه الله في قلب عبده المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ مثل كوة البيت فيها سراج في زجاجة مما يزيد قوة الضوء ونقاءه ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مضيء متوهج من شدة صفائها ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي: إن زيت المصباح من شجرة مباركة هي شجرة الزيتون ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ تصيبها الشمس إذا أشرقت ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تصيبها إذا غربت فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية غربية وهذا أجود لزيتها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وذلك لقوته وجودته ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ﴾ أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة، وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن في قوة إيمانه.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي: يهدي للإيمان ويخص به من يشاء من عباده ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ أي: يضرب لهم الأمثال؛ ليكون ذلك أيسر لهم في الفهم ومعرفة أحكامه ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن الله يهدي من يشاء من عباده فيقذف الإيمان في قلبه ويدله على طاعته. وفيها: تقرير ضرب الأمثال للناس

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، برقم (١١٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٥ .

لعلهم يفهمون مراد الله من أحكامه.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

بيان الآيات:

بعد أن بيَّن الله عز وجل مثل قلب المؤمن بضيائه وصفائه بالمصباح المضيء في الزجاجة الصافية بيَّن أن مكان هذا القلب هو في بيوت الله فيعمرها بالصلاة والتسبيح والذكر فقال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ الإذن هنا بمعنى الأمر بعمارتها، وهذه العمارة على نوعين: الأول: تشييدها، لتكون بيوتا من بيوت الله وتزيينها وتعظيمها وتنظيفها بما يليق بها والنوع الثاني: عمارتها بذكر الله، ويشمل ذلك إقامة الصلاة فيها فرضا ونفلا وحمد الله وذكره وتلاوة كتابه كما قال عز وجل ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾. وقوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ أي: يسبح له فيها في الصباح وفي المساء؛ لما لهما من خصوصية في صفاء النفس والاقبال على الله في بداية النهار وعند إقبال الليل ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي:

لا تشغلهم عن ذكره مطامع الدنيا ومكاسبها وزخرفها بل قلوبهم متعلقة بذكره أنى كانوا وحيثما كانوا ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: كما لا تشغلهم تجارتهم ولا مكاسبهم عن إقامة الصلاة في أوقاتها ولا تشغلهم كذلك عن إيتاء الزكاة فيشحون بها بل يخرجونها طيبة بها نفوسهم وينفقونها حيث أمرهم الله بإنفاقها ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: وهو على تلك الحال من ذكر الله يخشون يوم القيامة وما فيه من الخوف والفزع والأهوال.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: يثيبهم ويوفيهم أجورهم بأحسن مما عملوا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يضاعف لهم الحسنات التي عملوها كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: هو ذو الفضل العظيم الذي يعطي عباده دون عد أو حساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب تعظيم بيوت الله تشييدا وبناء وعمارة بذكر الله، والأصل فيه قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[٢]. وقول رسوله

---

(١) سورة النساء الآية ٤٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١٨ .

محمد ﷺ: (**من بنى مسجدا لله يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة**)[١]. وبناء المساجد يقتضي صيانتها وتنظيفها من الروائح الكريهة، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا**)[٢]. كما يقتضي عدم اللغو أو البيع فيها، ففي حديث بريدة أن رجلا أنشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: (**لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له**)[٣]. ومن الأحكام: مضاعفة الأجر في الصلاة في المساجد؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (**صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، برقم (٥٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٧٨٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، برقم (٨٥٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٣٩٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد، برقم (٥٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٨٥٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم (٦٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٥٤ .

ومن هذه الأحكام: أن الله أثنى على عباده الذين لا تشغلهم تجارتهم ولا بيعهم عن ذكر الله, فإذا سمعوا النداء تركوا كل شغل لهم وتسابقوا إلى المساجد, يحمدون الله, ويسبحونه, ويذكرونه بألسنتهم وقلوبهم.

ومنها: مضاعفة الله لحسنات عباده جزاء لهم على أعمالهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (٣٩) أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾.

بيان الآيتين:

لما ضرب الله مثلا لنوره الذي يقذفه في قلب المؤمن ضرب مثلين للكفار, وأن الأعمال التي يعملونها تذهب سدى ولا تنفعهم بشيء فقال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ أي: أن أعمالهم مثل السراب الذي يلوح في القاع من الأرض فيحسبه الظمآن ماء فيتطلع إليه, فإذا اقترب منه لم يجده شيئا كما قال عزوجل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ فهذا مثل الكافر يزعم أنه عمل عملا صحيحا فيتطلع إلى جزائه من الله, فإذا أقبل عليه وحاسبه لم يجد له

عملا يجزيه عليه كما قال عزوجل ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: سريع في محاسبته للكافرين.

﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ ومثل الكافر كذلك كمثل من يكون في بحر عميق قعره ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ أي: يغطيه ثم ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ أي: فوق الموج الذي غطاه موج آخر ثم يغطيه من فوقه ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ أي: ظلمات متراكمة ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ وذلك من شدة الظلام, مع أن يده أقرب ما تكون إليه ولكن لا يستطيع رؤيتها, فالكافر مثل من كان على تلك الحال يتقلب في الظلام بسمعه وبصره وعقله, فلا يكاد يرى من الحق شيئا' بسبب ما ران على قلبه من الكفر ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله ويدله على الإيمان ويبصره به فلا أحد يدله أو يهديه إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أعمال الكافرين هباء وسدى ومَثَلُها مَثَلُ من يظن السراب ماء, ومَثَلُ من يعيش في ظلمة البحر وأمواجه, فلا يرى أمامه ما يبصره. ومن الأحكام: تقرير أن من حرمه الله نور الإيمان بسبب كفره وطغيانه فما من أحد يستطيع أن يدله أو يهديه إلا الله كما قال عز وجل ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٦ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن كل من السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والجماد والنبات يسبح له ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ أي: وتسبح له الطير وهن صافات أجنحتها للطيران ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ أي: إن كلا من هذه المخلوقات يسبح لله كما علَّمه وحسب لغته وفهمه وما أرشده الله إليه فيسمع عز وجل تسبيحهم ودعاءهم، لا تختلف عليه لغاتهم ولا تشتبه عليه أصواتهم كما قال عز ذكره ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لما بيَّن عز وجل أن كل المخلوقات تسبح له بيَّن أنه مالك السموات والأرض وأنه المتصرف فيهما المدبر لهما ومن فيهن ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه يوم القيامة مرجع جميع الخلائق ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم وتشمل رحمته من تشمله منهم فتعالى وتقدس.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الكون العلوي والسفلي ومن فيهما يسبح لله كما قال عز وجل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]. الحكم بأنه عز وجل يعلم تسبيح جميع مخلوقاته، لا تختلف عليه لغاتهم ولا تشتبه عليه أسماؤهم. الحكم بأنه مالك السموات والأرض المدبر والمتصرف فيهما ومن فيهن، فهم خلقه وعبيده، مرجعهم ومصيرهم إليه كما خلقهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يبيِّن الله تعالى أنه ينشئ السحاب متفرقا ابتداء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: يجمع بعضه مع بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ أي: متراكباً بعضه فوق بعض مثل الجبال ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وعندئذ يخرج المطر منه وينزل إلى الأرض

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ أي: من جبال البرد المتراكمة ينزل الله بردا ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ أي: قد يكون البرد نقمة أو رحمة حسب إرادة الله وحكمته ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أي: يكاد ضوء برقه من قوته يخطف البصر ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يتصرف فيهما فيطيل هذا ويقصر ذاك ويتعاقب هذا مع ذاك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أي: في هذا موعظة لأولي العقول الذين يدركون قدرة الله ويعرفون عظمته وتصرفه وتدبيره في خلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عظمة الله في إنشاء السحاب، وتولد المطر منه ونزوله إلى الأرض لحاجة العباد، وبيان حكمته في إنزال البرد ومتى يكون رحمة ومتى يكون نقمة حسب إرادته وتصرفه في خلقه، فإن كان رحمة فهي منة من الله يمتن بها على خلقه، وإن كان نقمة فهو تذكير لعباده وتحذير لهم عما ارتكبوه من الخطايا كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1]. وقوله ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾[2]. ومن الأحكام: تقرير حكمة الله في تعاقب الليل

(١) سورة الرعد من الآية ١١.

(٢) سورة الروم من الآية ٢٤.

والنهار وتقلبهما كما قال عزوجل ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[1].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ في سياق ذكر عظمته وقدرته وتدبيره بيَّن عز وجل أنه ما من دابة على وجه الأرض إلا خلقها من ماء هو مني الذكور على اختلاف أنواعهم ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كحال الحيات والزواحف ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كحال الإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كحال الحيوانات ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يخلق بقدرته وحكمته ما يشاء من الخلق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مظاهر قدرة الله وعظمته في كيفية خلقه ومن ذلك حركتهم، وتفاوت هذه الحركة كل بحسب خلقه وتكوينه.

---

(١) سورة الزمر من الآية ٥ .

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: أنزلنا آيات القرآن بينة جلية فيها الأحكام، وفيها: الحِكَم، والأمثال، والدلائل التي تبين للخلق ما فرض الله عليهم وما وعدهم به إذا أطاعوه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يدل من يتقيه إلى الطريق القويم الذي يوصله إلى مرضاته.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان نعم الله ومننه على عباده بإنزال القرآن عليهم بما فيه من الآيات البينات التي تدلهم على ما فيه نفعهم وتنذرهم عما فيه ضررهم. الحكم بأنه عز وجل يهدي من يتقيه منهم إلى الطريق القويم الذي يكفل له السعادة في الدارين.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ هذا بيان من الله جل ثناؤه لحال المنافقين وكونهم يظهرون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فيقولون: آمنا بالله وصدقنا ما جاء به رسوله، ولكن أقوالهم هذه تخالف أفعالهم وذلك بإعراضهم عن الحق ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنهم ليسوا بمؤمنين ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: إذا قيل لهم تحاكموا إلى الرسول ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: تولوا مستكبرين ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أي: إذا كان لهم الحق جاؤوا إلى الرسول منقادين، قيل: إن هذه الآية نزلت -كما سبق ذكره- في رجل من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ وكانت دعوى المنافق باطلة فأبى التحاكم إلى رسول الله ﷺ وقال: إن محمدا

يحيف علينا فلنتحاكم إلى كعب بن الأشرف[١] وقيل: إنها نزلت في المغيرة بن وائل كانت بينه وبين علي بن أبي طالب خصومة فامتنع المغيرة أن يحاكم علياً إلى رسول الله ﷺ[٢].

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: فيها مرض؛ بسبب نفاقهم ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ أم شكوا في رسالة رسول الله ﷺ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أم يخافون أن لا يعدل الله ورسوله فيهم بالحق والعدل ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إنهم في كل ذلك قد كفروا وظلموا أنفسهم والله ورسوله بريئون مما يقوله الكافرون.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لما ذكر الله صفة المنافقين وشكوكهم واستكبارهم عن حكم الله ورسوله، ذكر صفات المؤمنين بأنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا، فكان لهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يطيعهما فيما أمراه به، وينتهي عما نهياه عنه ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ أي: يخافه في كل أموره في السر والعلن ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: هم الذين أدخلوا الجنة ونجوا من النار.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٢٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٩٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بالمنافقين؛ لإعراضهم عن التحاكم إلى الله ورسوله بسبب ما أصاب قلوبهم من الشك والنفاق وخوفهم من جور الله ورسوله عليهم (تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً). وفيها: وجوب التحاكم إلى الله ورسوله قولا وعملا حقا وصدقا كما قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]. وفيها: مدح المؤمنين الذين يستجيبون للتحاكم إلى الله ورسوله إذا دعوا إليه، وهذا يقتضي أن من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فهو كافر كما قال عز وجل ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ المراد بالمقسمين المنافقون فقد

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦.

(٢) سورة المائدة من الآية ٤٤.

اقسموا بالله غاية جهدهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ أي: إن أمرتهم يا محمد إلى الجهاد سيحلفون أنهم يخرجون فأمره الله أن يقول ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ أي: لا تحلفوا فطاعتكم معروفة وهي القول وعدم الفعل كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1]. ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: عليم بما تقولونه بألسنتكم وتخفونه في صدوركم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: قل لهم يا محمد أطيعوا الله والرسول فيما أمراكم به ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: إن تعرضوا عن الحق ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ أي: ما على الرسول إلا إبلاغ ما أرسل به ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من وجوب قبول ما جاءكم به من أحكام الله ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ أي: إن تطيعوا الرسول فيما أمركم به ترشدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليه إلا أن يبلغ الرسالة وعلى الله الحساب والجزاء.

---

(١) سورة الحشر الآية ١١ .

(٢) سورة الحشر الآية ١٢ .

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بكذب المنافقين وعدم تصديقهم فيما يقولون؛ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا وهم أشد خطراً من الكافرين؛ ذلك أن هؤلاء -كما سبق ذكره- معروفون بكفرهم فيتم التعامل معهم مع معرفة أمرهم؛ أما المنافقون فهم يحاولون خداع المؤمنين بما يظهرونه لهم من المحبة والصحبة وهم على خلاف ذلك كما قال عز وجل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾[1]. وفيهما الأمر بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله، فمن أطاعهما فقد اتبع طريق الهدى، ومن عصاهما فقد ضل ضلالا مبيناً.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إن بعض أصحاب رسول الله ﷺ شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الفزع وأنهم لا

(١) سورة المجادلة من الآية ١٦ .

يضعون أسلحتهم وقال رجل منهم: يا رسول الله أيأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلاة والسلام: (**لا تلبثون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس عليه حديدة**)[١].

قلت: وكما وعد الله ووعده الحق، فقد أظهر الله دينه فبعد أن كان المسلمون خائفين في مكة أمر الله رسوله بالهجرة وتتابعت غزواته عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين فَفُتِحَتْ بلدان جزيرة العرب، ولما لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، ففتحت بلاد الروم وفارس، وواصل المسلمون مسيرتهم حتى أوروبا، وقد تحقق وعد الله ووعد رسوله ﷺ بقوله: (**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**)[٢].

ولم تتراجع مسيرة المسلمين في الفتوحات إلا حين اختلفوا وتقاتلوا وأصبحوا شيعا وأحزابا ودويلات ضعفت فيها جذوة الدين واشتدت فيها جذوة الدنيا، فصاروا هدفاً لأعدائهم فتوالى عليهم الغزو من التتار والصليبيين حتى هذا الزمان مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: (**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**)[٣].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٢٩-٥٣٠، وتفسير البغوي ص٩١٥ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧١١٦ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢)، سنن أبي داود ج٣ ص٢٥٣، والإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٢٥٣ .

قوله ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كما استخلف من الأمم قبلهم لما كانوا يعبدون الله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: الإسلام كما قال عز وجل ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾[1]. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا﴾ أي: بدل خوفهم فجعله أمنا وسلاما ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ أي: إنه امتن عليهم بهذه الفضائل، لما عبدوا الله ووحدوه وأخلصوا دينهم له فله الحمد والثناء على ما أنعم به على المؤمنين ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ أي: من كفر بعد هذه النعم التي أنعم الله بها عليه فقد خرج عن طاعة الله واستحق عقابه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية تقرير وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض حيث مكّن رسول الله ﷺ وصحابته من فتح البلدان وإشاعة الأمن فيها وظهور الإسلام في الأرض. وفيها: الحكم بأن من عبد الله حق عبادته ورث الأرض كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[2]. وفيها: أن الأمم التي ينعم الله عليها ثم تتنكر لهذه النعم بالمعصية يسلبها الله منها مع ما يدخره لها من العذاب.

(١) سورة المائدة من الآية ٣ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يقيموا الصلاة في أوقاتها وبأركانها وشروطها وأن يؤدوا الزكاة كما فرضها عليهم عونا للمحتاجين وطهارة للأموال، وأن يطيعوا رسولهم فيما أمرهم به ودلهم عليه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ أي: إذا فعلوا ذلك يرحمهم الله فيتقبل حسناتهم ويعفو عن سيئاتهم ويمكِّن لهم في الأرض ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا تظن يا محمد أن الذين كذبوك وآذوك يعجزون الله بل هو قادر على عذابهم وتمكينك من رقابهم وقد فعل هذا كما حصل لرؤوس المشركين يوم بدر ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: بئس هذا المأوى.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة رسول الله وذلك ابتغاء رحمته ومرضاته. وفيهما: تقرير قدرة الله على الانتقام من الكافرين الذين كذبوا رسوله وآذوه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ لما ذكر الله عز وجل وجوب الاستئذان قبل دخول بيوت الأجانب، بيَّن في هذه الآية دخول الأقارب والخاصة.

وقيل في نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ بعث غلاما إلى عمر رضي الله عنه يدعوه، فوجده نائما وقت الظهيرة، فطرق الباب فاستيقظ عمر فانكشف من جسمه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا

ونساءنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فسجد شكرا لله[١].

وقد بينت الآية أن حالات الاستئذان ثلاث مرات الأولى ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأن الإنسان يكون في هذا الوقت نائماً ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وهذا وقت القيلولة، وقد يكون الإنسان قد وضع ثيابه ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾ وهو الوقت الذي يذهب فيه المرء للنوم فهذه الحالات ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾ يجب فيها على خاصة الإنسان كخدمه وأطفاله الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوه وفي هذا تربية للمسلمين على المحافظة على الخصوصية. قوله ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾ المراد إذا دخلوا عليكم في غير الحالات الثلاث فلا مانع من دخولهم عليكم دون استئذان لأنهم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: يقومون بخدمتكم ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي: أن بعضكم يدخل على بعض للخدمة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: يفصل لكم الأحكام والقواعد الشرعية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ أي: يعلم بأحوال عباده وأسرارهم وما ينفعهم وما يضرهم حكيم فيما يشرعه لهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٣١، وتفسير البغوي ص٩١٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٠٠٥، والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٠٤.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ أي: إذا بلغ الأطفال الحلم وهو البلوغ وجب عليهم الاستئذان ليس في الأحوال الثلاث بل في كل الأحوال ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الذين عناهم الله بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ الآية[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يفصل لكم أحكامه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يصلح أحوال خلقه.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ المراد من انقطع حيضهن ويئسن من المحيض ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ليس لهن طمع في التزوج بعد أن وصلن إلى هذه السن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: يتخلين عن الخمار والجلباب ونحوهما ولكن يجب أن يكون ذلك بغير التبرج وإظهار الزينة؛ لما يؤدي إليه ذلك من الفتنة بهن ولو كن من القواعد. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ لما رفع الله عن القواعد الحرج في مسألة الثياب رغب في استعفافهن أي: عدم وضع ثيابهن وعدم خروجهن كاشفات؛ لأن في ذلك الخير والعفاف لهن، فكلما كانت المرأة - أيًّا كان عمرها - بعيدة عن الرجال فهو أزكى لها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لأقوال

---

(١) سورة النور من الآية ٢٧ .

عباده في سرهم وعلنهم عليم بأحوالهم وسائر أمورهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تضمنت هذه الآيات عدة أحكام: منها: عدم دخول الأطفال غير المميزين والخدم على أهليهم قبل صلاة الفجر ووقت الظهيرة وبعد صلاة العشاء لكون هذه الأوقات أوقات عورة. ومنها: أن على الأولاد إذا احتلموا أن يستأذنوا في كل الأحوال. ومنها: الرخصة للقواعد من النساء الآيسات من الحيض في كشف وجوههن دون التبرج بالزينة وأن من الخير لهن الاستعفاف والحفاظ على الستر وعدم كشف وجوههن؛ لأن في ذلك الخير لهن.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ في هذه الآية: عموم وخصوص؛ أما العموم فليس على هؤلاء حرج فيما يتخلفون عنه؛ لكونهم لا يستطيعونه كالجهاد، وأما الخصوص فهو عدم الحرج في مؤاكلتهم، لما قيل: إن أناسا رأوا أن الأكل مع هؤلاء فيه حرج لهم؛ لأنهم لا يأكلون كما يأكل الأصحاء وأن الله نهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، كما أن أصحاب هذه العاهات يتحرجون من الأكل مع الأصحاء خشية كرههم للأكل معهم كما كان أهل الجاهلية يترفعون عن الأكل معهم فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ المراد أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوت أولادكم وليس المراد أن لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، فهذا حاصل وليس هو مراد الله، وإنما المراد مال الولد؛ لأنه مال لأبيه كما قال رسول الله ﷺ: **(أنت ومالك لأبيك)**[2].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٣١-٥٣٢، وتفسير البغوي ص٩١٨، وزاد المسير ص١٠٠٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، برقم (٢٢٩١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٧٦٩، الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٠٤.

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ فهؤلاء معروفون بحكم القرابة قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: البيوت التي أنتم موكلون عليها، وفي حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمنائهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحل لنا أن نأكل لأنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء فأنزل الله هذه الآية(١).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي: ولا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوت أصدقائكم إذا عرفتم أنهم لا يمانعون ذلك ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ كان بعض العرب في الجاهلية يرى أن من العار عليه أن يأكل وحده فرخص الله أن يأكل المرء وحده، أو مع الجماعة، مع أن الأكل مع الجماعة أفضل ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم على أهلكم فسلموا عليهم لأن في ذلك استئناساً ومودة لهم لأن السلام أمان ومحبة يدخل

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٣٣، والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣١٢ .

السرور على المسلَّم عليهم، فإن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهم الملائكة ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ أي: هي تحية أَمَرَ الله بها فهي مباركة وطيبة للمسلِّم والمسلَّم عليهم. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لما بيَّن الله عز وجل لعباده ما في هذه السورة من الأحكام والآداب الشرعية التي أرشدهم بها إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم في دنياهم وآخرتهم أمرهم أن يتدبروها بأفهامهم وعقولهم، لكي يعرفوا نعم الله العظيمة عليهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية عدة أحكام: منها: رفع الحرج عن الأكل مع ذوي العاهات، ويستثنى من ذلك إذا كان المرض أو العاهة تنتقل إلى الغير عن طريق العدوى كما هو الحال في الأمراض المعدية مما هو معروف للأطباء. ومنها: رفع الحرج عن الأكل من بيوت الأبناء والآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والبيوت الموكَّلين عليها وبيوت الأصدقاء، على أن يكون ذلك بعدم ممانعة منهم وإلا لم يجز الأكل من بيوتهم. ومن الأحكام: جواز الأكل فرادى أو جماعة مع فضيلة الأكل الجماعي. ومنها: أنه يشرع السلام عند دخول المرء إلى بيته أو دخوله أي مكان آخر كالمساجد

والأماكن المسكونة وغير المسكونة.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ هذا وصف للمؤمنين في أدبهم مع رسول الله ﷺ أو مع إمامهم، فإذا كانوا معه على أمر جامع كيوم الجمعة أو ما فيه أمر جَمَع الناس لأجله ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ أي: لم يخرجوا من الاجتماع حتى يستأذنوه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴾ قيل: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه فقد استأذن في الرجعة في غزوة تبوك فأذن له رسول الله ﷺ وقال له: (**انطلق والله ما أنت بمنافق**) يريد بذلك أن يسمع المنافقين[١] ﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: إذا استأذنوك فأنت بالخيار إن شئت أذنت وإن شئت منعت ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ ﴾ أي: إذا خرجوا عن الاجتماع ولهم عذر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي: يغفر لعباده خطيئاتهم ويرحمهم ويتجاوز عنهم.

قوله ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتأدبوا مع رسول الله ﷺ فلا ينادونه باسمه كقولهم: يا محمد، أو يا ابن عبد الله، أو يا أبا القاسم فإنهم بأقوالهم هذه يبسطون العلاقة معه عليه الصلاة والسلام فكان الواجب عليهم أن ينادوه بصفته النبوية: يا نبي الله، يا رسول الله وأن يكون قولهم في أدب ولين ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ ﴾ أي: يعلم الذين يخرجون من صلاة الجمعة ومن اجتماعات الرسول ﷺ واحدا بعد الآخر، يلوذ كل منهم بصاحبه خفية، وقيل: إنهم كانوا يتسللون من العمل أثناء حفر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٢١ .

الخندق، ويعتذرون بأعذار كاذبة[١] والمعنى ذم المنافقين في سلوكهم وكذبهم قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ هذا تحذير لمن يخالف رسول الله ﷺ في أمره، وهو سنته وطريقته ومنهاجه. ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: يصابوا بالزيغ والنفاق في قلوبهم ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا، وذلك إما بالقتل، أو الخسف، أو الجوع أو سائر أنواع العذاب.

قوله ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض ومن فيهن، فهم خلقه وعبيده أوجدهم ثم يميتهم ثم يحييهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: يعلم بسرائر خلقه وأحوالهم وماهم عليه من الإيمان أو الكفر ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ۗ﴾ أي: حين يرجعون إليه بعد موتهم ثم بعثهم سوف يخبرهم بما صنعوا من حسنات أو سيئات فيجازي كلا منهم بما عمل ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ أي: عليم بكل ما ظهر وما خفي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٢١ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: وجوب التزام المأمور بالطاعة للآمر ومن ذلك الاستئذان منه في الأمور التي تقتضي الاستئذان مثل عدم الخروج للجهاد أو التخلف عن حضور اجتماع ونحو ذلك. ومنها: وجوب احترام رسول الله ﷺ وتعظيمه، والتأدب معه في حياته وبعد مماته؛ ولهذا مدح الله المتأدبين معه وذم الذين ينادونه من بيوت نسائه فقال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[1]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[2]. ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3]. ومن هذه الأحكام: وجوب طاعته وعدم مخالفة أمره، وقد مدح الله من أطاعه بقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4]. وحذر الذين يخالفون أمره أن يصيبهم فتنة أو يصيبهم أنواع من العذاب.

---

(١) سورة الحجرات الآية ٣ .

(٢) سورة الحجرات الآية ٤ .

(٣) سورة الحجرات من الآية ٥ .

(٤) سورة النساء من الآية ٨٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون آية

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ هذا بيان لعظمة الله وقدرته الذي عم ببركته وعظيم خيره وجميل إحسانه كل مخلوقاته ومن ذلك نزول القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ حيث جعله أفضل أنبيائه وأفضل رسله ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: ينذرهم جنهم وإنسهم من عذاب الله إن كذبوا وكفروا بما جاء به من آيات الله البيِّنات ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذا أيضاً بيان أنه عزوجل مالك السموات والأرض ومن فيهن، وأنهم كلهم عبيده، وتحت إمرته وتصرفه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ وهذا أيضاً

بيان بأنه عز ذكره منزه عن الصاحبة والولد وأنه المتفرد في ملكه ليس له فيه ند أو شريك ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ أي: أنه الخالق لكل ما في الكون علوه وسفله وما بينه، وأنه قدَّر الأقدار وأجَّل الآجال، وكل شيء تحت أمره وتصرفه وحكمته.

قوله ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ ومع عظمة الله وقدرته وتفرده بالخلق وبالربوبية، فإن المشركين جعلوا معه آلهة أي: أصناماً يعبدونها مع أن هذه الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: لا يستطيعون خلق شيء، بل هم مخلوقون مربوبون ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يضرونهم ولا ينفعونهم بشيء ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: لا يقدرون على إماتة أحد أو حياته أو بعثه وإنما هم جمادات لا حول لها ولا طول، وعبادة المشركين لهم إنما يدل على جهلهم وسفههم وسوء عاقبتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بعظمة الله وربوبيته وعظيم بركته على خلقه وامتنانه عليهم بإنزال القرآن على نبيه ورسوله محمد ﷺ ليكون نذيرا للعالمين من عقاب الله إذا كفروا بما جاءهم به من البينات. وفيها: تقرير تنزيه الله وتقديسه عن الولد وعن الشريك والند والمثيل. وفيها: الحكم بسفه المشركين وجهلهم وسوء عاقبتهم

حين يعبدون أصناما مخلوقة لا تنفع ولا تضر.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ لما ذكر الله سفه الكافرين وضلالهم في عبادة الأصنام ذكر قولهم أن القرآن الذي يتكلم عنه محمد ما هو إلا كذب افتراه، وليس من عند الله كما يزعم ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ أي: وأعانه على هذا الكذب في وضع القرآن أناس آخرون معه ثم قال تعالى مبينا كذبهم ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ أي: كذبوا وظلموا بما قالوه. ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾ أي: ما هذا القرآن الذي يدعيه إلا أخبار الأولين التي استنسخها ﴿ فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ أي: تقرأ عليه في الغداة والعشي، هذا ما كان يقوله المشرك النضر بن الحارث وأضرابه من المشركين، فقد كان هذا -كما ذكر من قبل- يذهب إلى الشام وغيرها، ويتعلم أخبار الأمم السابقة، فإذا قام رسول الله ﷺ من المجلس جلس في مكانه، وقال: سوف أقص

عليكم أحسن مما قصه فيتلو عليهم كذبه وزوره، وقد رد الله عليه وعلى جهلة المشركين وسفهاءهم مكذبا لهم ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله هو الذي أنزل القرآن بما فيه من قصص الأمم البائدة وأن هذا القرآن هو الحق الذي أنزل من عند الله جملة وتفصيلا وأنه لا أحد في الوجود يستطيع أن يأتي بمثله إلا الله وحده الذي يعلم أسرار الخلق وعلانيتهم وما تخفيه نفوسهم.

قوله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ أي: ومع افتراء المشركين وضلالهم وكذبهم فقد دعاهم الله إلى التوبة مما قالوا ووعدهم بالمغفرة إذا تابوا وأنابوا ووحدوا الله كما قال عز وجل ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان الله عن ضلال المشركين وتكذيبهم لرسوله ﷺ واتهامهم له بوضع القرآن. وفيها: الحكم أن الله هو الذي أنزل القرآن لقوله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾[2]. وقوله جل ثناؤه ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٤ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٧ .

ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[1]. ﴿قَيِّمًا ﴾[2].

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ وفي سياق كفرهم وسفههم وجهلهم قالوا: هذا الرسول يأكل الطعام مثلنا ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي: يمشي مع الناس ويتعامل معهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ أي: هلا أنزل معه ملك من عند الله يؤيد قوله ويصدقه فيما يدعيه ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: يكون معه كنز ينفق منه فنعرف أن الله أرسله ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: يكون معه بستان دائم يأكل منه ويطعم غيره منه ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وتماديا في غيهم وضلالهم قالوا لأتباع الرسول ﷺ: إن

---

(١) سورة الكهف الآية ١ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٢ .

هذا الذي تتبعونه مجرد رجل مصاب بالسحر وتعاطيه، فخاطب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ بقوله ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: تدبر فيما قالوه عنك من الكذب والبهتان ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: إنهم بأقوالهم تلك قد ضلوا عن طريق الرشاد، فلا يهتدون إلى سبيل الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضلال المشركين في طلبهم أن يكون مع رسول الله ملك يصدقه، أو يكون معه بساتين يأكل منها، ومحاولتهم صد المؤمنين عن سبيل الله، واتهامهم للرسول بالسحر، تارة وبالجنون تارة أخرى.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

بيان الآيات:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: تقدس

الذي جعل لك خيرا مما قالوه وهو ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾ أي: يجعل لك -إن شاء- جنات وقصورا في الدنيا أعظم وأحسن مما قالوه، ولكنه أعطاك ما هو أجل وأعظم من ذلك وهو النبوة، ثم بعد ذلك جنات الآخرة التي لا تحول ولا تزول ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ﴾ أي: إن ما قالوه لك لم يكن طلبا للحق وابتغاء له، بل لأنهم ينكرون البعث والحساب ويزعمون أن الدنيا هي نهايتهم ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي: جعلنا لمن كذب بالساعة نارا شديدة الحرارة.

﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ أي: إذا رأتهم جهنم من مكان بعيد وقبل أن يصلوا إليها ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا﴾ أي: صوتا شديدا من شدة تغيظها وحنقها عليهم كما قال عز وجل ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[1]. ﴿وَزَفِيرٗا﴾ أي: ويسمعون زفيرها فتكاد أفئدتهم تتقطع من هول ما يرونه ويسمعونه ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: إذا ألقوا فيها وهم مصفدون بالأغلال والسلاسل ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ أي: تحسروا في أنفسهم ودعوا عليها بالثبور والخزي فيقال لهم ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا﴾ أي: لا تدعوا على أنفسكم مرة واحدة ﴿وَٱدۡعُواْ

(١) سورة الملك الآية ٨ .

﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي: ادعوا على أنفسكم مرات كثيرة، فكل هذا لا يغنيكم ولا ينفعكم شيئا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن المشركين لما طلبوا من رسول الله ﷺ أن يكون معه ملك؛ لكي يصدقوه لم يكن مرادهم من هذا طلب الحق، بل كانوا أصلا مكذبين بالبعث والحساب والجزاء كما قالوا ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[1]. وفيها: بيان الحال التي يكون عليها المشركون يوم القيامة ودعائهم على أنفسهم بالثبور والخزي بعد ما يشاهدون جهنم وما فيها من الأهوال.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا (١٦)﴾.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: قل لهم يا محمد أهذا الذي ذكرت لكم عن تغيظ النار وزفيرها وحشر الكافرين فيها في مكان ضيق وهم مقرنون في السلاسل هل هو خير؟ ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤.

وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يوم القيامة يتنعمون فيها ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ أي: جزاء لهم على توحيدهم وطاعتهم لربهم ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ أي: لهم ما يشتهون فيها من سائر الملذات ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أي: مقيمين فيها أبد الآبدين، لا يتحولون عنها ولا يزولون ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي: هذا عهد واجب قطعه الله على نفسه لا يتغير ولا يتبدل.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير العهد الذي أخذه الله على نفسه بما أعده من النعيم للمتقين يوم القيامة، جزاء توحيدهم وطاعتهم له وأن ذلك خير من الذي أعده للكافرين من النار التي تتغيظ عليهم ويسمعون من بعيد غيظها وزفيرها.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ۝ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ المراد أن الله عزوجل حينما يحشر المعبودين والعابدين يوم القيامة يسأل المعبودين ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: هل دعوتموهم إلى عبادتكم من دوني؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أم هم الذين عبدوكم من تلقاء أنفسهم فيجيب المعبودون ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: ننزهك ونقدسك ما كان لأحد منا ولا لأحد من خلقك أن يعبد أحداً سواك؛ فأنت المعبود الواحد الأحد، لا رب لنا ولا إله لنا إلا أنت وشاهده قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[1]. ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ الآية[2].

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ هذا جواب آخر من المعبودين عن سؤال الله عز وجل لهم والمعنى أن هؤلاء المشركين قد كثر عليهم الرزق وطال عليهم الأمد فتركوا ما جاءت به رسلهم من البينات ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي: هالكين بسبب عبادتهم غير الله

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢) سورة المائدة من الآية ١١٧ .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ وهنا يقول الله عز وجل لهؤلاء المشركين، لقد كذبكم الذين عبدتموهم وظننتم أنهم سوف ينفعونكم ويدرؤون العذاب عنكم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي: لا يقدرون اليوم على صرف العذاب عنكم ولا نصركم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: من يشرك منكم فسوف يلاقي العذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله عز وجل يسأل المعبودين يوم القيامة عما إذا كانوا هم الذين أضلوا الذين عبدوهم أم أن عبادتهم لهم كانت من تلقاء أنفسهم، وعندئذ يتبرأ المعبودون من الملائكة والرسل من عبادة من عبدوهم. وفيها: التحذير من نسيان أمر الله؛ بسبب ما يرزق المرء من طول العمر وسعة الرزق؛ ذلك أنه لا خير في طول العمر مع سوء العمل ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**خيركم من طال عمره وحسن عمله**)[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، برقم (٢٣٣٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٨٩، والدارمي في كتاب الرقائق، باب أي المؤمنين خير، برقم (٢٧٤٢)، سنن الدارمي ج٢ ص٣٩٨، والإمام أحمد في المسند ج٤ ص١٨٨ .

بيان الآية:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ هذا جواب للمشركين حين قالوا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[1]. ﴿إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: ما أحد أرسل من المرسلين إلا وهو يأكل الطعام مثل البشر الآخرين ﴿وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ أي: يعملون ويتجرون ويأكلون من كسب أيديهم ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ أي: ابتلينا بعضكم ببعض أي: يبتلى الغني بالفقير، والكافر بالمؤمن، والصحيح بالمريض، والدنيا كلها دار ابتلاء وفتن ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ أي: هل تصبرون ؟ فإن فعلتم فقد استحققتم الثواب وإن لم تصبروا لم تكن لكم العاقبة الحسنى ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بأحوال عباده خبيراً بهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تسلية لرسول الله ﷺ حين عيَّره المشركون بالفقر. وفيها: جواب للمشركين أن الأنبياء والرسل قبل محمد ﷺ كانوا يعملون في التجارة وغيرها، فقد عمل داود في الحدادة كما قال عزوجل ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾[2]. وعمل نبي الله إدريس في الخياطة، وما من نبي إلا وقد رعى الغنم كما قال رسول

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٧ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٨٠ .

الله ﷺ -فيما سبق ذكره-: (**كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**)(١). وفيها: التوكيد على أن الرزق يدرك بفعل الأسباب كما قال رسول الله ﷺ: (**التمسوا الرزق في خبايا الأرض**)(٢). أي: ابحثوا عن الرزق في الأرض بالحرث والحفر والغرس. وفيها: الحكم بأن هذه الدار دار ابتلاء وفتن وأن الناس يفتن بعضهم ببعض، فالفقير يفتن بالغني، والمريض يفتن بالصحيح، وقد فتن المسلمون الفقراء الأوائل، فكان المشركون أمثال أبي جهل والعاص بن وائل السهمي يتقلبون في النعيم، وكان أبو ذر وعبد الله بن مسعود وعمار وبلال وصهيب وإخوانهم يعانون من الفقر والشدة فصبروا على ما كانوا يقاسونه فجزاهم الله على صبرهم كما قال عز وجل ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٣).

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، برقم (٢٢٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٥١٦ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج١ ص٤٩١، برقم (٨٩٩)، والمتقي الهندي في كنز العمال، برقم (٩٣٠٣)، ج٤ ص٢١ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١١ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: قال المكذبون بالبعث ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: هلا أنزل علينا الملائكة فيقولون إن محمدا صادق فيما يقول ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهارا فيخبرنا أنه أرسل إلينا محمدا رسولا ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أنهم بهذا القول قد تكبروا عن دعوة الحق ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: طغوا بقولهم هذا طغيانا كبيرا ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: أنهم سوف يرون الملائكة في يوم لا يسرهم، وذلك حين يأتون إليهم لانتزاع أرواحهم فيبشرونهم بالعذاب المعد لهم ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تدخلوا الجنة، ويقولون لكل واحد منهم عند خروج روحه: أخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ثم يضربونهم على وجوههم كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ هذا يوم القيامة يقول الله عزوجل

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٥١ .

وعمدنا إلى أعمالهم السيئة التي ظنوا أنها تنفعهم ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ أي: عملا باطلا مثل شعاع الشمس في ضعفه لا ينفعهم بشيء وهذا مثل قوله عز وجل ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1]. قوله ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم العاصف بأهواله وشدائده وما فيه من جزاء الكافرين على سوء أعمالهم يذهب المؤمنون إلى الجنة؛ ليجدوا فيها مستقرهم الأبدي كما قال عز وجل ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قيل: إن الله يفرغ من الحساب وسط النهار فيذهب أهل النار إلى النار، وأهل الجنة إلى الجنة فيقيلون فيها آمنين مطمئنين كما قال عزوجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[2]. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذم الله مشركي مكة؛ لإنكارهم البعث وطلبهم إنزال الملائكة أو رؤيا الله، وفي هذا دلالة على عتوهم وطغيانهم واستكبارهم عن قبول دعوة رسول الله محمد ﷺ لهم. وفيها: توكيد أن الملائكة حين يأتون لقبض الأرواح يبشرون المؤمنين بما أعد الله لهم من

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ١٨ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٣) سورة الرعد الآية ٢٤ .

النعيم ويبشرون الكافرين بما أعد لهم من العذاب المقيم. وفيها: أن أعمال الكافرين تتحول يوم القيامة إلى هباء كهباء شعاع الشمس، لا ينتفعون منها بشيء؛ بسبب بطلانها وأن أصحاب الجنة يذهبون يوم القيامة إلى الجنة التي أعدها الله لهم لتكون مستقرا ومقيلا لهم بعد انتهاء الحساب.

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ هذا بيان من الله عزوجل عن أهوال يوم القيامة وشدته فينزل الله في ظلل من الغمام كما قال عز وجل ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1]. وعندئذ تنشق السماء وتنفطر ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ أي: تتنزل الملائكة حينئذ من السموات يحيطون بالخلق

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٠ .

من كل جانب حتى يقضي الله بينهم ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وفي ذلك المشهد العظيم يبقى الملك لله وحده هو المتعالي في ملكوته فينادي ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[١]. فيجيب عز وجل ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[٢]. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي: يكون ذلك اليوم يوم شدة وقسوة على الكافرين؛ لأنهم يجدون أنهم قد ضيعوا أنفسهم في الدنيا حين استهانوا بأوامر الله واستكبروا عن اتباع ما جاء به رسوله كما قال عز وجل ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٣]. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[٤]. قوله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ الظالم هنا عقبة بن أبي معيط، كان أسيرا يوم بدر، فأمر النبي ﷺ بقتله فقال: أأقتل دونهم فقال عليه الصلاة والسلام: (**نعم بكفرك وعتوك**)[٥]. وهذه الآية وإن كانت خاصة به فهي عامة

---

(١) سورة غافر من الآية ١٦ .

(٢) سورة غافر من الآية ١٦ .

(٣) سورة المدثر الآية ٩ .

(٤) سورة المدثر الآية ١٠ .

(٥) كان عقبة هذا صديقا لأمية بن خلف الجمحي وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا ودعا رسول الله ﷺ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم وكره عقبة أن يتأخر أحد من أشراف قريش عن طعامه فأسلم ونطق بالشهادتين فأتاه رسول الله ﷺ وأكل من طعامه فعابه صديقه أمية بن خلف وقال عقبة رأيت عظيما ألا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش فقال له أمية لا أرضى حتى ترجع وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت ففعل ما أمره به صديقه فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ولما بصق رجع بصاقه إلى وجهه وشوى شفتيه ووجهه ولم يزل ذلك الأثر فيه حتى قتل كما قتل صديقه أمية بن خلف فكان هذا من دلائل نبوة رسول الله ﷺ لأنه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر. الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٢٣-٢٤ .

في كل ظالم سوف يعض على يديه يوم القيامة ندما وحسرة على كفره وطغيانه.

﴿يَـٰقَوْلُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ أي: ليتني اتبعت طريق الرسول وسبيله، فلو فعلت لما حصل لي ما حصل من العذاب ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ هذا تحسر وندم وحزن والمعنى يتحسر ويعض يديه من الندم على مصاحبته لأمية بن خلف الذي أغواه وأضله، وقد كنى الله عنه بفلان حتى يكون الحكم عاماً وشاملاً لكل من يعصي رسول الله ويتكبر على رسالته.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ أي: أضلني هذا الصديق عن اتباع الرسول بعد إذ جاءني الهدى من الله على يديه ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾ هذا كلام الله عز وجل يبيِّن فيه أن الشيطان يخذل الإنسان ويصرفه عن اتباع الحق ويؤدي بأصحابه إلى الضلال والهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان من الله عز وجل عن أهوال يوم القيامة ونزوله عز وجل في ظلل من الغمام؛ للفصل بين الخلائق وتنزل الملائكة من السموات؛ لكي يحيطوا بالخلائق عند الحساب. وفيها: حكم الله وهو أحكم الحاكمين أن الملك له يومئذ وأنه لا ملك لأحد غيره وأن

الخلق في ذلك المشهد يتساوون لا تنفعهم إلا أعمالهم ورحمة الله لهم. وفيها: توكيد ما يصيب الظلمة من الحسرة والندامة على سوء أعمالهم وتنكبهم عن طريق الرسول. وفيها: أن الوعيد لأحد الظلمة كالوعيد لعقبة بن أبي معيط لا يختص به وحده وإنما لكل ظالم ضال عن طريق الحق.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ هذا بيان من الله أن نبيه ورسوله محمداً ﷺ ناداه شاكيا قومه قائلا ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ أي: إن قومي الذين أرسلتني إليهم؛ لأبلغهم رسالتك هجروا القرآن فكانوا لا يريدون سماعه وإذا تلوته عليهم أعرضوا عنه ومنهم: من يقول إنه كهانة، ومنهم من يقول: إنه شعر ومنهم من يقول: إنه سحر

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وقد أجابه ربه عز وجل مسليا ومعزيا له ومبينا ما حدث للأنبياء قبله، فكما كان لك أعداء من المشركين كأبي جهل وأضرابه كان لكل رسول قبلك أعداء فصبروا على آذاهم فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ أي: سوف ينصرك ربك على أعدائك ويظهرك عليهم فلا تهتم بمن عاداك منهم فلكل أجل كتاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ من عادة الكفرة الجدال والبحث عن الحجج الواهية؛ لتبرير كفرهم فهم مع هجرهم للقرآن تساءلوا بينهم لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة كما هو حال الكتب السابقة كالتوراة فأنزل الله قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: أنزلناه منجّماً حسب الوقائع والأحوال؛ لأن نزوله خلال سنوات يزيد في اطمئنان الرسول والمؤمنين بتتابع الوحي ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناه متفرقا، ليكون أيسر لفهمه كما قال عز وجل ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[1]. قوله ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: لا يأتيك المشركون بمثل يحاجونك به ويعارضون به الحق ويقصدون به الباطل ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أنزلنا عليك ما يرد على شبههم وأباطيلهم

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .

﴿وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ أي: أبين وأوضح وأحق مما ادعوه.

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: يسحبون على وجوههم إلى النار وحشرهم بهذه الصورة زيادة في عذابهم وإهانتهم، بسبب هجرهم القرآن واستهجانهم لنزول القرآن مفرقا. قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ أي: إن جهنم أشر مكانا وهم كانوا أضل سبيلاً في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير شهادة رسول الله ﷺ على من هجروا القرآن فلم يستمعوا له. وفيها: تقرير أنه ما من نبي إلا كان له أعداء يكذبونه ويناصبونه العداوة ويكيدون له، وهذا يشمل كل من دعا إلى الحق وأنكر الباطل؛ لأن حكمة الله قد اقتضت أنه كما كان للدعوة إلى الخير دعاة كان لها أعداء أَلِدّاء. وفيها: بيان حكمة الله في إنزال القرآن مفرقا ومنها: تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وتيسير فهم القرآن على الناس. وفيها: تقرير أن المجرمين يحشرون على وجوههم يوم القيامة وفي حديث أنس الذي سبقت الإشارة إليه: أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ فقال: (**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**)[١].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه، برقم (٢٨٠٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٩١ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في إطار التهديد للمشركين في مكة بيَّن الله حال من سبقوهم من الأمم البائدة الذين عصوا رسلهم وكذبوا ما جاؤوهم به، فقد أنزل التوراة على موسى بن عمران وبعث معه أخاه هارون ليساعده في دعوته كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ أي: وأمرناهما أن يذهبا إلى فرعون وقومه ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: ولما لم يستجب فرعون لدعوة الحق وإنما آثر الباطل وعتا واستكبر حق عليه العذاب فأغرق في البحر ومن معه من الكافرين وهو معنى قول الله عز وجل ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ المراد بالرسل نوح

عليه السلام، وقد مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله ويحذرهم من عقابه، ولما يئس منهم دعا عليهم فاهلكهم الله بالغرق في الطوفان وجعلهم آية لمن يعتبر بهم كما قال تعالى ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ وقوله في الآية الأخرى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1]. قوله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: هيأنا في الآخرة عذابا شديدا للظالمين المكذبين لرسلهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ عاد قوم هود، وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قيل: إنها بئر في ديار ثمود دفن أصحابها نبيهم فيها[2]، فكل هؤلاء أهلكوا ودمروا؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم لرسلهم ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: وأهلكنا أمما أخرى غير هؤلاء.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: كلا من هؤلاء الهالكين بينًا له البراهين والحجج فأبى واستكبر فحق عليه العذاب كما قال عز وجل ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ قوله ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ المراد بها سدوم قرية قوم لوط ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ أي: ألا يمرون عليها في أسفارهم ويرون ما حل بأهلها من العذاب كما قال تعالى ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٢ .

(٢) تفسير البغوي ص٩٢٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٠١٧ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٣٧ .

﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1]. ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ المراد بهم المشركون، فإنهم كانوا يمرون عليها، ولكنهم لم يعتبروا بها؛ لأنهم منكرون للبعث والرجوع إلى الله يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات

في هذه الآيات: تقرير حكم الله في إرسال الرسل إلى أقوامهم؛ ليدعوهم إلى الله، فإن آمنوا وصدقوا فقد نجوا، وإن كذبوا أعذر الله منهم فأهلكهم وهذا من رحمته عز وجل بخلقه كما قال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾[2]. وفيها: أن السبب في عدم اتعاظ المشركين بمن أهلكوا من الأمم قبلهم أنهم لا يؤمنون بالبعث والمعاد يوم القيامة.

﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾.

---

(١) سورة الصافات الآية ١٣٨ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أن المشركين إذا رأوا رسول الله ﷺ استهزؤوا به وسخروا منه واحتقروه ويقولون على سبيل التنقص والازدراء ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ ثم يقولون ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ أي: كاد يصرفنا عنها إلى دينه الذي يدعيه ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي: حبسنا أنفسنا عليها واستمررنا على عبادتها غير طائعين لقوله ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ثم قال عزوجل متوعدا لهم بأنهم سوف يعلمون حين يرون العذاب بأنهم هم الذين ضلوا السبيل وليس محمدا.

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ يقول فيه إن الذي جعل الهوى معبودا له فأضلّه عن عبادة ربه الذي خلقه ورزقه ثم عمد إلى حجر أصم يعبده ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ أي: هل تكون عليه كفيلا تصرفه إلى الإيمان بعد أن غلبت عليه الشقاوة فلم يعد يفرق بين الحق والباطل؟ والمراد اتركه فإنما عليك البلاغ وقد بَلَّغْتَ وحساب هؤلاء سيكون على الله ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي: هل تظن يا محمد أن غالبهم يسمع أو يعقل إنهم ليسوا كذلك، وإنما

هم كالأنعام في أكلها وشربها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: إن الأنعام أفضل منهم فهي رغم أنها لا تعقل إلا أنها تعرف ربها وتأتمر بأمر راعيها بينما هؤلاء تركوا أمر ربهم واتبعوا أهواءهم فهم لا يهتدون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بسلوك المشركين تجاه رسول الله ﷺ واستهزائهم به وسخريتهم منه كما كان ذلك حال المشركين من قبلهم. وفيها: أن من جعل الهوى معبوده لا يمكن أن يهتدي. وفيها: أن المشركين أضل من الأنعام، فهذه تعرف ربها ولا تشرك به بينما هم يجعلون معه إلَها آخر مع أنهم يعرفون أنه هو الذي خلقهم ورزقهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ هذا استفهام تقريري يقول الله فيه ألم تشاهد يا نبينا محمداً عظمة ربك وكمال قدرته كيف مد الظل وذلك قبل أن تطلع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: جعله لا

يزول كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾(١). ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: لولا الشمس لما عرف الظل؛ فإن الضد لا يعرف إلا بضده ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: قبضنا الظل قليلا قليلا حتى يذهب كله، وهكذا يتوالى الظل ثم تدركه الشمس كل يوم تبعا لحركة الليل والنهار مما يدل على عظمة الباري ورعايته لخلقه وحفظه لمنافعهم في حركاتهم وسكناتهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ وهذا أيضا من كمال قدرته عز وجل بأن جعل الليل لباسا لعباده يسترهم فيه ثم جعل النوم راحة لهم من الحركة خلال النهار ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: جعله وقتا لنشورهم وحركتهم لطلب أرزاقهم كما قال عز وجل ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله وبيان ما امتن به على خلقه من وجود الظل في وقت معلوم وزواله في وقت معلوم تعرف به أوقات العبادة، وأنه لو جعله ساكنا لنالهم من ذلك ضرر في حياتهم، ناهيك

---

(١) سورة القصص من الآية ٧١ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٣ .

عن المنافع الأخرى لعباده من جعل الليل لباسا يسترهم وجعل النوم راحة لهم وجعل النهار وقتا لطلب أرزاقهم.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ أي: ومن كمال قدرته ورحمته بخلقه أن أرسل الرياح مبشرات بتكوّن السحاب ثم بنزول المطر وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا أي: جعل من الماء الذي ينزل من السماء طهورا لعباده من الأوساخ والأقذار لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا أي: ونحيي بالماء الأرض التي اغبرت وأصبحت لا حياة فيها من نبات أو خلافه وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا أي: ويستفيد من هذا الماء الذي ينزل من السماء الأنعام والناس لشربهم وري مزروعاتهم ونباتهم وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ أي: أنزلناه على هذه الأرض، ولم ننزله على الأرض الأخرى، وفي هذا قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله

عنهما: ليس مطر عام أكثر من مطر عام آخر ولكن الله يصرفه كيف يشاء[١] ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ المراد ينزل الله المطر على هذه الأرض فتحيا به ويمنعه عن الأرض الأخرى تذكرة لعباده ليتوبوا من ذنوبهم وليذكروا أن ما أصابهم من عدم نزول المطر إنما هو بسبب هذه الذنوب ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: أبوا أن يشكروا الله على نعمه وجعلوا نزول المطر أو عدم نزوله يرجع إلى أسباب أخرى كالأنواء والأجواء مما ليس لهم به علم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بطهورية الماء إذا كان باقيا على أصل خلقته فلم يتغير بشيء خالطه فغير طعمه أو لونه أو رائحته وفي حديث أبي سعيد: قيل لرسول الله ﷺ: أنتوضا من بئر بضاعة وهي بئر يطرح فيه الحيض ولحم الكلاب والنتن ؟ فقال: (**إن الماء طهور لا ينجسه شيء**)[٢]. وفيها: تقرير أن الله عز وجل يصرف نزول الماء من السماء فيخص به أرضا دون أخرى حتى يكون في ذلك عبرة وذكرى لعباده، لعلهم يتوبون إليه إذا حرموا من نزول المطر

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١١ ص٢٢، والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٥٧ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب ما جاء في بئر بضاعة، برقم (٦٦)، سنن أبي داود ج١ ص٣٩، والنسائي في كتاب المياه، باب ذكر بئر بضاعة، برقم (٣٢٥)، سنن النسائي ج١ ص١٩٠، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، برقم (٦٦)، سنن الترمذي ج١ ص٩٥ .

وقد شرع لهم الاستسقاء[1]. أما المطر الذي ينزله الله كل عام فهو بمقدار واحد لا يتغير زيادة أو نقصا.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)﴾.

بيان الآيات

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو أردنا لبعثنا إلى كل قرية من قرى قومك نذيرا ينذرهم، ولكن اخترناك لتكون رسولا إلى أهل الأرض كافة ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستكن لهم بل بلغهم رسالتنا ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: جاهدهم بالقرآن، وجادلهم به فسيكون النصر لك عليهم ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلق الماءين المتضادين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: حلو كمياه الأنهار ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: ملح مر تعافه النفوس ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: جعل بين الماء العذب والماء المالح حاجزا

---

(١) صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة شرعها الله لعباده وقد فعلها رسول الله ﷺ حين تأخر المطر فلم تنته صلاته عليه الصلاة والسلام إلا وقد نزل المطر.

﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ أي: جعل بينهما ما يمنعهما من الاختلاط ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا﴾ أي: خلق الإنسان من نقطة ماء قليلة ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ أي: جعل من هذه النقطة إنسانا يتدرج في خلقه حتى يكبر ويتزوج ويصير له أصهار ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ أي: قادر على كل شيء لا يعجزه شي في الأرض ولا في السموات.

في هذه الآيات: تقرير فضل الله على رسوله محمد ﷺ وعلى أمته بأن جعله رسولا للناس كافة أحمرهم، وأصفرهم، وأبيضهم، وأسودهم، جنهم، وإنسهم كما قال عزوجل ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[1]. وقد ثبت في الصحيحين: قول رسول الله ﷺ: (**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود**)[2]. وفيها: الحكم بتحريم طاعة الكافرين مع وجوب مجادلتهم بالقرآن. وفيها: تقرير قدرة الله العظيمة في عدم اختلاط مياه الأنهار والبحار مع وجودهم متقاربين كما قال عز وجل ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾[3]. ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾[4]. وفيها: مظاهر

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٧٦٤ .

(٣) سورة الرحمن الآية ١٩ .

(٤) سورة الرحمن الآية ٢٠ .

قدرة الله عز وجل حيث جعل من نقطة الماء الضعيفة منطلقا لتكاثر الجنس البشري.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ هذا بيان من الله عن سفه المشركين وجهلهم في عبادة الأصنام التي لا تنفعهم ولا تضرهم؛ لأنها مخلوقه مربوبة لا قدرة لها على شيء ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ أي: يعين الشيطان على معصية الله بعد أن أغراه وسوَّل له سوء عمله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: ما أرسلناك يا محمد إلا بشيرا للمؤمنين بأن لهم الحسنى عند الله، جزاء

إيمانهم ونذيرا لمن عصى الله أن العذاب سوف يحيق به إذا لم يتب ويرجع إلى الله.

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لمن تدعوهم إلى الله إني لا أسألكم أجرا أو منفعة على إبلاغي لكم؛ لأن أجري عند الله ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ أي: إلا من شاء منكم أن يسلك سبيل النجاة فهذا أدعوه إلى الله ولكن لا أبتغي عليه أجرا كذلك ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتوكل عليه فهو الحي الدائم ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي: وحِّده واعمل في طاعته واذكره غدوة وعشيا ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ أي: كفى به عالما علما مطلقا بذنوب عباده خبيرا بكبيرها وصغيرها قليلها وكثيرها ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع بكل ما فيهما وما بينهما مما قدره وأحكمه من مخلوقاته ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ أي: استوى على العرش -وهو أعلى سقف المخلوقات- الاستواء الذي يليق به جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ المراد به ذاته العلية، فهو الذي يعلم أوصافه، وكمال

نفسه وعظمة سلطانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: إذا قيل للمشركين اسجدوا واعبدوا ربكم الذي خلقكم وصوركم وأحسن صوركم ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: لا نعرفه ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: تريدنا أن نسجد حسب قولك يا محمد ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: زادهم أمرهم بالسجود نفورا عن الإيمان بالله وجحودا لربوبيته وألوهيته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

أحكام ومسائل الآيات

في هذه الآيات: تقرير أن الأنبياء عليهم السلام لم يأخذوا أجرا على دعوتهم إلى الله، فكانوا يكتسبون رزقهم من عملهم وهذا يشمل كل داعية إلى الله ويستثنى ما تقتضيه حاجة الداعي إذا لم يكن مكتسبا لرزقه -كما سبق ذكره-. ومنها: وجوب التوكل على الله في كل شأن من شئون العبد الدينية والدنيوية، فمن يتوكل عليه كفاه كما قال عزوجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]. ومنها: وجوب التسبيح بحمد الله وذكره كما اثنى عز وجل على الذاكرين والذاكرات من عباده بقوله ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]. وفيها: وجوب السجود لله عزوجل خضوعا وانقيادا

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٥ .

وتذللا إليه، والسجود يشمل السجود للصلاة فرضا أو نفلا. كما يشمل السجود عند الآيات المأمور بالسجود فيها. وفيها: وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه بما يليق بجلاله.

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا .

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا أي: تبارك وتقدس بما صنعه وقدره، حيث جعل في السماء الكواكب العظيمة التي تحيط بها وتحرسها من كل جانب كما قال عز وجل وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ [١]. وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا المراد بذلك الشمس المشرقة بما فيها من المنافع للعباد في ضيائهم ودفئهم وما فيها من نفع لأنعامهم وزروعهم وسائر نباتهم وكما جعل فيها الشمس جعل فيها القمر المنير لعباده في أسفارهم ومعرفة حسابهم في عباداتهم كما قال عزوجل هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ [٢].

---

(١) سورة الملك من الآية ٥ .

(٢) سورة يونس من الآية ٥ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر في تعاقب سرمدي، لا يتغير ولا يتبدل ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: جعلهما على هذا الصنع الإلَهي العظيم لمن أراد أن يعتبر في خلقه وعظيم صنعه، ومن أراد كذلك أن يستدرك ما فاته في أحدهما كان له ذلك، فمن فاته ذكر في الليل كان له أن يدركه في النهار، ومن فاته ذكر أو تسبيح في النهار كان له أن يدركه في الليل، وهكذا أعطى الله عبده ما يحتاجه من الوقت؛ لكي يتدبر أمره، سواء في دينه أو دنياه ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: وهبه الله هذا الوقت المتعاقب ليشكره على نعمه فيقابل هذه النعم بالعبادة كالصلاة والصيام والتسبيح والذكر.

في هاتين الآيتين تقرير ما أنعم الله به على عباده، حيث سخر الشمس والقمر لمنافعهم في دينهم ودنياهم. وفيهما: تقرير ما أنعم به عليهم، فجعل الليل والنهار يتعاقبان لمن أراد أن يعتبر ويستفيد منهما في ذكر الله وشكره ويتوب إليه قبل أن يدركه الأجل، لما جاء في الحديث أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل[1].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٨١، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب، برقم (٢٧٥٩).

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ هذه صفة من صفات عباد الله المؤمنين المخبتين لربهم إذا مشوا على الأرض لم يمشوا تكبرا ولا استعلاء على غيرهم بل هم متواضعون في سلوكهم من غير ضعف أو ذلة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: لا يخاطبون الجاهلين في سفههم وسوء أقوالهم بمثل ما يخاطبونهم به، بل يعفون ويصفحون عنهم ويتجاوزون عن سوء جهلهم، يقتدون في ذلك بنبيهم وإمامهم رسول الله ﷺ فقد كان يعفو ويصفح ويحلم على من جهل عليه أو ظلمه، كما فعل مع قومه الذين آذوه حين قال لهم بعد فتح مكة: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[1]. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٢٠٨ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٣٠٠ .

أي: يركعون ويسجدون في الليل طاعة لربهم وابتغاء مرضاته كما قال عز وجل في وصفهم ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١]. ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: يدعون الله بقلوب مؤمنة أن ينجيهم من عذاب النار ويصرفه عنهم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: دائما ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المستقر والمقام ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ أي: أنهم لا يبذرون في إنفاقهم فيضيعوا أموالهم، ولم يبخلوا على أنفسهم، ولا على أولادهم، كما لا يبخلون بالإنفاق في سبيل الله ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ أي: هم وسط بين الإسراف والتقتير.

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب التواضع في السلوك؛ لأن الله حرم الاستعلاء والتكبر على خلقه كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٣].

---

(١) سورة الذاريات الآية ١٧.

(٢) سورة الذاريات الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٧.

وقال عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[1]. وفي الحديث: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر**)[2]. ومن الأحكام: عدم مخاطبة الجاهلين بمثل مخاطبتهم، بل يجب درء السيئة بالحسنة ما أمكن ذلك كما قال عز وجل ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

ومنها: فضل قيام الليل كما قال عز وجل ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[4]. ومن هذه الأحكام: تحريم الإسراف في الإنفاق وبذل المال في غير موضعه بما يؤدي إلى تبذيره كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[5]. وتحريم الإسراف يقتضي تحريم التقتير والبخل في النفقة على النفس، أو على الأولاد، وهذا كله يقتضي التوسط في الإنفاق كما قال عزوجل ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[6].

---

(١) سورة النحل من الآية ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥ في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١).

(٣) سورة فصلت من الآية ٣٤ .

(٤) سورة السجدة من الآية ١٦ .

(٥) سورة الإسراء من الآية ٢٧ .

(٦) سورة الإسراء الآية ٢٩ .

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا .

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشركون بالله، وإنما يعبدونه وحده عبادة إجلال وتعظيم ليس له ند أو شريك أو مثيل وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ومن صفاتهم عدم قتل المسلم أو غير المسلم المعاهد وعدم وأد البنات كما كان أهل الجاهلية يفعلون وَلَا يَزۡنُونَۚ ومن صفاتهم أنهم يحصنون فروجهم فلا يستحلون إلا ما أباح الله لهم من النكاح وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا أي: عقابا أليما وقيل: أودية في جهنم يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أي: يكون عذابه مضاعفا ومغلظا وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا أي: يبقى فيه دائما وهو مهان حقير إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ هذا استثناء لمن تاب إلى الله وأخلص في توبته وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا أي: من صلاة

وصيام وصدقة وبر ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ أي: يبدل سيئاتهم إلى حسنات فتكون كل سيئة عملوها ثم تابوا منها حسنة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عن سيئاتهم ويرحمهم.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: من تاب من ذنوبه، فينبغي أن تكون توبته صادقة خالصة لله عزوجل يتجرد فيها من الذنب الذي عمله ويعزم على عدم العودة إليه ويندم عليه.

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: أن الله حرم الشرك وحرم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. ومنها: أنه حرم الزنى وشاهده أيضا من السنة: ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**) قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أي ؟ قال: (**أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**) قلت: ثم أي ؟ قال: (**أن تزاني حليلة جارك**)[1]. ومنها: أن من يفعل هذه المحرمات يضاعف ويغلظ له العذاب يوم القيامة.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٠٠، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)، برقم (٧٥٢٠) .

ومن هذه الأحكام أن التوبة تجبّ ما قبلها، ومصداقه قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وفي مسألة التوبة من القتل لا تعارض بين التوبة في هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[1]. فتحمل هذه على عدم التوبة، مع أن هناك خلافاً فيما إذا كان للقاتل العمد توبة أم لا. ومن هذه الأحكام أن من تاب بدل الله سيئاته حسنات. وفي صحيح مسلم: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا)** فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[2].

وفي الحديث: أن شيخا كبيرا هرماً من كندة قد سقط حاجباه على عينيه قال: يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا

---

(١) سورة النساء من الآية ٩٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٠٣٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٦١٤، كتاب صفة جهنم، باب (١٠)، برقم (٢٥٩٦)، ومسند الإمام أحمد ج٥ ص١٧٠ .

اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة ؟ فقال له رسول الله ﷺ: (**أسلمت؟**) فقال: أما أنا فأشهد ألا إلَه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: (**فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات**) فقال: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ فقال: (**وغدراتك وفجراتك**) فولى الرجل يهلل ويكبر(١).

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا
وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا .

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون بالكذب، لاقتطاع الحقوق من أصحابها ولا يشهدون كذلك مجالس الزور التي تشتمل على الأقوال الباطلة والأفعال المنكرة التي تصد عن سبيل الله كاللهو والقمار وشرب الخمر وأفعال الفسق والفجور وكل ما حرم الله من الأقوال والأفعال وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا أي: إذا سمعوا اللغو ككلام السفهاء والفساق والمتقولين

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣١٧، والدر المنثور للسيوطي ج٥ ص١٤٧ .

ابتعدوا عنه ومقتوه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ أي: إذا قرئت عليهم آيات الله وبيناته لم يعرضوا عنها مثل الصم وعميان البصر وإنما يسمعونها ويتلذذون بها في قلوبهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم يدعون الله عزوجل أن يهب لهم من أزواجهم ذرية صالحين يعبدون الله ويطيعونه ويوحدونه؛ ذلك أن من سعادة العبد في الدنيا والآخرة أن تقر عينه بولد صالح ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: اجعلنا أئمة يقتدى بنا في الأقوال والأعمال الصالحة، اذ ليس ثمة مرتبة أعلى وأشرف من مرتبة الإمامة في الدين كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم شهادة الزور قولا وعملا، وفيه: قول رسول الله ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين**) وكان متكئا فجلس وقال: (**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**) فما زال يكررها حتى قلنا (أي الصحابة) لا يسكت[2]. وفيها: ذم اللغو من

---

(١) سورة السجدة الآية ٢٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤١٩، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦) .

القول والعمل وفيه قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾[١]. وفيها: فضيلة الاستماع إلى كتاب الله وعدم الإعراض عند سماعه. وفيها: فضل الدعاء بالذرية الصالحة وفيه: قول رسول الله ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**)[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ لما ذكر عز وجل أن من صفات عباد الرحمن عدم شهادتهم الزور وخضوعهم لذكر الله بقلوبهم وأسماعهم ودعواتهم لربهم أن يهبهم ذرية صالحين، وأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم، بيَّن عز ذكره أن لهم الغرفة وهي الدرجة العالية من الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي: لقاء صبرهم على القيام بالأعمال الصالحة ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ أي: تتلقاهم الملائكة بالتحية

---

(١) سورة القصص من الآية ٥٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤٥١، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١) .

وبالسلام فتقول لهم الملائكة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ أي: مقيمين إقامة دائمة لا يزولون عنها ولا يتحولون ﴿حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ أي: طابت منزلا وحسنت مستقرا ومكانا.

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ ﴾ أي: لا يكترث بكم إذا لم تعبدوه وتوحدوه، فإنه إنما خلقكم لعبادته كما قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[1]. فإذا توليتم عن عبادته أعرض عنكم ولم يبال بكم ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾ أي: أما إنكم أيها الكافرون -والمراد بهم مشركو مكة ومن كان على شاكلتهم- قد كذبتم بآيات الله وكذبتم رسوله وأعرضتم عن ذكر الله فسوف يكون تكذيبكم سببا في عذابكم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وعد الله -ووعده الحق- لعباده الصالحين بالدرجات العالية من الجنة. وفيها: أن الملائكة تتلقاهم بالتحية والسلام ويدخلونها خالدين فيها لا يزولون عنها ولا يخرجون منها. وفيها: أن الله إنما خلق الخلق لعبادته وطاعته فإذا تخلوا عنها حق عليهم العذاب.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء

مكية وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

﴿طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٦) أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (٧) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٩)﴾.

﴿طسم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي: هذا الذي أنزل إليك هو آيات الكتاب البين الدال على مراد الله وأحكامه التي شرعها لعباده وأمرهم بالقيام بها، ليكون في ذلك نفعهم في دينهم ودنياهم ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تشق على نفسك فتهلكها بسبب عدم إيمان قومك فأنت رسول تبلغهم ما أنزل إليك، فإن هم أطاعوك فذاك خير لهم وإن هم عصوك فما عليك إلا البلاغ وعلينا حسابهم ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء

﴿ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ أي: لو نشأ لأنزلنا عليهم آية من السماء تخضع وتذل لها أعناقهم فيؤمنون ولكن لم نفعل ذلك؛ لأن الحكمة اقتضت أن يُرسَل إليهم الرسول ويُنَزَّل عليهم الكتاب لعلهم يؤمنون طواعية ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي: لما جاءهم الهدى من السماء تولوا عنه وأعرضوا ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: كذبوا ما جاءهم من الحق والهدى وبعد ذلك سيأتيهم عاقبة استهزائهم وفي هذا وعيد لهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ في هذا بيان من الله عن عظيم قدرته وسلطانه ينبِّه فيها عباده أن يتفكروا ويروا ما في الأرض من مختلف النبات وأصنافه وما فيها من أنواع الحيوان ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: في ذلك دلالة على عظمة الله وقدرته، ومع ذلك فإن أكثر الناس لم يؤمنوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: هو العزيز الذي سما بعزته وذلت له المخلوقات وقهر الجبابرة والطغاة، الرحيم بخلقه فلا يؤاخذهم بما كسبوا من السيئات، بل ينتظر توبتهم ويفرح بها حتى لا يعذبهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كتاب الله بيِّنٌ في آياته وأحكامه

أنزله على خلقه ليكون هداية لهم إلى الصراط المستقيم. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ عما أصابه من تكذيب قومه والنهي له عن مشاقة نفسه، بسبب عدم إيمانهم وأنه رسول لهم يبلغهم ما أنزل إليه، أما حسابهم فهو على الله كما قال عز وجل ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1]. وفيها: الحكم بأن الله لا يكره الناس على الإيمان بل أنزل عليهم الكتاب وأرسل لهم الرسل، وجعل لهم الاختيار بين الطاعة والمعصية كما قال عزوجل ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[2]. وفيها: الوعيد للمستهزئين بآيات الله المكذبين بها كما قال عزوجل ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[3]. وفيها: وجوب الاعتبار بما في الأرض من أصناف النبات والحيوان مما يدل على عظيم قدرة الله ووجوب طاعته.

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ

---

(١) سورة الكهف الآية ٦ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٣) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧ .

أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ أي: أمره بعد مناجاته في الطور أن يذهب إلى فرعون ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: اذهب إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم الكفر ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي: اذهب إليهم وأمرهم أمرا لينا لعلهم يتقون الله ويطيعونه فأجابه موسى ممتثلا للأمر إلا أنه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ أي: لا يصدقون ما جئتهم به؛ لأنهم عتاة ومتجبرون، وحينئذ سوف أضيق بهم كما قال ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ أي: بسبب تكذيبهم لي وعدم قدرتي عليهم ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ أي: حينئذ لن ينطلق لساني فأبلغهم ما جئتهم به ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾ أي: فأجعل أخي هارون رسولا يذهب معي إليهم ويساعدني على دعوتهم فإنّه أفصح مني كما قال في

الآيات الأخرى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[1]. ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾[2]. ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[3]. ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾[4]. وقد استجاب الله له كما في قوله عز وجل ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[5].

وقوله ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ المراد ما حصل من موسى من قتل القبطي حين استنصره عليه أحد شيعته ثم ترك مصر بعد ذلك ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ أي: لا تخف مما قلته فاذهب أنت وأخوك بما أنزلناه، ونحن معكما نسمع ونرى كما قال عز وجل ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[6].

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: قولا لفرعون: إنّا أُرسلنا إليك من رب العالمين ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: جئنا إليك، لترسل معنا بني إسرائيل وتطلق سراحهم وتترك تسخيرهم وتعذيبهم. فلما عرف فرعون ما أراده موسى وأخوه ذكّره بما مضى منه وكيف أنه تربَّى في بيته ومكث سنين عنده ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا

---

(١) سورة طه الآية ٢٥ .

(٢) سورة طه الآية ٢٦ .

(٣) سورة طه الآية ٢٧ .

(٤) سورة طه الآية ٢٨ .

(٥) سورة طه الآية ٣٦ .

(٦) سورة القصص من الآية ٣٥ .

وَلِيدًا ﴾ أي: ألم تكن الذي تربى في بيتنا وأكل من نعمتنا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ آمنا مطمئنا، ثم قابلت هذا كله بعمل شائن فقتلت أحد رعايانا دون حق وهو قوله ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فأجابه موسى عليه السلام معترفا بما فعل بقوله ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: لما فعلت تلك الفعلة وهي قتل القبطي كنت من الضالين أي: قبل أن يمن الله علي بالرسالة ويهديني ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فررت منكم إلى أرض مدين خوفا على حياتي منكم، وقد بدل الله حالي فوهبني بفضله ونعمته علماً ينفعني، وجعلني رسولا إليكم أدعوكم إلى طاعته وأحذركم مما أنتم فيه من الكفر به ومعصيته.

وفي سياق مجادلة موسى لفرعون قال ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: إن إحسانك إلي كما ذكرت إحسان إلى فرد واحد مقابل ما فعلته ببني إسرائيل من تسخيرهم وتعذيبهم وقتل أولادهم واسترقاق بناتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله كلَّم موسى، وأمره أن يذهب بالرسالة إلى فرعون. وشاهده أيضا قوله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

تَكْلِيمًا ﴾[١]. وفيها: تقرير أن الخوف من طبيعة البشر، سواء كانوا رسلا أو أفراداً آخرين. وفيها: تقرير مشروعية طلب العون وهو إما أن يكون من الله، وذلك بدعائه والتوسل إليه بأسمائه وصفاته كما قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢]. أو يكون طلب العون من المخلوقين، وهذا الطلب لا يكون إلا فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا كالمساعدة بمال أو حمل متاع أو نحو ذلك مما يتعارف عليه الناس بينهم. وفي هذه الآيات: تقرير أن القتل من الأمور التي تنكرها الطباع البشرية. وفيها: استحباب تذكير الإنسان بإحسانه إلى غيره على سبيل التذكير، وليس على سبيل المنة والاستعلاء وتحقير المُحْسَنِ إليه كما قال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ الآية[٣].

وفيها: أن لفظ الضلال قد يراد به الجهل وليس الضلال بمعنى إنكار الحق كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾[٤].

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٦٤ .

(٤) سورة الضحى الآية ٧ .

وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لقد سأل فرعون هذا السؤال مع أنه موقن بربوبية الله كما قال عز وجل ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1]. ولكنه قال هذا القول أمام قومه الذين رباهم على طاعته وصرفهم عن عبادة الله وقال لهم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[2]. وقد أجابه موسى عن سؤاله فيما حكاه الله عنه بقوله عز وجل ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي: هو خالق السموات وما فيها، وخالق الأرض وما فيها، وخالق ما بينهما وخالق كل شيء مما ترونه من الكواكب السيارة، والبحار والأنهار وكل المخلوقات والنباتات والحيوان وكل ما في الكون علوه وسفله ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: هذا هو الله كما وصفته لكم إن كانت لكم عقول تدركون بها حقيقة هذا الكون وخالقه ومدبره ومسيِّره. ولما استمع

---

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

(٢) سورة القصص من الآية ٣٨ .

فرعون إلى كلام موسى تعجرف والتفت إلى خاصته الذين يجلسون حوله يخاطبهم ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أي: ألا تعجبون من هذه المقالة التي يقول فيها إن لكم إلَها غيري، فلما سمع موسى قوله خاطبه معقبا ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: إن الله الذي ذكرت لكم هو ربكم أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين فحينئذ قال فرعون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم، إنما هو مجنون في كلامه وزعمه أن لكم إلَها غيري.

وبعد ذلك عقَّب موسى على كلامه نافيا التهمة التي وجهها إليه فرعون، ثم زاد على ما قاله عن ربوبية الله وخلقه السموات والأرض وخلقهم هم وآبائهم ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: هذا هو أيضاً رب المشرق الذي تطلع منه الشمس ورب المغرب الذي تغرب فيه، فهو المالك لكل الوجود وليس كالملك الصغير الذي تحكمه أنت.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استكبار الطغاة وعدم قبولهم الحق مع إقرارهم به في أنفسهم. وفيها: أن الدعاة إلى الحق يتعرضون في الغالب إلى اتهامهم بشتى التهم لإرغامهم على السكوت عن الحق وعدم الجهر

به. وفيها: أن الطغاة إذا أعيتهم الحيل في رد الحق وخافوا من انتصار أصحابه لجؤوا إلى تهديدهم وعقابهم.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أسقط في يد فرعون، وانقطعت حجته، وخشي أن يتفلت منه قومه لما رأوا حجة موسى وصدق بيانه التفت إليه متوعدا له بأن يسجنه إذا استمر على ما يقوله، لكن موسى عليه السلام لم يكن خائفا منه؛ لأنه عرف أن الله سيمنعه منه كما وعده فقال له ملاطفا رغم تهديده ووعيده ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هل تسجنني حتى لو أتيت لك بدليل واضح على صدق ما أقول. ولما قال هذا تراجع فرعون

وطمع في أن يرى ما يقول موسى ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي: افعل ما تقول ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: تحولت العصا بعد أن ألقاها أمام فرعون إلى ثعبان لا شك فيه ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ أي: ناصعة البياض لمن ينظر إليها. وكعادة الطغاة في التكبر والتعجرف وعدم تحكيم العقل التفت فرعون إلى من كان حوله من قومه وخاصته قائلا لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: بارع في سحره حكيم فيه، ولكي يصدقه قومه نزع إلى ما يؤثر عليهم وهو أن موسى يريد إخراجهم من الأرض الذي يعرف فرعون أنهم يحبونها ويتمسكون بالبقاء فيها فقال لهم ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي: أفيدوني فيما أصنع فيه ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ أي: أخر عقابه وأرسل إلى أهل مملكتك ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: يجمعوا لك السحرة المبدعين في السحر العارفين به، فعندئذ يتغلبون على سحر موسى فينتهي أمره وتستريح منه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير المجادلة بالحق وثبوت المعجزات لأنبياء الله كما حدث لإبراهيم وموسى. وأهم معجزة جاء بها رسول الله ﷺ

هي القرآن الذي شرع الله فيه الأحكام لخلقه وجعله خاتم الكتب السماوية. وفيها: تقرير أن السحر حقيقة خلافا لمن قال: إنه مجرد تخييل، مع الحكم بتحريمه صناعة وعلما وتعليما.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لما أشار خاصة فرعون عليه أن يجمع السحرة من الأقاليم قبل تلك المشورة، فاجتمعوا في صعيد واحد، واجتمع كثير من الناس في ذلك الصعيد ليشاهدوا غلبتهم على ما ظنوه سحر موسى، وكان هذا بإرادة الله ليحقق لرسالته النصر في ذلك المشهد من الناس ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ أي: اجتمعوا ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ أي: سوف

نتبعهم لاعتقادهم أن موسى ليس رسولا وإنما هو ساحر، كما وصفه لهم فرعون وهم بهذا القول لم يفكروا في اتباع الحق، بل اتباع فرعون وسحرته ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لما كان السحرة يعرفون أنهم أُجَراءُ يتكسبون بسحرهم سألوا فرعون في تذلل وخضوع عما إذا كان سيعطيهم أجورهم إذا هم غلبوا موسى ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: سوف تؤتون أجوركم، وستكونون من خاصتي إذا غلبتم. ولما عرف موسى استعدادهم قال لهم ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: لما ألقوا ما معهم من الحبال والعصي التي جاؤوا بها للتغلب على سحر موسى كما زعموا قالوا: بعزة فرعون أي: استعانة به وتبركا سوف نغلب موسى ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: تبتلع كل ما افتروه من السحر.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ أي: خروا له سجدا، لما رأوا ما أذهلهم من قدرة الله وعظمته ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أي: آمنا وصدقنا بربوبية الله، وأنه رب الخلق ورب موسى وهارون وربنا جميعا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العامة من الناس يحبون مشاهدة الأخبار العامة. وفيها: تقرير طلب الأجر مقابل العمل وأن الذين يقدمون للحاكم خدمة مميزة يكونون أقرب الناس إليه. وفيها: تقرير حقيقة واحدة هي أن الحق ينتصر على الباطل مهما كانت قوته وفيها: منة الله على من يشاء من عباده فيجعل له من الأسباب ما يهديه إليه كما جعل اجتماع السحرة من أقاليم مصر سببا في هدايتهم وإيمانهم بربوبية الله والتبرئ من اتباع فرعون.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ لما رأى فرعون ما رأى من إيمان السحرة بالله وتبرئهم من اتباعه رغم ما وعدهم به من الأجر والقرب منه، خشي أن يكون ذلك بداية لزوال حكمه، فأنكر عليهم إيمانهم بموسى قبل أن يأذن لهم في ذلك ثم اتهمهم بتبعيتهم له

لكونه كبيرهم ومعلمهم السحر بقوله ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ ثم توعدهم بتعذيبهم بقوله ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل واحد منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لأصلبنكم بعد ذلك على الأخشاب ليراكم الناس وتكونوا عبرة لغيركم ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ أي: أن إيمان السحرة وتحولهم من الكفر إلى الإيمان بعدما رأوا عظمة قدرة الله جعلهم لا يبالون بتهديد فرعون فقالوا: لا حرج مما ستفعله بنا، فلن يضيرنا ذلك ولن نخشاه ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: إن مرجعنا إلى الله عز وجل فلا نبالي بأحد سواه ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي: نؤمل ونرجو أن يغفر الله لنا ما ارتكبنا من الذنوب والخطايا وما اكرهتنا عليه من السحر ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بسبب إعلان توبتنا ومبادرتنا بالإيمان بما جاء به موسى صلى الله على محمد وعليه وعلى جميع رسل الله تعالى أجمعين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب التهمة التي لا تستند إلى دليل، فعندما اتهم فرعون السحرة بأنهم يتبعون موسى وسحره كان كاذبا؛ لأنه لم يكن بينهم وبين موسى أي صلة قبل اجتماعهم به في الاجتماع الذي دعا إليه فرعون. وفيها: تقرير أن إيمان المرء بعقيدته يجعله يتحدى

كل معاني الخوف ولو أدى ذلك إلى قتله. وفيها: أن المؤمن يطمع في رحمة الله، ولا يخاف فيه لومة لائم.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ لما بلّغ موسى رسالة الله إلى فرعون وقومه وأبى إلا أن يتكبر عن عبادة الله، وطال المقام ببني إسرائيل، أمر الله موسى أن يسير بهم من مصر إلى حيث أمره الله، فسار بهم نحو البحر كما أوحى إليه أن فرعون وقومه سوف يتبعونهم ليردوهم وهذا هو ما حدث؛ ذلك أن فرعون لما علم بخروج بني إسرائيل أرسل في بلاده ليجمع السحرة كما قال عزوجل ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ ولما اجتمعوا خاطبهم قائلا ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ أي: طائفة قليلة ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ أي: إنهم بأفعالهم يعملون ما يغيظنا ويؤذينا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: كلنا نحن القبط حذرون من غوائلهم وشرورهم.

ثم قال عز وجل ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ المراد به خروج فرعون وقومه في طلب بني إسرائيل، وبخروجهم هذا تركوا ما كانوا يملكونه من الجنان على ضفاف نهر النيل وعيون المياه التي كانت تتفرع منه ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ المراد به الأموال الوفيرة التي كانت لديهم والمساكن الكريمة التي كانوا يسكنونها مع ما كانوا فيه من الرفاهية وقوة المال.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لعل التأويل أن بني إسرائيل ورثوا مثل هذه الجنات لما وصلوا أرض فلسطين، وليس المراد أنهم ورثوا أرض مصر بعد هلاك فرعون وقومه؛ ذلك أنه ليس هناك ما يدل على أنهم عادوا إلى مصر بعد ما خرج بهم موسى منها وشاهده قول الله عز وجل في سورة الدخان ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استحباب السير في الليل؛ للتخفي عن العدو. وفيها: أن من يريد مطاردة عدوه عليه جمع الجند والاستعداد له وهو ما يسمى في الوقت الحاضر بالتعبئة العامة للحرب. وفيها: تقرير أن من يخشى من عدو عليه أن يحذر منه. وفيها: تقرير أن الله يورث

---

(١) سورة الدخان الآية ٢٨ .

الأرض من يشاء من عباده وذلك لحكمة يراها وقدر يقدِّره كما قال تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ الآية[1].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ لما تجهز فرعون وجنده خرجوا في إثر موسى وقومه فأدركوهم بعد شروق الشمس عند سيف البحر أي: بحر القلزم المعروف الآن بالبحر الأحمر ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: لما رأى كل من موسى وقومه وفرعون وقومه بعضهما البعض ﴿قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: خائفون من فرعون وقومه فحينئذ طمأنهم موسى وهدأ من خوفهم وقال ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ أي:

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

يجب عليكم ألا تخافوا ولا تحزنوا، فإن الله قد وعدنا بالنصر ولن يخلف وعده، فلما اقترب من البحر أوحى الله إليه أن يضرب بعصاه البحر كما قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ فلما ضربه بعصاه تحققت المعجزة الإلَهية فتحول إلى فرقتين كل فرقة مثل الجبل العظيم كما قال تعالى ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقد تحول البحر إلى يابسة كما قال تعالى ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾[1]. ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ أي: قربنا فرعون وجنوده من البحر ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: نجيناه وقومه ومن معه من مؤمني آل فرعون ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ أي: أغرقنا فرعون ومن معه جميعا فلم يبق منهم أحد إلا وقد غرق.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ أي: إن ما حدث من نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وجنده لدليل على أن الله ينصر عباده المؤمنين ويهلك الكافرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما كان أكثر قوم فرعون بمؤمنين، بل كانوا كافرين؛ أما المؤمنون الذين آمنوا بموسى واتبعوه فقد نجاهم الله معه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: إن ربك يا نبينا محمداً هو القاهر بعزته الطغاة والجبابرة، وهو الرحيم الذي

---

(١) سورة طه من الآية ٧٧ .

يرحم من يتوب من عباده وينيب إليه فاصبر على ما أصابك من قومك وسوف يكون لك النصر عليهم كما كان لموسى من قبلك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة الخوف عند البشر كما ذكر آنفا وفيها: تقرير إرادة الله وحكمته في نصرة عباده إذا أخلصوا عملهم وثبتوا على طاعة ربهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[1]. وفيها: تقرير المعجزة الإلهية في فلق البحر وتحوله إلى أرض يابسة.

قلت: إن ما حدث لبني إسرائيل وفرعون ليس تفضيلا لبني إسرائيل لجنسهم، أو كما يزعمون زورا أنهم شعب الله المختار، وإنما المسألة مسألة دين وكفر، فلو كان فرعون وقومه مؤمنين لما كان بنو إسرائيل أفضل منهم، لكن فرعون وقومه كانوا طغاة أنكروا ربوبية الله وكذبوا ما جاءهم به موسى من عنده، بينما كان بنو إسرائيل يؤمنون بالله ولما كفروا وعصوا رسلهم وعبدوا العجل عاقبهم الله ولعنهم كما قصه في كتابه العزيز.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتلو على أمته قصة نبيه إبراهيم فقد كان عليه السلام مخلصا لله في عبادته، محاربا للشرك منذ صغره فكان ينكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: ما هذه العبادة التي تمارسونها ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي: نعبد هذه الأصنام التي تراها ونقيم على عبادتها، فحينئذ سأل إبراهيم أباه وقومه قائلا: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم إذا دعوتموهم ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل وجدتم أنهم ينفعونكم بشيء تريدونه منهم؟ أو هل وجدتم أنهم يضرونكم بشيء فأردتم أن تستعيذوا منهم وتطلبوا عدم ضررهم؟ فأجابوه ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وهنا أقروا بأن هذه الأصنام لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ولكنهم وجدوا آباءهم يعبدونها فعبدوها

مثلهم ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من هذه الأصنام ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ الأولون فإني عدو لهذه الأصنام أمقتها وأكفر بها وهم أعداء لي يوم القيامة إن أنا عبدتهم؛ لأنهم حينئذ سيتبرؤون مني وهو معنى قوله ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ وقوله ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أعبد رب العالمين الذي لا يتبرأ من الذي يعبده بل يجازيه خير الجزاء على عبادته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أهمية الحوار بين الداعي والمدعو ومحاولة إقناع هذا عن طريق العقل كما كان إبراهيم عليه السلام يدعو أباه وقومه، ويبين لهم أن أصنامهم لا تنفعهم. وفيها: تقرير أن مجرد التبعية للمتبوع الضال عن سواء السبيل يعد خطأً وإثماً كبيراً. وفيها: الحكم بأن من عبد معبودا غير الله من نبي أو ولي أو صنم أو وثن سيكون عدواً له ويتبرأ منه يوم القيامة. وفيها: الحكم بأن عبادة غير الله شرك أكبر لا يغفر الله لصاحبه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ لما ذكر إبراهيم عليه السلام فضل الله وإنعامه على من يعبده بقوله ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عدد فضائله قائلا: هو ذاك الذي خلقني من العدم إلى الوجود وهو الذي يهديني إلى صراطه المستقيم ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ أي: هو رازقي بما سخره لي من أسباب الرزق ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ أي: إذا أصابني المرض فهو القادر على شفائي منه فلا أحد يقدر على هذا الشفاء إلا هو ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ أي: هو القادر على موتي عن انتهاء أجلي وهو القادر على إحيائي يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: هو القادر الذي أرجو أن يغفر لي ذنوبي يوم العرض عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عبودية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإخلاصه العبادة لله وحده وتعليمه لأبيه وقومه أن الله عز وجل هو الذي خلق الخلق وهو القادر على هدايتهم، وأنه هو الذي يطعمهم ويسقيهم، ويشفي مرضاهم، وهو القادر وحده على موتهم ثم حياتهم، وبعثهم ليوم القيامة وهو القادر وحده على غفران ذنوبهم

وخطاياهم، فلهذا هو المستحق وحده للعبادة، وليس الأصنام والأوثان التي لا تملك نفعا ولا ضرا.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ لما دعا إبراهيم أباه وقومه إلى الله وحاول إقناعهم بأنه هو المستحق وحده للعبادة دعا ربه أن يهب له حكما أي: علما ينتفع به في عبادته لربه وأن يلحقه بالصالحين ويجعله منهم في الدنيا ويحشره معهم في الآخرة ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: واجعل لي ذكرا جميلا يذكرني به من يأتي بعدي من الآخرين ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: اجعلني ممن يدخل الجنة مع عبادك الصالحين ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ كان عليه السلام يدعو لأبيه بالمغفرة؛ لأنه وعده أن يترك الأصنام ويعبد الله فلما لم يف بوعده رجع عن دعائه كما قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[١].

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تهني يوم القيامة يوم تبعث الخلائق. وقد روى البخاري حديثاً يفسِّر هذه الآية عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين**)[٢]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: لا ينفع العبد يوم القيامة لا مال يفتديه ولا بَنون يفتدونه، فلا ينفعه إلا توحيد الله وطاعته وبراءته من الشرك ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سالم من الشرك والمعاصي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشروعية الدعاء بل ووجوبه؛ لأن الله أمر به في قوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣]. وقد

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٤٥، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ برقم (٣٣٥٠).

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠ .

يقال: إن هذا الأمر للندب أو الاستحباب والأصح - والله أعلم- أنه للوجوب؛ لأن الله تعالى أمر به في قوله عز وجل ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ والأمر في هذا يقتضي التكليف، ولأن الدعاء عبادة، لما رواه بشير بن النعمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**الدعاء هو العبادة**)[١]. وقد عاقب الله المستكبرين عن عبادته بقوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢]. وفيه قول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيّ آدم حين يُسْأَلُ يغضب

وفيها: مشروعية الدعاء أن يجعل الله للعبد ذكرا وعملا صالحا يذكر به في الدنيا بعد مماته كالعلم والصدقة الجارية. وفيها: مشروعية الدعاء للوالدين إذا لم يكونا مشركين، فإن كانا كذلك وجبت مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف كما قال عز وجل ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾[٣]. وفيها: تقرير أنه لا ينفع يوم القيامة المال ولا البنون وإنما ينفع العمل الصالح وفي الحديث القدسي: (**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)[٤].

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني، ج١ ص٢٧٧، برقم (١٣١٢).

(٢) سورة غافر الآية ٦٠ .

(٣) سورة لقمان من الآية ١٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧) .

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت للذين اتقوا ربهم، لكي يدخلوها بسلام آمنين ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: جعلت بارزة ظاهرة للفاسدين الذين أغواهم الشيطان وصدهم عن سبيل الله ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي: يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع أين الذين كنتم تعبدونهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: أين الأوثان والأصنام ومن كنتم تصرفون عبادتكم لهم من دون الله هل ينصرونكم اليوم من العذاب الذي تواجهونه أم هل ينتصرون لأنفسهم ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي: ألقوا فيها مدحرجين منكبين على وجوههم هم ومن أغواهم وسوَّل لهم إبليس

المعاصي ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ أي: ألقوا فيها وكل من اتبع إبليس وأطاعه من الإنس والجن.

﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي: قال الذين أدخلوا النار للذين عبدوهم وهم يتخاصمون بينهم ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: لقد ضللنا حين ساويناكم في العبادة والطاعة مع رب العالمين، مع أنكم لستم مساوين له ولستم له بأكفاء قالوا ذلك على سبيل التهكم، يلومون فيه أنفسهم ويتحسرون على سابق فعلهم ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: ما دفعنا إلى هذا الضلال إلا المجرمون ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾ أي: لا أحد يشفع لنا اليوم فينقذنا مما نشاهده من العذاب ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ أي: وليس لنا اليوم صديق قريب ينفعنا ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يا ليتنا نرد إلى الدنيا، فنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فنكون حينئذ من المؤمنين ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: إن فيما يلاقيه المشركون من العذاب يوم القيامة ولومهم لأنفسهم ولمن عبدوهم لعبرة لمن يعتبر ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما كان أكثر المشركين في مكة مؤمنين، مثلهم في ذلك مثل قوم إبراهيم الذين لم يعتبروا بالآيات ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ أي: ذو العزة التي لا تضام، الرحيم بمن يتوب من عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير مساءلة المشركين يوم القيامة عمن كانوا يعبدونهم من دون الله، وما إذا كانوا يستطيعون نصرهم أو نصر أنفسهم كما قال عز وجل ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[1]. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[2]. وفيها: تقرير أن المشركين يتخاصمون يوم القيامة مع من عبدوهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[3]. كما أنهم يلومون أنفسهم ويتحسرون على أفعالهم حين ساووا المخلوقين بالخالق كما أنهم يتحسرون حين لا يجدون شفيعا يشفع لهم أو صديقا يسليهم عما هم فيه من الهوان والعذاب. وفيها: تقرير أن أهل النار يتمنون العودة إلى الدنيا كما قال عز وجل عنهم ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٢ .

(٣) سورة ص الآية ٦٤ .

(٤) سورة الأنعام من الآية ٢٧ .

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذا بيان من الله عن قصة نوح مع قومه فهو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بعد أن ضل قومه فعبدوا الأصنام وجعلوها شركاء مع الله، وقد لبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة وهو يدعوهم إلى الله فكذبوه فكان تكذيبهم له تكذيبا لجميع الرسل؛ لأن دعوة الرسل واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: قال لهم أخوهم في النسب، وليس في الدين؛ لأنهم كانوا مشركين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتقون الله فتعبدوه وحده وتنزهوه عن الشرك ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: إني أرسلت إليكم من بينكم ومن نسبكم أمين على ما أمرني الله به من إبلاغ الرسالة لكم دون زيادة أو نقصان وهي عبادة الله وحده ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: اتقوه بترك ما أنتم عليه من الشرك وأطيعوني فيما بلغتكم به من عند الله.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسئلكم أجرا أو جزاء على إبلاغ رسالة الله لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا اطلب الأجر والثواب إلا من الله عز وجل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾هذا توكيد وتكرار لدعوتهم إلى الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسالات الله إلى الناس واحدة وهي عبادته

وحده لا شريك له؛ فمن كذب أحد رسله فقد كذبهم جميعا. وفيها: أن الرسل يختارون من بين قومهم حتى لا يكون ذلك سببا في جفوتهم منهم. وفيها -كما سبق ذكره-: عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، هذا من حيث العموم إلا أنه لما أصبح الدعاة إلى الله يحتاجون إلى ما يساعدهم في حياتهم جاز أخذهم الأجرة ليس بقصد التكسب، وإنما لغرض الرزق لسد الحاجة.

﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ أي قال الكبراء من قوم نوح: لن نؤمن بما جئت به وقد اتبعك وصدّقك أراذلنا وسفلتنا وهذا مما يدل على طغيانهم وعنادهم واستكبارهم كما قال عنهم ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾[1]. ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: ليس لي علم بعملهم ولا بخفاياهم، إنما آخذهم بظاهرهم وما هم عليه من الإيمان ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ أي: إن ربي هو الذي يحاسبهم على أعمالهم ونياتهم، فلو كنتم عقلاء لما قلتم هذا، بل الواجب عليكم

(١) سورة نوح من الآية ٧ .

إصلاح أنفسكم والبراءة من الشرك الذي أنتم عليه ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذا دليل على أنهم سألوه أن يطردهم أي: لن أطرد الذين آمنوا بي وصدقوني، فهم مؤمنون بما جئتهم به ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: لست إلا نذيرا من عذاب الله فمن أطاعني وصدق ما جئت به فقد أطاع الله ومن عصاني فأنا نذير له من عذاب الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رؤساء القوم والمتنفذين فيهم يكرهون ضعفتهم ويحتقرونهم ويطلبون طردهم وإبعادهم عن رسل الله وقد حدث هذا من مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ طرد بلال، وعمار، وسلمان، وصهيب، وغيرهم من ضعفة المسلمين فأنزل الله فيهم قوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]. وفيها: تقرير تحريم طرد المؤمنين؛ لإرضاء المشركين؛ لأن المعيار عند الله التقوى والإيمان، وليس المال أو القوة أو الجاه، فالمؤمنون الضعفاء هم الأعلون عند الله، والمشركون والمجرمون هم الأسفلون عند الله.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٢٨.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ لما مكث نوح عليه السلام في قومه سنوات عديدة وهو يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا إلى توحيد الله ضاقوا به ذرعا وهددوه بالرجم إذا لم ينته ويكف عن دعوتهم وعندئذ دعا عليهم و ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ أي: سفهوني وهددوني ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: أحكم بيني وبينهم ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نجني ومن اتبعني ممن آمن برسالتك من العذاب الذي سيصيبهم، فاستجاب الله دعاءه بقوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ لما كانوا في السفينة التي أمره الله بصنعها وجعل فيها أزواجا من الحيوانات والطيور، ثم أغرق الذين كذبوه وعصوه بعد أن نجاه الله ومن كان معه من المؤمنين. قال عز وجل ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: فيما حدث بين نوح وقومه ومن ثم ففي

إنجاء الله له وإغراق من كفر به لعبرة للمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثر قوم نوح بمؤمنين، وإنما الذين آمنوا بما جاء به كانوا قلة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: العزيز في ذاته وبقوته، الرحيم بمن تاب من خلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الطغاة والجبابرة يكرهون الجدال الحسن ويعرضون عن سماع الحق، وعندما يغلبهم المجادلون لهم بالحق يهددونهم بالقوة. وفيها: مشروعية الدعاء على الظالمين كما فعل نوح بقوله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[1]. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2]. وفيها: وجوب طلب النصر من الله والقضاء بين الظلمة والمظلومين.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم

(١) سورة نوح الآية ٢٦ .
(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عاد كانوا يسكنون الأحقاف من جهة اليمن، وكانوا أهل عمران وحضارة وقوة في الزراعة والعمران، وقد أرسل الله إليهم نبيهم هودا يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أخوهم هود في النسب فقال لهم داعيا ومحذرا: اتقوا الله بطاعته و توحيده ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: إني مرسل لكم من عند الله أنقل لكم رسالته بكل صدق وأمانة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: اتقوا الله بطاعته وتوحيده والبراءة من عبادة غيره ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم نفعا على ما أدعوكم إليه، وإنما أدعوكم لمنفعتكم بدرء العذاب عنكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أنني أرجو الأجر من الله فيما أدعوكم إليه ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ المراد أنكم تبنون في المرتفعات وفي الطرقات أبنية شاهقة وكثيرة لا تحتاجون إليها مما يدل على عبثكم ولهوكم ولعبكم وتبذيركم للأموال ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: تبنون حصونا، كأنكم مخلدون في الدنيا بينما أنتم زائلون عنها ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

أي: تبطشون بالقوة والجبروت، ليس في قلوبكم شفقة أو رحمة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ هذا تكرار لدعوتهم إلى طاعة الله.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أطيعوا الذي أنعم عليكم بما تعلمون وقد فسره بقوله ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ﴾ أي: سخر لكم الإبل والبقر والغنم لتركبوها ولتشربوا من ألبانها وتأكلوا من لحومها، وأمدكم بالذريّة التي هي زينة الحياة الدنيا ﴿وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ أي: أمدكم بالبساتين بما فيها من النخيل والأشجار والثمار التي ترويها العيون النابعة من الأرض. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ أي: أخشى عليكم العذاب إذا لم تتقوا الله وتوحدوه وتتركوا لهوكم وعبثكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسالات الرسل هي دعوتهم أقوامهم إلى تقوى الله وتوحيده وطاعته والبراءة من عبادة غيره. وفيها: ذم العبث واللهو والاسراف في المساكن كما قال عزوجل ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1]. وقوله ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[2]. ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[3]. وفيها: ذم

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٢٦ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٢٧ .

العنف في التعامل. وفيها: أن من وسائل الدعوة تخويف المدعوين من عذاب الله، مع ترغيبهم في رحمته وعفوه إذا تابوا وأصلحوا.

﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ لما دعا هود قومه عادا، وبالغ في دعوتهم وحذرهم من عاقبة أمرهم قالوا: لن نطيعك، ولن نتبعك، سواء وعظت أو لم تعظ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: هذا الذي نعمله هو عمل آبائنا من قبل وقيل: إن المراد أن ما جئتنا به أساطير الأولين أي: أحاديث لا نظام لها ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: سوف نعيش كما عاش من كان قبلنا، ثم نموت وليس بعد الموت حياة. ولما استمروا على تلك الحال من العناد والطغيان أخبر الله عن تكذيبهم وهلاكهم فقال عز وجل ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ ﴾ وكان هلاكهم بالريح الشديدة كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[1]. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ

(١) سورة الحاقة الآية ٦ .

لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[1]. ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[2].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: إن لكم عبرة فيما ذكرنا من هلاك عاد ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: كان أكثرهم على الشرك والطغيان ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: الذي أهلك بقوته عاداً، ورحم نبيه هوداً ومن معه من المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الطغاة يتمادون في غيهم ويصرون على سوء أفعالهم، رغم تكرار الدعوة لهم ونصحهم. وفيها: سوء التقليد وكون المقلِّد يصادر عقله فلا يفكر إلا فيما فعله من سبقه رغم ما فيه من الخطأ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾ ثمود: قبيلة عربية ديارها مدينة الحِجر الواقعة بين وادي القرى والشام، وقد

---

(١) سورة الحاقة الآية ٧.

(٢) سورة الحاقة الآية ٨.

أرسل الله إليهم أخاهم صالحا يدعوهم إلى عبادة الله وحده فقال لهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتقون الله وتوحدونه ولا تشركوا به شيئا ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: مرسل من الله أبلغكم رسالته، وإني أمين في إبلاغها لكم وأنتم تعرفون صدقي وأمانتي فيكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ هذا تكرار لدعوتهم إلى تقوى الله وطاعته ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم مالاً أو نفعاً على ما أبلغه لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا أطلب أجري ومثوبتي إلا من الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن دعوات الرسل لأقوامهم متماثلة، فكل واحد منهم يدعو قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والتبرئ من الشرك به ثم يذكر لهم: أنه رسول من عند الله أمين على رسالته ويدعوهم إلى تصديق ما جاء به ويقول لهم: إنه لا يطلب منهم أجرا ولا جاها ولا رئاسة عليهم لأن أجره عند الله الذي أرسله.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ أي: هل تحسبون أنكم سوف تتركون في سلامتكم ورفاهيتكم وتعصون الله وأنتم تتمتعون ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: بساتين وعيون مياه ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ أي: زروع وفيرة ونخل طلعه لين ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ حتى أصبحتم تنحتون الجبال وأنتم حاذقون بنحتها.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ توكيد وتكرار في دعوتهم ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المراد بهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يصدونهم عن سبيل الله وقد وصفهم الله بقوله ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي: إن عملهم الفساد في الأرض بمعصية الله وعدم صلاحهم فيها بطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العباد لا يتركون يلهون ويعبثون ويتنعمون في ملذات الدنيا وهم على الكفر، وقد اقتضت حكمة الله إما التعجيل لهم بالعقوبة في الدنيا كما حدث لقوم نوح وهود وصالح، وإما تأجيل عقوبتهم إلى الآخرة. وفيها: نهي العباد وتحذيرهم من طاعة الرؤساء الذين يصدونهم عن سبيل الله بقصد الفساد في الأرض.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ أي قالت ثمود لنبيهم صالح: إنما أنت من المسحورين ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: لست إلا مثلنا فكيف يوحى إليك من دوننا ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقا فيما تقول، فأت لنا بآية تدل على صدقك أنك مرسل من الله. وقد تشاوروا فيما بينهم ثم طلبوا منه -كما سبق ذكره- أن يخرج لهم من صخرة مشهورة عندهم ناقة عشراء، فوافقهم على ذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق أنه إن أجابهم إلى طلبهم سوف يتبعونه ويصدقونه، فوافقوا على ذلك وعندئذ دعا ربه فاستجاب له، فانفرجت الصخرة عن ناقة عشراء حسبما وصفوه فآمن بعضهم، وكفر البعض الآخر ﴿قَالَ

هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: تتركونها ترد ماءكم يوما واليوم الآخر لكم وسوف تنتفعون من لبنها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: لا تتعرضوا لها بسوء فإن فعلتم ذلك فسوف تتعرضون لعذاب يوم عظيم تندمون فيه. وقد غلبت عليهم الشقاوة فتمالؤوا على قتلها كما قال تعالى ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ وهو نزول الصيحة فيهم وتقطع قلوبهم وهلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ أي: عبرة ودلالة على قوة الله وقدرته في إهلاك الكافرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما كان أكثر قوم صالح مؤمنين إذ لم يؤمن إلا القليل منهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: القادر بقوته على إهلاك قوم صالح ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ بعباده المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن السحر حقيقة، وأنه معروف عند الأمم السابقة. وفيها: تقرير أن الله يعطي أنبياءه آيات بيِّنات تساعدهم في دعوة الخلق إلى الله، فمنهم من يؤمن بها، ومنهم من يكذب بها. وفيها: الحكم بأن الكافرين يندمون على سوء أفعالهم حين يحل بهم العذاب وحينذاك لا ينفعهم الندم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ .. الآيات. وكما دعا الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، أقوامهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك دعا لوط قومه الذين يسكنون قرية سدوم مما يلي الأردن إلى الاستقامة وترك الفواحش والالتزام بتقوى الله وأخبرهم أنه رسول من عند الله أمين على رسالته، وأنه لا يسألهم أجرا على دعوته لهم، ولكنهم مع ذلك كذبوه وآذوه فأهلكهم الله وتحولت بلادهم إلى بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط أو ما يسمى الآن البحر الميت، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عرض لوط عليه السلام لقومه أن يتقوا الله ويطيعوه ويجتنبوا الفواحش المنتشرة بينهم وإبلاغه لهم أنه رسول أمين حريص على نجاتهم من العذاب إذا اتقوا الله وتركوا ما هم فيه من الجرائم.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لما رأى لوط عليه السلام ما عليه قومه من ارتكاب الفواحش المستقذرة أنَّبهم ووبخهم وقال لهم: كيف تأتون هذه الفاحشة المنكرة ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي: تتركون ما أحله لكم من الأزواج وترتكبون ما حرم عليكم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: معتدون على حرمات الله منتهكون لحدوده ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أي: لئن لم تترك قولك هذا سوف نخرجك من أرضنا ونبعدك عنها كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ لما سمع لوط عليه السلام مقالتهم هذه قال لهم: إني أكره عملكم هذا وأتبرأ منه فهو من الضلال وأعمال الشيطان ثم قال ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾

(١) سورة النمل الآية ٥٦ .

أي: دعا ربه أن ينجيه وأهله من أعمالهم؛ لأنه عرف أن الله سوف يهلكهم وقد استجاب الله دعاءه بقوله ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: نجاه وكافة أهله ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ والمراد بها امرأته فقد كانت ترضى بأفعال قومه وقبل هلاكهم أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، كما أمرهم ألا يلتفتوا إذا سمعوا الصيحة، وقد فعلوا فنزلت الصيحة بقومه عند شروق الشمس كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ المراد به الحجارة التي نزلت عليهم كما قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾(١). ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: عبرة في إهلاك قوم لوط ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يؤمن من قوم لوط إلا قلة قليلة، أما الأكثرية فكانوا كافرين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: القوي على إهلاكهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: بإنجاء نبيه لوط ومن معه من المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن جريمة قوم لوط من أحقر وأحط الجرائم في الأرض، ولا يرتكبها إلا من سفلت أخلاقهم، وفسد سلوكهم، وماتت قيمهم، فاستحقوا بذلك مقت الله وغضبه. وفيها: أن الطغاة والمتنفذين كانوا يهددون الدعاة إلى الحق والمصلحين بالنفي والطرد. وفيها: أن

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

على الأمم التنديد بالفساد إذا بدأ فيها، مع ما يجب عليهم من مقته ومقت أصحابه حتى يعذروا، وإلا حلّ بهم العقاب جميعهم. وفيها: أن الله يستجيب دعاء الأنبياء والصالحين إذا رأوا أنه لا حيلة لهم في أقوامهم إلا الدعاء عليهم كما حدث لنوح وهود وصالح ولوط.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ .. الآيات. أصحاب الأيكة: هم أصحاب مدين، والأيكة: الشجر المتكاثف وتعد جزءاً من مدين أو قريباً منها، فهم أهل بلد واحد، فشعيب عليه السلام من مدين كما قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1]. وقد شملت دعوته أهل مدين وأصحاب الأيكة فلم ينسبه الله إلى أصحاب الأيكة فقال ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل: (أخوهم شعيب). وكما كان رسل الله يفعلون مع أقوامهم فعل شعيب مع هؤلاء فدعاهم إلى تقوى الله وعبادته وترك عبادة غيره وأخبرهم أنه رسول من عند الله وأنه أمين على رسالته صادق فيما يدعوهم إليه وأنه لا يبتغي منهم أجرا ومع ذلك فقد كذبوه.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام في هذه الآيات: وجوب تقوى الله وطاعته؛ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ومنها: وجوب طاعة الرسل الذين أرسلهم الله إلى أممهم وأقوامهم ولكن هذه الطاعة محدودة بأزمنة رسالاتهم. أما بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ فلا يجب إلا طاعته لأنه خاتم الرسل وإمامهم وقد نسخت رسالته ما سبقها من الرسالات؛ فطاعته طاعة للرسل وتصديقه تصديق لهم. ومن الأحكام: أن الرسل لا يأخذون أجرا على دعوتهم ومثلهم الدعاة إلا أنه يستثنى من كان من الدعاة في حاجة إلى هذا الأجر -كما سبقت الإشارة إليه-.

﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ هذا أمر من شعيب عليه السلام لقومه بأن يوفوا الكيل، والمراد إذا كلتم في بيعكم فكيلوه وافيا لغيركم ولا تنقصوه، بينما أنتم تأخذونه وافيا إذا استوفيتموه من غيركم ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: يجب أن يكون وزنكم بالعدل السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي:

لا تنقصوهم من أموالهم شيئا ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تفسدوا في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد كالقتل أو السرقة أو قطع الطريق كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الآية[١]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أطيعوا الله الذي خلقكم وسائر الخلق من قبلكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الوفاء بالكيل وتحريم التطفيف فيه كما قال عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[٢]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[٣]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٤]. وفي الحديث: **(رحم الله رجلاً سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)**[٥].

وفيها: الحكم بتحريم بخس الناس حقوقهم، سواء كان هذا البخس بخسا مناطه الحقوق المادية، كسرقة أشيائهم، أو جحد عارياتهم، أو استغلال حاجاتهم عند مداينتهم، أو كان مناط هذا البخس الحقوق المعنوية كالتنقص منهم أو الاستهزاء أو السخرية بهم.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٦ .

(٢) سورة المطففين الآية ١ .

(٣) سورة المطففين الآية ٢ .

(٤) سورة المطففين الآية ٣ .

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٣٥٩، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، برقم (٢٠٧٦) .

وفيها: الحكم بتحريم الفساد في الأرض بأي نوع من أنواعه كما قال عز وجل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1]. وقوله في ذم المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2]. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3].

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ لما دعا شعيب قومه ونصحهم وحاول ثنيهم عن ضلالهم بفصاحته وخطابته المتميزة قالوا له: إنما أنت مسحور ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: ليس لك فضيلة أو ميزة علينا حتى تنصحنا ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ بل نزعم أنك تكذب وأنك لست برسول ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢ .

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وهذا مما يدل على سفههم وجهلهم حين استبعدوا عقاب الله فقالوا: اسقط علينا قطعا من السماء إن كنت صادقا فيما تقول ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هذا جواب لهم والمراد أن الله أعلم بأحوالكم وهو المتصرف فيكم وسوف يجازيكم بما تستحقون ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لما سألوا شعيبا أن ينزل عليهم كسفا من السماء أرسل الله عليهم سحابة أظلتهم من الحر الشديد الذي نزل بهم فطفقوا يستظلون فلما اجتمعوا تحتها تحولت إلى نار أحرقتهم فهلكوا جميعا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: دلالة على إهلاك الله للكافرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما آمن مع شعيب واتبعه إلا قليل من أهل مدين، أما الأكثرون فكانوا كافرين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: القادر على الانتقام من الكافرين المكذبين لرسلهم وهو الرحيم بعباده المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عن قوم شعيب وما سبقها من الآيات عن قوم نوح وهود وصالح ولوط: إخبار من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ عما لاقاه هؤلاء الأنبياء من التكذيب والأذى، وأن عليه أن يصبر في دعوته كما صبروا؛ لأن حكمة الله اقتضت ألا يعذب أحدا إلا بعد

أن تبلغه الرسالة. وفيها: تحذير المشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ وكذبوه أن مصيرهم قد يكون مثل مصير تلك الأمم التي عذبها الله. ورغم ما أصاب رسول الله ﷺ من الأذى من قومه إلا أنه صبر عليهم ولم يدع عليهم سوى أيام قليلة دعا فيها على مضر وذكوان، ثم نهاه الله عن ذلك، فامتنع وقال وهو يمسح الدم عن جبينه: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)(١).

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لما قص الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ قصص الأنبياء -كما ذكر- بيّن أنه أنزل هذا القرآن بما فيه من الأحكام والشرائع لهداية خلقه وبيان الصراط المستقيم الذي يعرفون من خلاله ما ينفعهم وما يضرهم في دينهم ودنياهم. قوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: نزل به جبريل مؤتمنا عليه لم يزد فيه ولم ينقص وإنما بلّغه كما نزل من اللوح المحفوظ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: نزل القرآن على قلبك مباشرة من لدن جبريل ونزوله على القلب سبب مباشر لحفظه ووعيه؛ لأن القلب

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٩٣، كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، برقم (٣٤٧٧).

وعاء الفهم والإدراك والأصل في نزول القرآن عليك يا نبينا محمداً أن تكون به منذرا للذين يعصون الله وأن تكون به مبشرا للذين يطيعونه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: وهذا القرآن أنزل باللسان العربي الفصيح وهو لسانك ولسان قومك؛ ليكون أكثر فهما واشمل بيانا لهم وأعظم حجة عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات الحكم بأن هذا القرآن هو الذي أنزله الله رب العالمين وأن الذي نزل به جبريل. وفيها: أن رسول الله ﷺ كان يتلقى نزول القرآن بقلبه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: **(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)**[1]. وفيها: أن هذا القرآن أنزل بلسان رسول الله ﷺ وقومه العرب وهو لسان عربي مبين وقد اقتضت حكمة الله أن تكون الرسالات إلى الأمم بألسنتهم، ليكون ذلك أقوى للحجة عليهم في فهم ما يؤمرون به كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[2].

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٢٥، كتاب بدء الوحي، باب (٢) برقم (٢).
(٢) سورة إبراهيم من الآية ٤ .

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٩٧) وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ (١٩٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: إن هذا القرآن منوه عنه في زبر الأولين أي: كتبهم ورسالاتهم ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ المراد بالخطاب هنا أهل مكة والمعنى ألا يكفيهم دلالة أن بني إسرائيل يعرفون أن هذا القرآن منصوص عليه في كتبهم والمراد ببني إسرائيل هنا المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه ممن آمنوا بالقرآن وبرسالة رسول الله ﷺ.

﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ أي: لو نزلنا هذا القرآن على أعجمي لا يحسن العربية ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم﴾ بغير لغتهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لقالوا: لا نؤمن به ولا نعرف ما فيه كما قال عز وجل ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن مذكور في الكتب السماوية السابقة.

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

وفيها: تقرير أن من اتبع هواه واستنكف عن اتباع الحق لا ينفع فيه دليل، بل يكون متبعا لهواه فيضله عن سبيل الله كما قال عز وجل ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[1].

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لما ذكر الله عزوجل تكذيب الأمم البائدة لرسلهم قال: كذلك أدخلنا هذا التكذيب في قلوب المجرمين من مشركي مكة؛ ذلك لأنهم أنكروا القرآن واتهموا الرسول بوضعه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا أن العذاب محيط بهم، وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: يأتيهم العذاب على حين غفلة وهم لا يشعرون به فيكون أكثر ألما لهم.

---

(١) سورة الفرقان الآية ٤٣ .

﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ المراد أنهم يتمنون أن يمهلوا قليلا حتى يتوبوا وهذا محال؛ لأن العذاب إذا وقع لا ينفع معه ندم ولا توبة ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا توبيخ وإنكار عليهم في استعجالهم عذاب الله عندما قالوا للرسول ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]. ثم قال تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ أي: أفرأيت يا نبينا محمداً إن أمهلناهم فلم ننزل عليهم العذاب بغتة وتركناهم يتمتعون وقتا طويلا في الدنيا ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ أي: لم يغن عنهم تمتعهم شيئا ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ هذا من عدل الله ورحمته أنه لم يهلك أو يعذب أحدا من خلقه إلا بعد أن يأتيه النذير والبلاغ عن طريق الرسل والكتب والبينات ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي: ننذرهم لإقامة الحجة عليهم، ولن نكون ظالمين لهم فنعاقبهم دون إنذارهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المكذب لآيات الله بعد أن تتبين له ينغرس التكذيب في قلبه، فلم يعد يؤمن إلا بعد ما يرى العذاب محيطا به على حين غرة. وفيها: تقرير سفاهة المشركين وحمقهم حين يستعجلون

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٩ .

عذاب الله ويظنون أنه غير واقع بهم. وحينما يرونه يصيبهم الندم فيقولو:ن آمنا بالله كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[1]. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

وفيها: تقرير أن إمهال الكافرين في الدنيا لا يغنيهم شيئا، طالما أنهم يصرون على تكذيب رسل الله وآياته كما قال تعالى ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾[3]. وفيها: الحكم بعدل الله، وأنه لا يعذب أحدا من خلقه إلا بعد أن يأتيه البلاغ من الله عن طريق كتبه ورسله. كما قال عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4]. وقوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[5].

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) سورة غافر الآية ٨٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٥ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٩٦ .

(٤) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٩ .

(٢١١) ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل ردّاً على المشركين الذين قالوا: إن الشياطين يلقون القرآن على رسول الله ﷺ كما أنه بيان عن حفظ الله لكتابه العزيز وأنه غاية في الكمال والبعد عن النقص، فالذي نزل به جبريل عليه السلام وهو أشد الملائكة قوة ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما كان ينبغي للشياطين التعرض للقرآن لأنه فوق قدرتهم فلا يستطيعون النيل منه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي: معزولون عن القرآن؛ لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا عند نزوله على رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال دعاوى المشركين وزعمهم أن الشياطين تنزل بالقرآن. وفيها: تقرير أن الشياطين لا يستطيعون التعرض للقرآن؛ لأنه نزل من اللوح المحفوظ، نزل به جبريل وقد امتلأت السماء حراسا وشهبا حين نزوله كما قال عز وجل عن الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[1]. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا

---

(١) سورة الجن الآية ٨ .

مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[1].

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ -وهو أمر لأمته- أن يخلص العبادة لله وحده لا شريك له مبينا له أن من أشرك معه غيره سيناله العذاب يوم القيامة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وكما أمره أن يجعل العبادة له وحده لا شريك له أمره أن ينذر قومه الأقربين له بأن العبادة لا تكون إلا له وحده لا شريك له ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله أن يلين جناحه للمؤمنين ويرفق بهم ويتلطف بهم؛ لأنهم خاصته وأقرب الناس إليه ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) سورة الجن الآية ٩ .

أي: من عصاك ممن دعوته إلى توحيد الله وطاعته فقل له إنك بريء من عمله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: توكل عليه في كل أمر تريد فعله فإنه هو معينك وناصرك وكافيك شر أعدائك ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: الذي يراك وأنت تصلي وتركع وتسجد ولهذا قال تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لما يقوله عباده في سرهم وجهرهم والعليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب توحيد الله وحده وتحريم الشرك به وأن من أشرك معه غيره سيكون العذاب جزاءه كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[1].

وفيها: تقرير أن الأصل في الدعوة البدء بالأقرب إلى الداعي من أهله حتى يكون ذلك أدعى لقبول العامة لدعوته.

وامتثالا لأمر الله بدأ رسول الله ﷺ -كما سبق ذكره- بدعوة أقرب الناس إليه فقال: (**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب يابني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ماشئتم**)[2].

---

(١) سورة المائدة من الآية ٧٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٠٨١، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، برقم (٢٠٥).

ثم خاطب قومه على الصفا قائلا: (**يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟**) قالوا: نعم، قال: (**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا، فأنزل الله تعالى قوله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١].

والبدء بدعوة الخاصة لا ينافي وجوب الدعوة العامة، ولهذا قال تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٢]. وقال عز ذكره ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٣].

وفي هذه الآيات: وجوب الرفق بالمدعوين إلى الدين والتلطف بهم خاصة من كان منهم حديث عهد بالإسلام. وقد أكد الله على ذلك بأمره لنبيه أن يكون معهم بقوله عز وجل ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٤]. وفيها: أن المدعوين إذا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٥٠، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، برقم (٢٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ٢ ص١٠٨٣ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٩٢ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٥١ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

عصوا الدعوة وجبت البراءة منهم. وفيها: وجوب التوكل على الله فهو الكافي والحافظ والنصير كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[2]. وفي هذه الآيات التوكيد على أهمية الصلاة فرضا كانت أو نفلا، وأن الله يرى المصلين في حركاتهم في ركوعهم وسجودهم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هذا رد وتكذيب لمن قال من المشركين أن شيطانا ينزل على محمد ﷺ فنزه الله رسوله عن كذبهم وافترائهم، وأخبر أن الذين تنزل عليهم الشياطين الكذبة الفسقة الفجرة من الكهان وأضرابهم ولهذا قال تعالى ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٥٨ .

كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي: كذابٍ في أقواله آثم في أفعاله ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ المراد بهم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيضيفون إليها مائة كذبة ثم يبعثونها إلى أوليائهم من الإنس فيصدقهم الناس بسبب صدق كلمة واحدة ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ المراد بهم الشعراء الذين يتهاجون بينهم ويجتمع حول كل واحد منهم فئام من الناس يناصرونه فينتصر لهذا قوم ولذاك قوم آخرون فيحصل من جراء ذلك هرج وفتن كثيرة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ أي: أنهم يتيهون في الكلام بالذم والقدح أو المدح مما لا طائل منه ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يتجاوزون في الكلام فيدعون فعلا لم يفعلوه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا استثناء من الله يخرج الشعراء الصالحين من الصحابة كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك ونحوهم من الشعراء الممدوحين ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ﴾ هذه صفة للشعراء في مدح رسول الله ﷺ والمؤمنين وينتصرون بشعرهم في هجاء وذم المشركين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ المراد سيعلم الذين رموا رسول الله ﷺ بالكذب

واتهامه بالكهانة والشعر أي منقلب ينقلبون إليه يوم القيامة وهو النار جزاء كذبهم وافترائهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب المشركين وإبطال زيفهم ورد دعاواهم أن القرآن مما توحي به الشياطين. وفيها: تقرير أن الشياطين تتنزل على الأفاكين والكذبة والفسقة، أما الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فهم منزهون كل التنزيه من الكهانة أو العلاقة مع الشياطين؛ لأن هؤلاء الشياطين لا يتعاملون إلا مع بعضهم ومن على شاكلتهم من الجن والإنس وهم جميعا مطرودون من رحمة الله. وفيها: تقرير ذم الشعراء الذين يتهاجون بينهم ثم ينتصر لكل منهم طغام من الناس فينتج عن فعلهم فتن وأباطيل، مع استثناء الشعراء الذين يَسْمُونَ بشعرهم عن الكذب والهجاء المذموم وهم في ذاتهم مؤمنون بالله وينتصرون بشعرهم لرسالته ولنبيه محمد ﷺ. وفي هذه الآيات: تقرير أن الظلمة الذين يفترون الكذب على رسول الله أو على المؤمنين سيلقون جزاءهم من العذاب يوم يرجعون إلى الله كما قال عز وجل ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

(١) سورة الزمر الآية ٧٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

مكية وآياتها ثلاث وتسعون آية

﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾.

﴿طسٓ﴾ طس من الحروف المقطعة، وقد تقدم الكلام فيها والله أعلم بمراده ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: هذه يا نبينا محمداً آيات القرآن التي أنزلت عليكم ﴿وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ هذا بيان من الله، فيه أحكامه وشرعه وما أمر به العباد، وما نهاهم عنه، وفيه: أخبار الأمم السابقة وما حل ببعضها من الهلاك ليكون في ذلك عبرة لمن يسير على نهجهم، وفيه شفاء الصدور من الأغلال والآلام النفسية والمادية كما قال عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]. ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وفيه الوعد للمؤمنين

(١) سورة الإسراء من الآية ٨٢ .

بالبشارة لهم بالنصر والعزة في الدنيا والسعادة في الأرض والبشارة لهم بنعيم الله يوم القيامة، وفي آياته الحصن المنيع من وساوس الشياطين ونزغاتهم وأهوائهم، فمن آمن به واتبع ما جاء فيه تحققت له الحسنى في الدارين.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذه إحدى صفات الذين لهم الهدى والبشرى بأنهم يقيمون الصلاة ويؤدونها في ركوعها وسجودها وأركانها وواجباتها وشروطها ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهم أيضا الذين يؤدون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: بلغوا مرحلة اليقين بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأنهم سيعرضون على ربهم فهم يتطلعون إلى لقائه رجاء رحمته وغفرانه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: ينكرون وقوعها ويكذبون من يؤمن ويصدق بها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حببنا المعاصي لهم؛ بسبب ضلالهم فهم في هذا الضلال يهيمون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: إن هؤلاء الضالين لهم سوء العذاب أي: شديده في الدنيا ﴿وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ أي: الذين يخسرون أنفسهم؛ بسبب ضلالهم فيساقون إلى العذاب ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: يا رسولنا محمداً إنك

تأخذ هذا القرآن وتحفظه من عند حكيم في تصرفه في خلقه وتدبيره لهم عليم بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين أي: هدى لهم من الضلال إذا صدقوه وآمنوا بما فيه كما أنه بشرى لهم في الدنيا بما ينفعهم فيها، وبشرى لهم في الآخرة يوم يرجعون إلى الله. وفيها: الحكم بأن من أوصاف المؤمنين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالبعث. وفيها: الحكم بضلال الدهريين والملاحدة بسبب كفرهم بالآخرة. وفيها: الحكم بأن رسول الله ﷺ قد تلقى هذا القرآن من الله، وهذا رد متكرر على المشركين والكفرة الذين افتروا الكذب وزعموا أنه يتلقاه من عند غير الله.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ لما ذكر الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ شرف القرآن وفضله، ذكَّره بما حدث لنبي كان قبله هو موسى بن عمران قبل ابتداء الوحي إليه حيث سار بأهله من أرض مدين إلى مصر في طريق مظلم، فبينما هو فيه أحسّ بنور عظيم فقال ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: رأيت نارا بعيدة سوف آتيكم بخبرها عن الطريق لأنهم ضلوه ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: آتيكم بشعلة من هذه النار تستدفئون منها من البرد الذي تقاسونه ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ لم يكن ما رآه موسى نارا، بل كان نوراً وبورك من فيه، قال محمد بن كعب - كما سبق ذكره -: نور الرحمن والنور هو الله. وقال ابن عباس: كان نور رب العالمين في الشجرة[1]. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من حول هذا النور وهم الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تقدس في ذاته وصفاته وعدم

---

(١) جامع البيان للطبري ج١٩ ص١٣٤.

مشابهته لأحد من مخلوقاته ليس كمثله شيء.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: ناداه الله باسمه بأن الذي يناديه هو الله العزيز الذي ذلت له الجبابرة وخضع له كل شيء في الوجود علوه وسفله الحكيم فيما يفعل ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ هذا أمر من الله لموسى أن يلقي عصاه، ليرى كيف تتحول إلى شيء آخر يدل على عظمة الله وقدرته ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ أي: لما رأى موسى عصاه قد تحولت إلى حية عظيمة عبر الله عنها بالجان ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ أي: أصابه الخوف مما رأى فرجع مدبراً فلم يلتفت ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: لقد اخترتك لإبلاغ رسالتي، فلا تخف مما رأيت فإن الذين أصطفيهم لرسالتي لا يخافون. وقوله ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ هذا استثناء والمراد إلا رسولا بدر منه ظلم قبل حمله الرسالة، ثم تاب منه، وبدَّل سيئته حسنة فإن الله يغفر له وفي هذا تطمين لموسى بأن الله تجاوز عن خطيئته بقتل القبطي حين قال ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾[١]. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾[٢]. فاستجاب الله له بقوله ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

---

(١) سورة القصص من الآية ١٥ .
(٢) سورة القصص من الآية ١٦ .
(٣) سورة القصص من الآية ١٦ .

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ هذه آية من آيات الله التي تدل على عظمته وقدرته، والمراد أن موسى لما خاف من عصاه التي تحولت إلى حية طمأنه الله وقال: ادخل يدك في جيبك ثم أخرجها لتراها بيضاء لامعة من غير عاهة كالبرص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: أن تحول عصاك إلى حية تسعى وإخراج يدك من جيبك بيضاء آيتان من ضمن تسع آيات تذهب بها إلى فرعون وقومه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍۭ بَيِّنَاتٍ﴾[1]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: معاندين للحق مشركين بالله ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنة لا شك فيها ولا ريب ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هذه إشارة إلى قول فرعون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[2] كما تقدم.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ أي: جحدوا هذه الآيات جهارا بعد أن أعماهم الكبر والضلال ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: أيقنوا في أنفسهم أن هذه الآيات من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: جحدوها علوا وتكبرا وعنادا، فظلموا بذلك أنفسهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا نبينا محمداً كيف كان عاقبة فرعون وقومه وما أصابهم من

---

(١) سورة الإسراء من الآية ١٠١ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٣٤ .

الغرق في البحر وذهاب جناتهم التي كانوا يتنعمون فيها وفيما حدث لهم عبرة لقومك إن لم يؤمنوا بما جئت به ويصدقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: مشروعية الاستطلاع عن الأحوال التي تهم الإنسان وعائلته أو قومه بوصفه قيِّما على أهله أو مندوبا عن قومه أو رئيسا فيهم ومسؤولاً عنهم. وفيها: تقرير أن الله تجلى في البقعة المباركة وكانت مناجاته لموسى لتكليفه بالرسالة إلى فرعون وقومه. وفيها: أن الظلم يلازم نفس الظالم فيكون هاجسا له خشية من عقوبته إلا إذا تاب إلى الله وأقلع عن الظلم، فإن الله يغفر له فتطمئن نفسه من شعوره بوعد الله له بالمغفرة. وفيها: تقرير أن الأنبياء والرسل لا يخافون؛ لأن الله وعدهم بالنصر والتمكين بعد صبرهم في دعوتهم. وفيها: تقرير أن الكافرين والمشركين يوقنون بآيات الله في أنفسهم ويعرفون أنها حق، ولكن الشيطان يضلهم فيجحدونها علوا واستكبارا أو خوفا من ضياع مصالحهم وذهاب رئاستهم في قومهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ

يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عما أنعم به على داود وابنه سليمان من النعم الكثيرة فقد أعطاهما الرسالة في الدين، فجعلهما نبيين إلى قومهما وعلمهما الحكمة وصناعة الحديد إضافة إلى سعادتهما في الآخرة لكونهما من أنبياء الله الحاملين لرسالته ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ومقابلة لتلك النعم التي أنعم الله عليهما بها بيَّن الله أنهما حمداه وشكراه على ما أنعم به عليهما وفضَّلهما على كثير من العباد ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي: ورث منه العلم والنبوة والملك ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ أي: أخبر سليمان أن الله علَّمه لغة الطير وأصواتها وسخر له الإنس والجن والشياطين وعلَّمه أمور الملك وسياسته وغيرها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: فضل الله البيِّن الذي تفضل به عليه وعلى أبيه داود.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: اجتمع لسليمان جنده من هذه الأصناف في نظام وتنسيق لا يتقدم أحدهم على الآخر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ أي: لما مر سليمان وجنوده على وادي النمل قيل: إنه في الشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الزموا مساكنكم فلا تخرجوا أمام هذا الجند الكثير فقد يؤذونكم دون قصد منهم بذلك ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ أي: تعجب من قولها واعتذارها لصاحباتها بأن الجند لا يقصدونهم بالأذى، وإنما لأنهم لا يرونهم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: ألهمني وذكرني أن أشكرك على ما أنعمت علي وعلى والدي بالدين وإخلاص العبادة لك وحدك لا شريك لك وأن أعمل عملا ترضى عنه وتقبله مني ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: إذا قدمت عليك بعد موتي أن تظلني برحمتك وتجعلني من عبادك الذين صلحت أقوالهم وأعمالهم فرضيت عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الوراثة بين الأنبياء تكون بالنبوة لا بالمال

لقول رسول الله ﷺ: (**نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة**)[١]. وفيها: أن الله يتفضل على من يشاء من عباده بفضائل خاصة به دون غيره كما علَّم سليمان لغة الطير وسخر له الإنس والجن والشياطين. وفيها: الإشارة إلى خاصية النمل وذكائه وهذه الخاصية مشهودة في دأبه على جمع رزقه من الطعام في مواسم الحبوب وادخاره لحاجته. وفيها: تقرير أن على المرء أن يشكر الله ويحمده عندما ينعم الله عليه بنعمه.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٩٧، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، برقم (٣٧١٢)، بلفظ: قال «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» .

بيان الآيات:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ أي: نظر إليها بمعنى تعهدها بالنظر ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: لم أر الهدهد وهو أحد أنواع الطيور ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي: بل كان من الغائبين دون عذر ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: سوف أعاقبه بما ينبغي معاقبته به ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بعذر واضح أقبله منه.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: لم يطل غيابه عن الطير ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي قال لسليمان: لقد اطلعت على أمر لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: أتيت لك من مملكة سبأ، وهي مملكة حمير بخبر صادق ثم قال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: وجدت ملكهم امرأة والمراد بها بلقيس المعروفة في التاريخ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أعطيت الكثير من الأموال مما يدل على قوتها ومنعتها ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لها سرير عظيم تجلس عليه، وكان الملوك في ذلك الزمان يفخمون عروشهم للدلالة على عظمة ملكهم وقوته.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ المراد أنهم كانوا من عبدة الشمس والكواكب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أن الشيطان هو الذي جعلهم يسجدون للشمس ولا يسجدون لله فصدهم بذلك عن سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه بسبب ما زينه لهم الشيطان من الضلال. ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ المراد أنه لما زين لهم الشيطان الغي والضلال لم يهتدوا ليسجدوا لله ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الذي يطلع على كل صغيرة في السموات والأرض دقيقها وجليلها ظاهرها وباطنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: ويعلم ما يخفيه الخلق من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنونه منها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: لا تكون العبادة إلا له لأنه الذي لا إله غيره في الوجود وهو رب العرش العظيم الذي لا حدود لعظمته وسلطانه .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل: منها: أن سليمان قد أعطي هذه الخاصية وهي كون جنوده من الإنس والجن والطير. ومنها: أن تفقد الجند واستعراضهم حالة قديمة مما يدل على التوارث في الأفعال بين البشر منذ الأزل. ومنها: أن معاقبة الجند عند مخالفتهم لأمر قائدهم حالة معروفة ما زالت متوارثة. ومنها: أن من البشر من كان يعبد الكواكب، ويتقرب بها لاعتبارات عدة منها: خوفهم منها أو استشعارهم لأهميتها أو لظنهم أنها تنفعهم في حياتهم الدنيا وقد نهاهم الله عن هذا الفعل

وحذرهم منه فقال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]. ومن المسائل: أن الأمم القديمة عرفت رئاسة المرأة وهي من المذمومات ومنها: أن السجود لا يكون إلا لله؛ لأنه خالق المخلوقات ومدبرها ومصرفها المحيط بكل صغيرة وكبيرة في الوجود العلوي والسفلي.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ قال سليمان للهدهد: سوف نتثبت ونتأكد عما إذا كنت صادقا في قولك عن ملكة سبأ وقومها أم أنك كاذب فيما قلت ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ لعل سليمان بهذا صدق الهدهد فيما قال، وذلك حين كتب كتابا إلى ملكة سبأ وقال للهدهد: سلّمه لهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: انتظر قليلا

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٧ .

متخفيا عنهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ أي: ماذا يكون ردّها وردّ قومها على الكتاب، فلما قرأته جمعت قومها ثم ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ أي: قالت لزعماء قومها وأشرافهم: قد وصل إليَّ كتاب كريم ثم قرأته عليهم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ المراد أن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وأنه مستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ أي: لا تتكبروا وتتجبروا اعتزازا بملككم ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ أي: خاضعين لسلطاني، أو يكون المراد كونوا مسلمين لله طائعين له واتركوا عبادة الشمس والسجود لها من دون الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب التثبت من الخبر وما يقتضيه الأمر أحيانا من اختبار المخبر؛ لمعرفة مدى صدقه من كذبه ولهذا قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]. ومنها: مشروعية التخاطب بين الملوك والرؤساء في أمر يكون من مصلحتهم التخاطب فيه، دفعا لما قد ينشأ بينهم من خلاف، ومنها: أن من الأهمية للملوك والرؤساء اختيار الأكفاء في المهمات. ومنها: وجوب -وقيل

---

(١) سورة الحجرات الآية ٦ .

باستحباب- كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) في الرسائل التي يتم فيها التخاطب بين المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم وفي ذلك قول رسول الله ﷺ: **(كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر)**[١]. وفيه أن رسول الله ﷺ كان يفتتح كتبه إلى الملوك بالتسمية ودرج على ذلك الصحابة والسلف الصالح.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ لما قرأت بلقيس الكتاب على قومها استشارتهم وقالت لهم: أشيروا علي في هذا الأمر ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تشيرون علي بما أفعل نحو هذا الكتاب والجواب عليه ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: نحن أقوياء وأشداء إذا اقتضى الأمر محاربة سليمان، ومع ذلك

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٣٥٩، والألباني في إرواء الغليل ج١ ص٢٩، وقال: ضعيف جداً.

تأدبوا معها فلم يفرضوا عليها رأيهم فقالوا لها ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ أي: مع قوتنا وبأسنا واستعدادنا للحرب، إلا أن الأمر متروك لك وما ترينه فيه، فنحن طائعون له.

﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا ﴾ أي: إن الملوك إذا دخلوا قرية بالقوة أفسدوها ودمروها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾ أي: أهانوا أهلها وأذلوهم واستصغروهم ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ أي: يفعل سليمان وقومه هذا الفعل ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي: يبدو أنها كانت عاقلة ولم تكن متعجلة في تصرفها، فحاولت أن تستميل سليمان بإرسال الهدايا له، وقالت لقومها: سننظر ماذا سيكون جوابه للذين يحملون الهدايا له.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل: منها: وجوب استشارة الحاكم رعيته في أموره. وشاهده أيضا قول الله عز وجل ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾[1]. وقوله في وصف المؤمنين ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾[2]. وفيها: أن الاستعداد للحرب يستوجب الاستعداد لها بالقوة المعنوية والمادية. وفيها: الإشارة إلى أن العدو إذا دخل البلاد بالقوة يفسد فيها وهذا مشاهد في الغالب في كل زمان خاصة إذا كان غير مسلم كما حدث في

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الشورى من الآية ٣٨ .

بلاد المسلمين التي دخلتها جيوش التتار والصليبين ولا تزال تدخلها في هذا الزمان كما حدث في بلاد الأفغان وفي العراق من القتل والتدمير وانتهاك الأعراض واستباحة ما في البلاد.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ أي: لما جاء رسول الملكة بلقيس بالهدايا إلى سليمان ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أي: تهدون إليّ مالا ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ أي: عندي من الأموال العظيمة أكثر مما عندكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنكم تحبون هذه الأموال وتفرحون بها، أما أنا فلا أهتم بها وإنما أهتم بدخولكم الإسلام وترككم الشرك ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي قال سليمان للرسول الذي جاء بالهدايا: ارجع إلى من أرسلوك بهديتهم، وقل لهم سوف نأتيهم بجنود لا يستطيعون قتالهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: سوف نخرجهم من بلادهم وهم أذلاء صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المسلم يجب ألا يقبل هدية، أو مالا مقابل مصانعة غير المسلم أو التهاون معه؛ لأن الدعوة إلى العقيدة أهم من أمور الدنيا.
ومن الأحكام: مشروعية التهديد باستعمال القوة ضد العدو أملا في قبول ما طلب منه دون اللجوء إلى استعمال القوة معه وفي هذا قول رسول الله ﷺ: (**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية**)[(١)].

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾

لما أبلغ سليمان رسول بلقيس بما ذكر في الآية السابقة استفسر من أعوانه عمن هو القادر منهم على أن يأتي بعرشها قبل قدومها إليه

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٤٠، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، برقم (٢٩٦٦) .

وقومها وهم مسلمون ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: وهو أحد مردة الجن وأقواهم ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: قبل أن تقوم من مجلسك ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ أي: لدي القوة والطاقة لحمله وأنا أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ذكر أهل التفسير أن الذي قال هذا هو آصف بن برخيا وزير سليمان وكان مستجاب الدعوة، وقد يكون المراد به سليمان نفسه أن يأتي بالعرش قبل ارتداد الطرف، ولهذا دعا هو أو وزيره ربه فاستجاب الله له فكان العرش بين يديه في لحظة ارتداد الطرف ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ أي: لما رأى العرش بين يديه شكر الله وقال: هذا من فضله ونعمه علي ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي: ليمتحنني أأشكره على ما أنعم به علي فأكون من الشاكرين أم أكفر فأكون من الكافرين ثم قال ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: يكون جزاء شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: ومن كفر فإن سوء كفره يرجع إليه، أما الله سبحانه فليس في حاجة إلى شكره؛ لأنه غني في ذاته العلية، كريم يعم بكرمه وفضله عباده المطيع والعاصي منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإشارة إلى أن سليمان كان يستخدم الجن بوصفهم من جنوده الذين سخرهم الله له. وفيها: أن استجابة الله لدعاء عباده يستوجب منهم الشكر له وفائدة هذا الشكر ترجع إليهم؛ لأن الله يزيدهم منه كما قال عز وجل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]. أما الله فهو غني عنهم.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لما استقر عرش بلقيس عند سليمان أراد اختبارها فقال لخدمه: غيِّروا عرشها بما يزيد أو ينقص في شكله لنرى هل تعرفه أو

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

لا تعرفه ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: لما وفدت إلى سليمان سُئلَت عما إذا كان الذي رأته هو عرشها التي كانت تجلس عليه في مملكتها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ وقد دل هذا على قوة ذكائها وفطنتها فلم تقل: إنه هو على وجه التوكيد ولم تنفيه فجعلت جوابها محتملا للإثبات والنفي ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وقد أعجب سليمان بجوابها وعقلها وقال: لقد أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين لله، بينما كانت غير ذلك ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي: منعها من عبادة الله أنها كانت من قوم يكفرون بالله ويسجدون للشمس.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ الصرح هو القصر، وكان تحت ردهته بركة ماء مسقوفة بزجاج شفاف، فلما دخلت كشفت عن ساقيها ظانة أنها سوف تخوض الماء الذي تراءى لها فقيل لها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مملس مكون من قوارير من الزجاج والماء تحته، فلما رأت ما رأته من العجب مما لم تكن تعرفه في بلادها أدركت أنها لم تكن على حق في عبادتها وقومها للشمس ثم قالت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وبهذا تكون قد تخلت عن دينها وأصبحت مسلمة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دليل على أن عبادة غير الله تصد العقل وتصرفه عن إدراك الحق فيتبع الباطل كما قال تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1]. ومن الأحكام: وجوب نظر المرء في نفسه والتفكر في مخلوقات الله حتى لا يكون ضحية لتقليد غيره، ولهذا قال عز وجل في آيات كثيرة من كتابه العزيز ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[3]. وفيها: تحريم كشف المرأة عن ساقيها؛ لأنها كلها عورة سواء كانت مسلمة أم غير مسلمة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٦ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٤ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٣ .

مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أرسل نبيه صالحا إلى ثمود بأن يعبدوا الله ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: فريق آمن بما جاء به صالح، وفريق كفر بما جاء به ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ أي قال لهم نبيهم صالح: لم تعملون السيئات التي تضركم وتتركون الحسنات التي تنفعكم في دينكم ودنياكم؟ ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: هلا تطلبون مغفرة ربكم وتتوبون إليه من الشرك لعله يرحمكم فينجيكم من العذاب الذي سينزل بكم إن لم تتوبوا إليه.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ لما أرشدهم نبي الله صالح إلى الهدى قالوا له: إنا تشاءمنا بك وبقومك المؤمنين بك؛ لأننا لم

نر منكم خيرا ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أجابهم صالح قائلا إن ما أصابكم هو بسبب ذنوبكم وأفعالكم السيئة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون بالخير والشر والمكروه والبأساء والضراء لعلكم تتفكرون وترجعون عن شرككم ومعاصيكم وتتوبون إلى الله مما أنتم فيه.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: كان في مدينة ثمود تسعة نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ المراد أن هؤلاء النفر كانوا قد حملوا لواء الفساد في الأرض أي: في ديار ثمود بحيث كانوا يمنعون قومهم من الاستجابة لدعوة صالح، بل ويحاربون هذه الدعوة، فكانوا أكثر فسادا وأبعد عن الصلاح ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: تعاهد هؤلاء النفر بينهم على قتل صالح وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: سنقول حينئذ لولي دم صالح بأنا لا نعرف مقتله ولا مقتل أهله ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ فيما نقسم عليه فيما ذكرناه عن عدم معرفتنا بمقتله ومقتل أهله.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن هؤلاء النفر مكروا بصالح فقد ذكر أهل التفسير أنه كان لصالح مسجد في الحجر يصلي فيه فخرج هؤلاء إلى

كهف هناك فاتفقوا على أنه إذا قام يصلي قتلوه ثم يعودون إلى أهله فيقتلونهم، فبينما هم يتعاهدون على ذلك سقطت عليهم صخرة من الجبل الذي حولهم فأهلكتهم في الغار وهذا هو معنى قوله ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ أي: انظر يا محمد كيف أهلكنا هؤلاء؛ بسبب مكرهم حين اتفقوا على قتل نبينا صالح وأهله ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أهلكنا هؤلاء النفر التسعة هم وقومهم الكافرين حين أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أصبحت ديارهم مهجورة خاوية؛ بسبب ظلمهم وشركهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن في ذلك دلالة على عظمة الله وقدرته وعبرة للذين يعلمون آيات الله وعظمته.

﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: أنجينا صالحا وقومه المؤمنين من العذاب الذي حاق بثمود المكذبين لنبيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من سوء الكافرين وسفاهتهم وجهلهم أنهم يبادرون بعمل السيئات التي تضرهم ويتركون الحسنات التي

تنفعهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

ومن الأحكام: تحريم التشاؤم، كتشاؤم العرب من بعض النساء والطيور، كالغراب وتشاؤمهم من شهر صفر، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: **(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)**[٢].

ومنها: تحريم الفساد في الأرض، سواء كان مناط هذا الفساد الدين أو أمور الدنيا. ومنها: أن المشركين وسائر الكفرة لا يتورعون عن التآمر على المصلحين بقتلهم أو الكيد لهم ثم ينكرون ما يفعلونه ويقسمون على هذا الإنكار. ومنها: أن المكر يعود على فاعله كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣]. ومنها: الحكم أن ديار الظالمين والمفسدين تكون عرضة للزوال كما قال عز ذكره ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[٤].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ

---

(١) سورة النحل من الآية ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص١٦٧، كتاب الطب، باب الجذام، برقم (٥٧٠٧).

(٣) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ليذكر قومه قصة لوط وهو أنه عليه السلام استنكر على قومه فعل الفاحشة الشنعاء والجريمة النكراء التي تستهجنها الحيوانات قبل البشر بينما هم يأتونها جهارا دون حياء ولا خجل.

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: إنكم ترتكبون ما حرم الله عليكم من اللواط الذي تستقبحه النفوس الشريفة وتتركون ما أحل الله لكم من النساء التي جبلت على حبها الطباع، فأنتم بهذا قوم جهلة فاسدون لا تعرفون معروفا ولا شرعا ولا فضيلة.

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ ﴾ أي: لما سمعوا كلام لوط ونصحه لهم ونهيه لهم عن ارتكاب الفاحشة قالوا: اطردوا لوطا وقومه من دياركم ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ عن فعل الفاحشة ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ المراد أن قوم لوط لما استمروا

على فعلهم القبيح وعجز نبيهم عن اقناعهم أهلكهم الله ونجى لوطا وأهله المؤمنين، واستثنى منهم امرأته وكانت هذه العجوز -كما سبق ذكره- فاسدة تشجع قومها على فعل الفاحشة وكان هلاكهم بما أخبر الله عنه بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ المراد بالمطر حجارة من سجيل أهلكتهم فبئس عاقبة هؤلاء الذين أنذروا بالعذاب، فلم يستجيبوا لنصح رسولهم ودعوته لهم إلى البعد عن الفواحش.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم اللواط بوصفه فاحشة كبرى وجريمة من أشد الجرائم. وكما بيَّن كتاب الله شر هذه الجريمة وإهلاك قوم لوط، بيَّن رسول الله ﷺ أن من يفعلها مطرود من رحمة الله بقوله: (**لعن الله من عمل عمل قوم لوط**)[١]. ومن الأحكام: أن الطغاة في قديم الزمان وحاضره يكرهون قول الحق ويخوِّفون دعاته ويهددونهم بالطرد والعقاب. ومنها: أن الله يهلك الظلمة من خلقه وأن من حكمته وعدله ألا يعذبهم إلا بعد إنذارهم وإمهالهم؛ لكي يتداركوا أنفسهم ويتوبوا إليه، كما أن من لطفه ورحمته بالمؤمنين من خلقه أنه ينجيهم مما يحل بالظالمين من العذاب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص٣٠٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ج٣ ص٢٨٧ .

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً: الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة التي أنعم بها على عباده في أسماعهم وأبصارهم وفي دينهم بما بيَّنه لهم من الأحكام وفي دنياهم بما سخر لهم من المعايش والأرزاق ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أي: وسلام يا محمد على الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله لإبلاغ رسالته

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام أي: أخالق السموات والأرض وخالق الخلق أجمعين خير أم الأصنام والأوثان التي يعبدها هؤلاء؟ وهي لا تنفعهم ولا تضرهم، فالله خير مما يشركون.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: خلق السماء في ارتفاعها بغير عمد ترونها وخلق فيها الكواكب بكل ضيائها، وخلق الأرض بكل ما فيها من المنافع ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: أنزله وقدَّره لخيركم ومعاشكم ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي: أنبتنا بهذا الماء بساتين بما فيها من الزروع والفواكه والأشجار المبهجة ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ أي: ليس لكم القدرة على إنبات هذه الأشجار؛ وإنما القدرة لله الذي خلقكم وخلقها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعَلَ هذه الأفعال، ومن كان هذا فعله هل يعبد معه غيره ؟ حاشا وكلا إن الذي فعلها هو الخالق الواحد، والإلَه الواحد سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: المشركون يساوون به غيره مع أنهم يدركون أنه الخالق الواحد والإلَه الواحد كما قال عز وجل عنهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1].

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: هو الذي جعل الأرض راسية

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٨٧ .

لا تميد ولا تتحرك وجعلها صالحة للسكن والقرار عليها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾ أي: هو الذي جعل الأنهار كبيرها وصغيرها تتخلل الأرض ويستفيد منها الخلق لحياتهم ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالا ثابتة تمنعها من أن تميد ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ أي: هو الذي جعل حاجزا بين البحار المالحة والأنهار العذبة فلا تفسد المياه المالحة المياه العذبة ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: هل فعل هذا إلَه مع الله؟ حاشا وكلا ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيما يفعلونه من عبادة غير الله معه.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: هو الذي يجيب المكروب، وينصر المظلوم، ويغيث المستغيث، ويعيذ المستعيذ، ويكون بعلمه مع الداعي إذا دعاه عند الشدائد والمحن وهو الذي يسمع دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمات الليالي الحوالك ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهو الذي يزيل المحن وينجي من الفتن ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: هو الذي يأتي بالخلائق جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: يقدر على ذلك ويعبد من دونه حاشا وكلا، لا أحد يفعل ذلك إلا هو ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أيها المشركون إنكم قليلا ما تتدبرون وتعقلون وتعرفون أن خالقكم هو الله الذي لا إلَه غيره ولا معبود سواه.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: هو الذي يدلكم على دروبكم، وأنتم تسعون لمعاشكم في ظلمات البر والبحر ذلك بما سخره لكم من الشمس والقمر والنجوم وسائر الأفلاك ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: يرسل الرياح فتثير السحاب، ثم ينزل منه المطر فيكون رحمة لكم في سقياكم وإنبات النبات لكم ولأنعامكم. ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ فعل ذلك ؟ حاشا وكلا، وإنما فعله الواحد الأحد الذي لا يقدر على هذا سواه. ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن الأوثان والأصنام أن تعبد معه.

﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: هو القادر وحده على بدء الخلق لجميع المخلوقات فينشئها من العدم إلى الوجود ثم يعيدها كما بدأها يوم يبعث الخلائق ويقوم الناس له طائعين ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بما ينزله عليكم من السماء من المطر ثم ينبت به النبات من الزروع والثمار وكافة أنواع النباتات لكم ولأنعامكم ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أي: فعل هذا ؟ حاشا وكلا لا أحد يقدر عليه إلا الله الواحد الأحد ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: هاتوا حجتكم ودليلكم على فعلكم في عبادة غيره. قال هذا وهو أعلم العالمين أنهم لن يأتوا بأي دليل ولا برهان على شركهم، وإنما أقام الحجة عليهم يوم يجازيهم على ما سوله لهم الشيطان من الإثم والخطيئة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الحمد لله تعالى والشكر له في كل حال ومشروعية السلام على الأنبياء والمرسلين -على محمد وعليهم الصلاة والسلام- عند مرور ذكرهم تقديرا لهم على إبلاغهم رسالة الله إلى عباده كما قال تعالى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١]. وفيها: تحريم الشرك بالله بأي صورة من الصور، سواء كانت بعبادة وثن أو صنم أو كانت على نحو رياء أو تمجيد لأحد يكون فيه مظنة إشراكه مع الله. وفيها: الحكم بأن الله الذي خلق السموات والأرض المنزل للماء من السماء وأنبت به النبات وأن المشركين يقرون بذلك كما قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٢]. وفيها: الحكم بأن الله هو الذي جعل الأرض قرارا وبث فيها البحار والأنهار وأرسى فيها الجبال كما قال عز وجل ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[٣]. وفيها: الحكم بأن الله هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه عند الشدائد كما قال عزوجل ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ

---

(١) سورة الصافات الآية ١٨١ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٦٣ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٤ .

ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[٢].

وقد روى الإمام أحمد في مسنده: عن رجل من الهجيم قال: قلت يا رسول الله إلامَ تدعو؟ قال: (**أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك بسنة فدعوته أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللت فدعوته رد عليك**) قال قلت: أوصني يا رسول الله. قال: (**لا تسبنّ أحداً، ولا تزهد في المعروف ولو منبسطَ وجهك إلى أخيك وأن تكلمه وأفرغ من دلوك في إناء المستسقي، واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، والله لا يحب المخيلة**)[٣].

وفيها: تقرير أنه لا أحد يهدي الخلق في ظلمات البراري والبحار ويثير السحاب من الرياح إلا الله كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٤]. وفيها: تقرير أنه لا أحد يخلق المخلوقات من العدم إلى الوجود ثم يعيدها

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٧ .

(٢) سورة النحل من الآية ٥٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص٦٥، وج٥ ص٦٣-٦٤، وأبو داود ج٤ ص٢٢، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم (٤٠٨٤) .

(٤) سورة الأنعام من الآية ٩٧ .

إلا الله كما قال عز ذكره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[1].

وفيها: تقرير أن دعاوى المشركين والملحدين باطلة من أصلها لأنها لا تقوم على دليل أو برهان بل هي مجرد أوهام وضلال.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: قل يا محمد لقومك لا أحد يعلم من الملائكة أو الناس الغيب ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: لا يعلمه إلا هو لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فعلمه من اختصاصه وعلمه المطلق ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ولا يعرف أحد من الخلق إنسهم وجنهم وملائكتهم ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يبعثون فهذا من اختصاص الله وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: ضعف علم الخلق عن قيام الساعة ووقتها ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ المراد بهم الكافرون الذين يكذبون بالبعث أحيانا ويترددون في تصديقهم به أحيانا أخرى ﴿بَلْ

(١) سورة الروم من الآية ٢٧ .

﴿هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: إن الكافرين في عمى عن معرفة قيامها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده كما قال عزوجل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]. وقوله ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[2]. وقوله ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[3]. وفيها: أن أهل السموات من الملائكة وأهل الأرض من الناس يتساوون في عدم علمهم بقيام الساعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ أي قال المشركون: إذا تحولنا نحن وآباؤنا إلى تراب بعد موتنا ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ هل نبعث من جديد؟ أي: لن نبعث وهذا يدل على إنكارهم للبعث

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: قيل لنا ولآبائنا هذا القول ولا نراه صحيحا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: أقاويل وكذب الأولين التي دونوها في كتبهم فأصبح بعضهم ينقلها عن بعض ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لهؤلاء المكذبين بالبعث سيحوا في الأرض وانظروا كيف أهلك الله الأمم قبلكم من قوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن كذبوا بالبعث فحل بهم عقاب الله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ بألا يحزن على هؤلاء في عدم استجابتهم لدعوته وتكذيبهم للبعث ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا يضق بك مكرهم ولا يحزنك كيدهم فإن الله سوف ينصرك عليهم لأن العاقبة للمتقين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد أهلك الكافرين الذين أنكروا البعث، وفيها: تسلية رسول الله ﷺ بعدم الحزن على قومه الذين كذبوه، وتسليته كذلك بعدم الضيق من كيدهم ومكرهم لأن الله وعده بالنصر، وهذا هو ما حدث حين انهزم المشركون وساد الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا وفتح الله لرسوله وللمسلمين مدن كسرى وهرقل وغيرها من الممالك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: وزيادة في تكذيبهم بالبعث يقولون: متى يأتي عذابنا إن كنتم صادقين بأن هناك بعثاً؟ وهذا مما يدل على سفههم وجهلهم فإن عدم العلم بيوم البعث لا يدل على عدم حدوثه لأن أجله عند الله لحكمة حكمها وقدر قدَّره ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد، عسى أن يكون قد دنا منكم العذاب الذي تستعجلونه، وقد حدث لهم بالفعل يوم قتلوا شر قتلة وهزموا شر هزيمة يوم بدر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: يا نبينا محمداً إن ربك هو المنعم على عباده المتفضل عليهم بنعمه وعطائه والساتر لهم بستره والراحم لهم برحمته رغم كفرهم. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكره إلا قليل منهم على هذه النعم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: إن ربك يا محمد يعلم مكنونات خلقه في علانيتهم وسرهم وما تخفي صدورهم ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: ما من أمر أو حادث يحدث في السماء والأرض، إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان جهل المشركين وسفههم في استعجالهم العذاب مع استبعادهم له وقد عجله الله لهم في الدنيا حيث قتلوا شر قتلة في غزوة بدر. وفيها: تقرير أن الله يتفضل على عباده بالنعم ويتلطف بهم ويرحمهم ومع ذلك فلا يشكره إلا القليل منهم. وفيها: تقرير أن الله يعلم مكنونات خلقه وما يسرون وما يعلنون كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[1]. وفيها: الحكم بأنه ما من حادث في العالم العلوي أو السفلي إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) سورة طه من الآية ٧ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٠ .

يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ المراد أن كتاب الله بما فيه من البيان والإيضاح يقص على بني إسرائيل وهم أهل التوراة والإنجيل ما وقع بينهم من الاختلاف كما قال تعالى ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وهذا من فضل الله الذي أنزل القرآن على رسول هذه الأمة، فكان أفضل كتب الله لما بيَّنه وفصَّله من أحكام الله في الحلال والحرام وفي أمور الدنيا والدين فحري بهذه الأمة أن تعظم هذا الكتاب وتجعله حَكَمَها ومصدرها في دينها ودنياها؛ فإذا فعلت ذلك لن تكون هدفاً للغزاة والمستعمرين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى من الضلالة لمن اتَّبعه وحكَّمه ورحمة للذين آمنوا به واتبعوا أحكامه بما سينالهم؛ بسبب ذلك من رحمة الله لهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ أي: إن ربك سيقضي بعدله بين بني إسرائيل وبين كل المختلفين المتخاصمين في الدنيا فهو الحكم العدل الذي لا تشتبه عليه اللغات

ولا تختلف عليه الخصومات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ العزيز بقوته، والعليم بأحوال خلقه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: توكل يا نبينا محمداً على الله في دعوتك وإبلاغ رسالتك وفي سائر أمورك فهو معك بعلمه وناصرك من أعدائك ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: تسير على الصراط المستقيم الذي بيَّنه الله لك فلا يضرك من خالفك من الكافرين ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: لا تستطيع أن تسمع الموتى صوتك ودعوتك وهؤلاء المكذّبون لك هم بمثابة الأموات الذين لا يسمعون ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ وكما أن الصم لا يسمعون النداء إذا كانوا مدبرين -وهذا غاية عدم السمع- فإن المكذبين هم مثل هؤلاء في عدم سمعهم.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ﴾ أي: ما أنت يا نبينا محمداً تستطيع أن تهدي من أعمى الله قلبه وبصيرته؛ بسبب كفره فترده عن ضلالته ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: لن يستمع لك إلا الذين آمنوا بآياتنا وصدقوها ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: أسلمت قلوبهم واستسلمت لله رب العالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن هو أفضل الكتب السماوية المنزلة، لاشتماله وبيانه وتفصيله لأحكام الله كما أنه بيَّن اختلاف

بني إسرائيل في توراتهم وإنجيلهم، فقد بيَّن لهم أن عزيرا عبد من عباد الله، وأن عيسى كذلك وأن ما يدعيه بنو إسرائيل والنصارى عن بنوة هذين لله قول باطل وافتراء على الله سيجزون عليه. وفيها: تقرير أن القرآن هدى للمؤمنين ورحمة لهم فيما بينه لهم من أمر دينهم ودنياهم.

وفيها: تقرير أن الله سوف يحكم يوم القيامة بعدله بين المختلفين والمتخاصمين. وفيها: وجوب توكل العبد على الله في مختلف أموره كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]. وفيها: وصف المشركين والكفرة بالأموات الذين لا يسمعون النداء وأن على الدعاة أن يحتسبوا في دعوتهم ويصبروا على أذاهم كما صبر الرسل على أسلافهم.

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ هذا بيان من الله أنه إذا وقع ما أراده من العذاب بالناس؛ بسبب كفرهم وتركهم لدين الله في آخر الزمان أخرج لهم ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: تخرج هذه الدابة من الأرض وهو المكان الذي أراده الله فتكلم الناس عن كفرهم فيعرف الكافر من المؤمن وهذه الدابة من آيات الله وحكمته ليبين للناس حقيقة عملهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأنه في آخر الزمان تظهر للناس دابة تبين ما هم عليه من الكفر وفي حديث مسلم: عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا**)[1].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٤١١، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه، برقم (٢٩٤١).

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه في يوم القيامة يحشر أفواجاً من الناس أي: أقواماً أو طوائف ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: الذين كانوا على مدار الزمان يكذبون بآيات الله، ويستهزئون بها فيكذبون ما جاءت به رسلهم وينكرون البعث والحساب والجزاء ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يرد بعضهم على بعض فوجا فوجا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: إذا حضروا جرى سؤالهم على سبيل التوبيخ والتقريع فيقول الله لهم: أكذبتم بآياتي البينات التي أرسلت لكم ولم تحيطوا بها علما فتعلمون أنها الحق الذي لا ريب فيه أم ماذا كنتم تعملون كما يسألهم عن عملهم الذي عملوه في الدنيا، ولأنهم لم يعملوا العمل الصالح الذي أمروا به يتبين لهم أنهم قد خسروا آخرتهم؛ بسبب سوء أعمالهم في الدنيا، وحينئذ حق عليهم العذاب كما قال عزوجل ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: لا يتكلمون لأنه ليس لهم حجة فيما كانوا يفعلون.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: ألم يعلم هؤلاء بعقولهم وأبصارهم أنا جعلنا الليل سكنا لهم وراحة لأجسامهم

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ أي: جعلنا النهار مضيئا لهم يعملون فيه من أجل معاشهم وأرزاقهم وهذه آيات عظيمة لا ينكرها إلا من سفه نفسه وعميت بصيرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات العظيمة للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بحقيقة بعث الناس يوم القيامة ومساءلتهم عن أعمالهم وجزائهم عليها كل بما يستحقه عن عمله الذي عمله في الدنيا. وفيها: تقرير أن آية الليل والنهار كافية للعلم بقدرة الله وعظمته، فلم يعتبر بها المنكرون للبعث فاستحقوا عقاب الله؛ أما المؤمنون فهم معتبرون بها، وذلك ليقينهم وتصديقهم بالله وما جاءت به رسله من البينات.

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: يوم ينفخ إسرافيل في القرن لقيام الناس للبعث ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: حينما يسمع أهل السموات والأرض هذا النفخ يفزعون من شدة الهول ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إلا من أراد الله بحكمته ورحمته ألا يفزع من هذا النفخ ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ أي: كل من في السموات والأرض يأتون إلى الله وهم صاغرون أذلّة ليشهدوا حسابهم وجزاءهم في ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون.

﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ أي: وفي ذلك اليوم ومن هوله وشدته ترى الجبال ثابتة لا تتحرك بينما هي تمر مثل مرور السحاب من خفتها وتفتت أحجارها ثم تلاشيها ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ أي: كل ذلك يقع بقوته وعظمته ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده من الحسنات والسيئات.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ أي: من جاء يوم عرضه بحسنة؛ فإن الله يجازيه بأحسن منها فيكون جزاؤه عند الله الجنة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ أي: يأتي يوم القيامة وهم آمنون من

أهواله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: من جاء يوم القيامة وليس له حسنة أو كان له حسنات ورجحت بها سيئاته دخل النار مكبا على وجهه والعياذ بالله ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: لا تجزون إلا بما عملتموه في الدنيا، فالمحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يجازى على إساءته وهذا من عدل الله بعباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير واقعة النفخ في الصور؛ لقيام الناس للبعث والحساب كما قال عز وجل ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[١]. وقوله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾[٢]. وقوله ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾[٣]. وفيها: تقرير أن من عباد الله من لا يفزع عند النفخ في الصور. وفيها: تقرير أن الجبال بعد النفخ في الصور تتحول إلى هباء، فيراها الرائي في ذلك المشهد كأنها لا تتحرك، بينما هي تمر مثل مر السحاب لكي تتلاشى. وفيها: الحكم بأن الأمر يوم القيامة جزاء فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بعمله ولا يظلم الله أحدا من خلقه.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥٢ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٥ .

(٣) سورة يس الآية ٥١ .

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للناس: إنما أمرت أن أعبد وأطيع رب هذه البلدة والمراد بها مكة المكرمة وقد ورد النص عليها تشريفا لها ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حراما بتحريمه لها ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ أي: وهو رب السموات والأرض ورب الخلق أجمعين ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي: أمرت أن أكون من المسلمين المستسلمين لله المنقادين له بالطاعة المتبرئين من الشرك به ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ أي: وأمرت أن أبلغ القرآن وأبينه للعباد إنسهم وجنهم ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ فمن سمعني وأطاعني واتبع ما جئت به من الهدى من عند الله فنفع ذلك يعود إليه ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ أي: من عصى واتبع هواه فإنما أنا منذر له من العذاب أما حسابه فعند الله.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: قل يا محمد إن الحمد لله الذي أنعم على عباده بما أنزله عليهم من البينات فلا يجازي أحدا منهم إلا بعد أن تقوم الحجة عليه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: العليم بأفعالكم، الشاهد عليكم بما أسررتم وما أعلنتم فله الحمد والمنة في كل حال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله حرم مكة المكرمة كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (**إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بتحريم الله إلى يوم القيامة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي قط إلا ساعة من الدهر لا ينفّر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد**)[1]. وفيها: الحكم بأن الله أمر نبيه محمدا ﷺ أن يكون من المسلمين وقد فعل ذلك فهو نبي الإسلام ورسوله، والأمر له أمر لأمته أن يستقيموا على هذا الدين. وفيها: تقرير أن من عمل شيئا يعود نفعه أو ضرره عليه.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٧ ص٦٢، كتاب المغازي، باب أحاديث أخرى عن الفتح، برقم (٤٣١٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: هذه الآيات التي نزلت عليك يا محمد هي آيات كتاب الله المبين في أحكامه وقصصه ومعارفه ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: سوف نقص عليكم ما حدث لموسى مع فرعون ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكي يتدبروا ويعتبروا ويزدادوا إيمانا ويقينا بأن العاقبة للمتقين والخسران للكافرين ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

أي: طغى وتجبر وتكبر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: طوائف يميز كل طائفة عن الأخرى ويتصرف فيهم كما يريد ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أي: يقتلهم خشية أن يكون فيهم الولد الذي يخشى أن ينزع منه ملكه ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ أي: يُبقيِّهن ليكنّ خادمات له ولقومه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: كان فاسدا في عمله وتصرفه وطغيانه.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل، فقد كانوا مؤمنين خلافا لأهل زمانهم وقد أراد الله أن ينقذهم من فرعون وطغيانه ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: في الدين ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: نجعلهم يرثون البلاد التي سيرحلون إليها من مصر كما قيل والمراد إذا كانوا صالحين ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما داموا طائعين لله ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ أي: نري فرعون ووزيره هامان وجنودهما ما كانوا يحذرونه من بني إسرائيل وخاصة خشيتهم من المولود الذي قيل لفرعون: إنه سيدمر ملكك مما جعله يلجأ إلى قتل ما يولد لهم من ذكر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن العلو والتكبر في الأرض من أفعال الطغاة وعاقبته هلاك أصحابه ودمارهم وخراب ممالكهم. وفيها: تقرير أن

الله يورث الأرض لعباده المستضعفين إذا آمنوا بالله وصدقوا ما جاءت به رسله وصبروا على ما ينالهم من الأذى في سبيله. وهذا هو ما حدث لرسول الله ﷺ وقومه فقد كانوا قلة مستضعفين في مكة ولما صبروا على دين الله وتوكلوا عليه أورثهم أرض المشركين وممالكهم فكانت لهم العزة والسيادة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أي: أبلغت عن طريق الإلهام أو عن طريق ملك -الله أعلم- أن أرضعيه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أن يقتله فرعون وقومه ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: نيل مصر بعد أن تضعيه في صندوق ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ أي: لا تخافي عليه من الضياع، ولا تحزني على إلقائك إياه في النيل ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾

أي: سنرجعه إليك ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: سيكرمه الله بالرسالة ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي: أخذه رجال فرعون وسلموه لامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وما علم آل فرعون أن هذا الصبي سيكون عدوا وحزنا لهم، لِمَا قدَّره الله وقضى به وهم لا يشعرون ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا ظالمين فأراد الله أن يجعل من موسى عدوا لهم وسوف يحزنون مما ستؤول إليه حالهم بعد أن يكبر هذا الصبي ويبدأ في إبلاغ رسالته إلى فرعون وقومه.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ هذه مقالة امرأة فرعون لما رأت أن زوجها يكره موسى، بل كان يهم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فأرادت أن تحببه إليه وتنقذه من القتل بقولها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أي: يكون خادما يفيدنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي: أن يكون لنا ولدا نتبناه وذلك أنه لم يكن لهما ولد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لم يكن فرعون أو زوجته أو رجال فرعون وقومه يشعرون بما سيؤول إليه أمر هذا الصبي وما قدَّره الله من نهاية فرعون وظلمه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله إذا قضى أمرا وقع لا محالة؛ ليكون

في هذا عبرة للعباد فيعتبر به المؤمن ويغفل عنه العاصي فيترتب الجزاء على كل منهما بحسب عمله، وفي تربية موسى في قصر فرعون المثال الأوفى. وفيها: الحكم بأن مآل الظلم الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة. وفيها: أن النية الحسنة توصل صاحبها إلى مراده رغم كل الأسباب المانعة، فإيمان امرأة فرعون جعلها تدافع عن موسى، مع أنها لا تعرف ما سيؤول إليه أمره فكان حسن نيتها سبباً لإيمانها ونجاتها وجزاء الله لها ببيت في الجنة كما قال عز وجل ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) سورة التحريم الآية ١١ .

بيان الآيات:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ لما ألقي موسى في النيل أصبح قلب أمه خاويا من كل شيء إلا من التفكير فيه حالها في ذلك حال الأم التي يتعلق قلبها بولدها لما وضعه الله من محبة الوالد للولد ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ أي: من شدة ما كانت تعانيه من الحزن عليه أن تظهر ذلك للناس ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلا أن الله ثبت قلبها فصبرت على فراق ولدها وآمنت بما وعدها الله به من إرجاعه إليها وأنه سيكون من المرسلين ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ أي: أمرت أخته أن تقص أثره وأن تتبعه من كل جانب حتى تعرف مكانه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ أي: رأته على حذر حتى تأكدت أنه دخل الماء الذي ينتهي إلى القصر ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لم يكونوا يشعرون أنها أخته حين كانت تلاحظ سيره في الماء.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ لما استقر موسى في القصر كان لابد له من رضاعة فعرضوه على المرضعات التي في القصر فلم يقبل ثدي أي منهن، وذلك لأن الله حرم عليه المرضعات من غير أمه فذهبوا به إلى السوق، لعلهم يجدون مرضعة يقبل ثديها، فلما لاحظت أخته أنهم يبحثون عن مرضعة له ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ

أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ أي: لما قالت هذه المقالة شكوا في معرفتها له وقالوا لها: وما يدريك عن نصحهم له؟ فقالت: إن قصدي هو أن أهل البيت الذين يكفلونه ناصحون للملك ويحبون خدمته بكفالة هذا الصبي، وهنا وافقوا وذهبوا معها إلى بيتهم فلما أعطته أمه ثديها التقمه، فسروا لذلك وهنا عرضت زوجة فرعون على أمه أن تقيم معها في القصر لإرضاعه فاعتذرت عن ذلك مبدية استعدادها لإرضاعه في بيتها، فقبلت زوجة الملك بذلك فعادت به أمه ليستقر عندها وهو معنى قوله تعالى ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ أي: تسكن به ولا تحزن على فراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي ولتؤمن بأن ما وعدها الله به من رده إليها حق وصدق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلمون مراد الله وتدبيره في خلقه، ولهذا ما كان أحد يعرف وعد الله لأم موسى، وأن الفتاة التي كانت تقص أثره هي أخته وأن الأم التي قبل ثديها هي أمه فهذا كله من تدبير الله وكرامته لموسى ورسالته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حنان الأمومة وعاطفتها وأن الولد يكون قرة عينها حتى لو لم يكن برّاً بها فرغم علم أم موسى بوعد الله لها برده

إليها وأنه سيكون من المرسلين، إلا أنها رغم تصديقها بذلك كانت تعاني من إلقائه في النيل. وفيها: الحكم بأن قضاء الله نافذ وأن وعده حق وأنه لا يخلف الميعاد.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: لما بلغ مبلغ الرجال وشدتهم واستوى عقله ونضجه ربما قارب الأربعين من عمره ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: أوتي النبوة بما فيها من التكليف ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزي كل محسن كما جزينا موسى وأمه ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أي: في وقت يكون فيه راحتهم كوقت القيلولة والمراد بالمدينة إحدى قرى مصر قيل

إنها منف[١] وهي مصر نفسها ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي: يتشاجران ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: أحدهما من بني إسرائيل والآخر من الأقباط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: طلب منه الإسرائيلي مساعدته على قتال القبطي ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: ضرب موسى القبطي بكفه فقتله ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ أي قال موسى: إن ما عملته كان من تزيين الشيطان وإغوائه؛ لأنه عدو يضل ويغوي ثم استغفر موسى ربه عما عمله وأقر بأنه ظلم نفسه وطلب منه أن يتجاوز عن خطيئته بقوله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ قوله ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ أي: استجاب دعاءه وسَتَر له ذنبه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: يغفر لعباده ذنوبهم إذا تابوا منها ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم إذا أخلصوا له هذه التوبة منيبين إليه.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ أي: بما أفضلت به علي من العلم والحكمة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ أي: ناصرا ومعينا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين بك والمخالفين لأحكامك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله ينعم على أنبيائه ورسله بالنبوة بما

---

(١) في مصر حالياً محافظة تسمى المنوفية.

فيها من العلم والحكمة ليكونوا مبلِّغين لرسالاته عارفين بأحكامها.

وفيها: وجوب إغاثة المظلوم إذا كان حقا مظلوما وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**أنصر أخاك ظالما أو مظلوما**) فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ قال: (**تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**)[١]. وفيها: وجوب التوبة من الخطيئة كما قال عز وجل ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]. ومن شروط التوبة: الاعتراف بالخطيئة والندم عليها والعزم على عدم العودة إليها.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لما قتل موسى القبطي أصابه

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٣٣٨، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه .. برقم (٦٩٥٢) .

(٢) سورة النور من الآية ٣١ .

الوجل فأصبح يترقب ما قد يحدث له من آل فرعون من سوء، وبينما هو على تلك الحال ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: سمع الإسرائيلي الذي ناصره من قبل يستنجده مرة أخرى على شجار حدث بينه وبين قبطي ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: كثير السوء مختلق للشر ثم عزم موسى على نصرته ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ والمراد به القبطي ظن الإسرائيلي أن موسى يريد قتله لما قال له ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كما قتلت القبطي يوم أمس تريد أن تقتلني كذلك؛ لأنه لم يكن أحد يعلم بتلك الحادثة إلا هو وموسى إلى قوله ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ أي: قال الإسرائيلي: إنك بقتلك القبطي ومحاولة قتلي اليوم تريد أن تكون حاكما متجبرا في الأرض ولا تريد الإصلاح فيها. فلما سمع القبطي مقالة الإسرائيلي عن موسى ذهب بها إلى قصر فرعون، فاجتمع قوم فرعون للتشاور بينهم في أمر موسى، وكان من بينهم رجل يكتم إيمانه فأقبل على موسى سرّاً يخبره بما سيفعل به فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الخوف حالة طبيعية خاصة من العدو

الذي لا تؤمن مباغتته لخصمه. وفيهما: الإشارة إلى أن لصاحب العقيدة أو الملة أن يستنجد بأخيه فيها لكي ينصره من عدو لهما أو لأحدهما. وفيهما: الإشارة إلى غباء الإسرائيلي حين ظن أن موسى يريد قتله مما جعل خصمه القبطي يبلغ فرعون عن موسى.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ أي: لما عرف مؤمن آل فرعون ما يحاك لموسى جاءه من أطراف المدينة و﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: أخرج من هذه البلاد إني ناصح لك

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: خرج من مصر وهو منها خائف يترقب ما قد يحدث له من فرعون وقومه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: نجني من فرعون وقومه الظالمين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: سلك طريقا طويلا صعبا ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: يدلني للوصول إلى ماء مدين سالما من فرعون ومن مصاعب الطريق وطوله ووعورته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: لما وصل إلى مدين ورد ماءها وهو أهم ما يتطلع إليه القادم من السفر ليروي عطشه ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ أي: وجد جماعة على الماء يسقون منه ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان أغنامهما من الماء حتى ينتهي الناس من سقياهم خشية مزاحمتهم خاصة الرجال منهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: قال موسى لهما: ما أمركما لا تسقيان غنمكما؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: لن نستسقي إلا بعد أن يفرغ الناس من سقياهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على سقي الغنم فنسقيها نحن ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي: لما عرف وضعهن سقى ماشيتهن ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: استظل بظل شجرة كانت في المكان مما يدل على أن الجو كان حارا ثم سأل ربه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: إن ما تيسره لي من طعام فأنا محتاج إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب نصح المؤمن لأخيه وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(الدين النصيحة)** قلنا: لمن ؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[1]. وفيها: وجوب مساعدة المحتاج إذا لم يكن قادراً على الوفاء بحاجته مما يدخل في باب التعاون على البر والتقوى كما قال عز وجل ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2].

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦٥١، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

(٢) سورة المائدة الآية ٢ .

بيان الآيات:

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ لما ذهبت المرأتان إلى أبيهما وأخبرتاه بما جرى لهما، بعث إحداهما فجاءت إلى موسى مستحية مما يدل على دينها وعفافها ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ لما كان موسى عليه السلام قد سقى لهما متبرعا ولم يكن أجيرا عندهم قالت له بأدب: إن أبي يدعوك ليكافئك على مساعدتنا في سقي غنمنا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ أي: لما جاء إلى أبيهما وأخبره بأمره وما كان له في أرض مصر ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: طمأنه وأمنه وقال له: لا تخف من فرعون وقومه فنحن مستقلون عنه ولا علاقة له ببلدنا.

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ أي: أشارت على أبيها أن يستأجر موسى ليعمل عندهم ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ أي: وعندئذ سألها أبوها عن علمها بقوته وأمانته فقالت: إنه رفع صخرة ثقيلة لا يستطيع حملها إلا عدد كثير من الرجال كما أنه قال لي: كوني من ورائي، فإذا لم اعرف الطريق فارم لي بحصاة أعرف بها مسار الطريق، وقيل: إنه قال لها: كوني ورائي؛ لأنها كانت أمامه وهبت الريح فكشفت عن ساقيها فهذا من أمانته.

وقد أعجب شعيب عليه السلام بجواب ابنته ثم قال لموسى ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ أي: عرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ المراد أن ترعى غنمي لمدة ثمان سنوات فإن زدت اثنتين لتكون عشرا فالأمر إليك ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: لن أشق عليك في طلب عشر السنين، كما لن أشق عليك في العمل بل ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين يحبون الخير لغيرهم ويوفون بعهودهم ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ أي: سوف أوفي بما قلته في هذه الإجارة، أي المدتين أتممت سواء العشر أو الثمان سنوات وأنت تفي فيها كذلك ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ أي: لا حرج ولا إثم عليَّ في أيِّ المدتين أتممت ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ أي: شاهد علينا فيما تشارطنا عليه في هذه الإجارة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات فضيلة حياء المرأة من الرجال وأن المؤمنات من النساء هن اللاتي يسترن وجوههن ولا يختلطن بالرجال، بل يستحين منهم ولا يتكلمن معهم إلا لداعي الضرورة مع التزام الحياء وخفض الصوت كما قال عز وجل لنساء النبي ﷺ - وهو أمر عام لنساء

المسلمين - ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[١]. وما كان فعل ابنتي نبي الله شعيب وحياؤهما من موسى إلا صفة للمؤمنة التي عرفت أحكام الله وعملت بها. وفيها: أن من المشروع أن يعرض الرجل تزويج ابنته من الرجل الذي يعرف دينه وأمانته كما فعل شعيب وكما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان ثم على رسول الله ﷺ الذي تزوجها فكانت إحدى أمهات المؤمنين[٢].

ومن الأحكام: مشروعية الإجارة للعمل، وأن كفاءة المأجور وقوته وأمانته شرط في الإجارة. ومنها: وجوب الإشهاد على العقود كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ إلى قوله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية[٣]. ومنها: مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود لما يكون في ذلك من استشعار المتعاقدين بوجوب أمانتهما في القيام بما اتفقا عليه كما قال رسول الله ﷺ في المتبايعين: **(إذا صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)**[٤].

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٨٩، ١٠٨، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي وباب تفسير ترك الخطبة، برقم (٥١٢٩، ٥١٤٥) .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٢ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٣٦٢، كتاب البيوع، باب إذا بيَّن البيعان ولم يكتما ونصحا، برقم (٢٠٧٩).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَٰمِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: الأكمل من الأجلين المشار إليهما في الإجارة ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ آملا في العودة إلى مصر بعد غياب طويل محاولا التخفي من فرعون حين يقدم إليها ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أي: تراءت له نارٌ يراها من بعيد ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ سوف أذهب لأراها ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: يتبين لي من خلالها معرفة الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: قطعة من النار ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون منها

وفي هذا دليل على أنهم كانوا يعانون من البرد.

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ أي: من جانب الوادي الأيمن مما يلي الجبل ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وكانت النار تلوح في شجرة خضراء بارزة في سفح الجبل فناداه الله بقوله عز وجل ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أنا الإلَه الذي لا إلَه غيره وأنا رب العالمين الذين لا رب لهم سواي ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ أي: ارم عصاك التي تحملها في يدك ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ أي: لما رآها تتحرك مثل الجان في حركاته، وأنها أصبحت تضطرب وتتحرك على نحو سريع ومخيف ذهب بعيدا عنها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: لم يلتفت لفزعه منها ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ لما سمع هذا النداء توقف في مكانه فقال الله له ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي: أدخل يدك في قميصك ثم أخرجها منه، وحينئذ ستراها بيضاء شديدة في لمعانها من غير أن يكون فيها مرض كالبرص ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ أي: ضع يدك على صدرك، والمراد أن يهدأ بذلك روعه ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ المراد أن إلقاء العصى وتحولها إلى ثعبان وإدخال موسى يده في جيبه وخروجها بيضاء من غير سوء هما: آيتان من آيات الله تدلان على عظيم قدرته، كما أنهما آيتان للدلالة

على نبوة موسى ورسالته ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ المراد به حاكم مصر آنذاك وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ أي: عاصين لله مستكبرين عن عبادته وظالمين لعباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الوفاء بالشرط الذي يشرطه الإنسان على نفسه؛ لأن الشرط عهد، ومن الواجب الوفاء بالعهد كما قال عز وجل ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[1]. وفيها: أن حمل العصا أمر مشروع كما قال عز وجل عن موسى ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[2]. وفيها: الإشارة إلى أن وضع اليد على الصدر حال الخوف يهدئ بإذن الله من روع القلب.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ لما أمر الله موسى أن يذهب

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٢) سورة طه الآية ١٨ .

إلى فرعون لإبلاغه الرسالة استذكر قتله القبطي وما قد يتعرض له من القتل، بسبب تلك الحادثة كما قال ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ثم قال لربه ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أي: أقدر على الدعوة مني؛ لكونه أفضل مني في البيان والفصاحة. ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أي: يكون معينا لي على دعوتهم ويصدقني فيما أدعوهم إليه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ أي: أخشى ألا يصدقوني حين أبين لهم الرسالة ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سوف نجعل أخاك هارون معينا لك، يقوي دعوتك ويصدق مقالتك ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ أي: سنجعل لكما دليلا وبرهانا تغلبونهم به ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أي: لن يكون لهم سبيل إلى إيذائكما ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ أي: إنك أنت وأخوك ومن يتبعكما ستغلبون فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإشارة إلى أن عقوبة القاتل معروفة في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية، ولهذا فهم موسى عليه السلام أن القبط سوف يقتصون منه. وفيها: أن من يكلف بمهمة يقوم بها يحق له سؤال من كلفه ببذل المساعدة له، كما طلب موسى من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ أي: لما عرض موسى على فرعون وقومه ما معه هو وأخيه هارون من الآيات الواضحة، وهي آية العصا، وآية اليد، وغيرهما من الآيات ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ أي: إن ما أتيتما به ما هو إلا سحر مختلق ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: لم نسمع من آبائنا الأولين مثل ما أنتم تقولون الآن ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ هذا جواب موسى لفرعون، والمراد أنكم إذا لم تقبلوا ما جاءكم من البينات، فالله يعلم من هو الذي جاء بالهدى هل نحن أم أنتم؟ وسيحكم بيننا وبينكم ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ﴾ أي: وستعرفون من تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة أنتم أم نحن ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا ينتصر ولا يعز المشركون والكافرون.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الطغاة لا يحبون سماع الحق، بل يلجؤون إلى اتهام من يدعوهم بمختلف الأوصاف التي يرون أنها تقلل من دعوتهم. وفيهما: تقرير أن من الواجب الرفق في الدعوة حتى لو كان المدعو طاغية وشاهده قول الله عز وجل ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]. وفيهما: الحكم بأن الظلمة والطغاة لا يمكن أن يكون لهم فلاح أو وجود مهما طالت مدة طغيانهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ لما رأى فرعون سوء حيلته أمام قومه بعد ما جاءه موسى بالبينات وألان له في القول قال لهم بأنه لا يعلم أن هناك إلَها غيره، وحتى يبعد عن قومه أي تفكير فيما جاء به موسى قال لهم: سوف أتأكد من زعم موسى أن هناك إلَها غيري لهذا أمر وزيره هامان أن يتخذ له لبنا من الآجر ليبني له قصرا عاليا ليطلع إلى الله كما حكى الله عزو جل عنه ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وقوله في الآية الأخرى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[1]. ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[2].

قوله ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: يريد أن يقول إن موسى كاذب في قوله؛ لأن فرعون يقول لقومه: ليس هناك رب غيري كما قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[3]. والأعجب أن قوم فرعون قد صادروا عقولهم وصدقوه وآمنوا بما كان يقوله لهم من الكذب الفاضح مما يدل على

---

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .

(٢) سورة غافر من الآية ٣٧ .

(٣) سورة النازعات من الآية ٢٤ .

سفاهتهم وجهلهم وخفتهم كما قال عز وجل ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾[١]. فاستحقوا بذلك جميعا عذاب الله كما قال عز وجل ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[٢].

قوله ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عتا وتكبر هو وملؤه في أرض مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بتكذيبه موسى وما جاء به من الآيات البينات الدالة على نبوته وصدقه ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ أي: اعتقدوا أنهم لن يبعثوا يوم القيامة ويحاسبوا على كفرهم وطغيانهم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ أي: أهلكناه وجنوده بالغرق في البحر في أسوإ ميتة وأكبر خزي لهم في الدنيا والآخرة ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: انظر يا نبينا محمداً كيف كانت عاقبة هؤلاء الظالمين وما آلوا إليه وحذِّر المشركين مما قد يصيبهم مثل ما أصاب فرعون وقومه.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ أي: جعلنا فرعون وقومه أئمة في الكفر والطغيان لمن عمل مثل عملهم وسلك طريقهم في الاستكبار عن دعوة الله وتكذيب رسله ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: لن يجدوا يوم القيامة وليا يواليهم أو ناصرا

---

(١) سورة الزخرف الآية ٥٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٤٦ .

ينصرهم ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ أي: وزيادة على عذابهم في الآخرة أتبعهم الله لعنة يلعنهم المؤمنون جزاء جحودهم ربوبية الله وألوهيته ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ أي: المبعدين من رحمة الله بما أصابهم من غضبه ومقته.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المراد به التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: بعد أن أهلكنا الأمم السابقة من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كذبوا رسلهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: ضياءاً للذين أرسل إليهم وهم بنو إسرائيل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ لمن يؤمن ويعمل به منهم ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يعرفون أن هذا الكتاب بصيرة لهم من العمى وهدى ورحمة لهم من الضلال، إن هم آمنوا وصدقوا وعملوا بما فيه ولكنهم للأسف لم يفعلوا فغضب الله عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن فرعون يعترف في نفسه بربوبية الله كما قال الله عز وجل ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1].

وما منع فرعون من الاعتراف بربوبية الله علانية وتصديق موسى إلا الطغيان والضلال، وخشيته من أن ينقلب عليه قومه فيضيع ملكه.

---

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

وفيها: تقرير سفاهة الطغاة وافترائهم على أممهم والتلبيس عليهم بزعمهم القدرة كما فعل فرعون من أمر وزيره هامان ببناء يطلع منه إلى الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا). وفيها: الحكم بأن مصير الطغاة والظلمة الهلاك. وفيها: أن الطغاة والظلمة يكونون أئمة لمن يصدقهم ويتبعهم فتكون أوزارهم مضاعفة كما قال عز وجل ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: ما كنت يا محمد بجانب الطور

(١) سورة العنكبوت الآية ١٣ .

الغربي ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: حين قضائنا له وهو إرساله بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: ما كنت شاهدا على ما حدث لموسى، ولكنا أخبرناك بما جرى له. ولما كان المشركون يقولون: إن رسالة محمد ﷺ حادثة ولم تكن قد سبقتها رسالة إلى آبائهم، بيَّن الله أنه أرسل موسى على حين فترة من الرسل بعد هلاك الأمم السابقة من قوم نوح وهود وصالح ولوط، وقد نشأ بعد موسى أقوام طالت بهم الحياة فنسوا دين الله واندرست معالمه فكانت بعثة محمد ﷺ ورسالته تدعو إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك به وهو معنى قوله عز وجل ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالت بهم الحياة فنسوا أحكام الله فأنزلنا عليك الذكر لإبلاغ رسالتنا وقصصنا عليك خبر موسى ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: لم تكن يا محمد مقيما في مدين حتى تعرف قصة موسى مع شعيب ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ والمراد أنك عرفت ما حدث لموسى وإجارته مع شعيب وإقامته عشر سنين مدة هذه الإجارة ولم يكن في مقدورك أن تعرف هذا إلا لأنك رسول من عندنا قصصنا عليك ما حدث.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي: حين نادينا موسى وبعثناه إلى فرعون وقومه يبلغهم رسالتنا وهي عبادة الله وحده لا

شريك له، ولأنك لم تكن بجانب الطور حين نادينا موسى ولم يكن في إمكانك أن تعرف ما حدث إلا بعد أن أوحينا إليك به فكان ذلك دليلا على رسالتك ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فكانت رسالتك القاطعة رحمة من ربك لكي تنذر قومك؛ لأنه لم يسبق أن جاءهم نذير من قبلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ماجئت به إليهم ليكون في ذلك خيرهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي: وكما كان إرسالك رحمة لهم فهو حجة قاطعة عليهم إذا جاءهم العذاب فلا يقولون حينئذ لم يأتنا رسول يبلغنا ما يجب علينا أن نأتمر به وينهانا عما يجب أن ننتهي عنه وهو معنى قولهم ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بقطعية نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ فقد أوحى الله إليه أخبار وقصص الأنبياء والأمم التي لم يكن شاهدا أو حاضرا لها كما قال عز وجل ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[1]. وقوله ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ

(١) سورة هود من الآية ٤٩ .

﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾[١]. وفيها: أن نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام كانت في وقت اندرست فيه معالم الدين، وساد فيه الجهل وعم البلاء فبعثه الله رحمة للعالمين كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]. وفيها: أن الغاية من إرسال الرسل إلى العباد ومنهم محمد ﷺ هي دعوتهم إلى الهداية، فإن آمنوا فقد اهتدوا وإن تولوا قامت الحجة عليهم بما قد يصيبهم من عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا﴾ لما بيّن الله حال المشركين الذين سيحتجون إذا جاءهم العذاب بأنه لم يأتهم رسول قال عز ذكره إنه

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

لما جاءهم الحق وهو محمد ﷺ يحمل رسالة الله ويبلغهم إياها قالوا ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ ومرادهم أن يكون له مثل الآيات التي كانت لموسى وهي العصا واليد وإغراق فرعون في البحر حتى نؤمن به ونصدقه، وقد رد الله عليهم حجتهم الكاذبة؛ ذلك أن كفار قريش لما بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا وعرفوا أن صفة رسول الله ﷺ قد وردت في التوراة وأنه رسول من عند الله فزعوا فكذبوا التوراة وقالوا: إن التوراة والقرآن تعاونا على السحر وفي ذلك قال الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: قل لهم هاتوا كتاباً من عند الله أهدى من التوراة والقرآن أتبعه إن كنتم صادقين والله يعلم أنهم أعجز وأضعف من أن يفعلوا ذلك ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ أي: لم يأتوا بكتاب مثلهما وهذا مؤكد ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ﴾ أي: ليس لديهم حجة ولا برهان وإنما يتبعون أهواءهم التي سولها لهم الشيطان ليضلهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: ليس ثمة أضل وأعمى ممن يتبع هواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يدلهم على سبيل الهدى والرشاد

بسبب ظلمهم وكفرهم ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: فصلنا للمشركين من كفار قريش أخبار من سبقوهم من الامم ومن نُجِّيَ منهم بسبب إيمانه واتباع ما جاء به رسوله ومن هلك منهم؛ بسبب كفره وتكذيبه لرسوله. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون بما سمعوه فيؤمنوا بالله ويتقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين المكذبين لرسل الله يكفرون بالكتب المنزلة. وفيها: أنهم أعجز وأضعف من أن يأتوا بمثلها كما قال عز وجل ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وفيها: أن المشركين والكافرين إنما يتبعون أهواءهم، وأنه ليس هناك أضل وأعمى ممن يتبع هواه كما قال عز وجل ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[2]. وفيها: الحكم بأن الله فصَّل للمشركين أخبار الأمم الماضية وما أصاب بعضها من الهلاك بسبب تكذيبهم لرسلهم لعلهم يعتبرون.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ (٥٣) أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ (٥٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ المراد أن الذين أوتوا التوراة فآمنوا بها وصدقوها ولم يبدلوها يؤمنون بالقرآن ويصدقونه ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ أي إذا قرئ عليهم قالوا: آمنا به أي: صدقناه كما أنزل من ربنا ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴾ أي: كنا قبل نزوله مسلمين لله بقلوبنا وجوارحنا. وقيل في سبب نزول هذه الآية: أن النجاشي لما بعث سبعين من القساوسة إلى رسول الله ﷺ قرأ عليهم ﴿ يسٓ ﴾[1] ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[2] حتى أتمها فجعلوا يبكون ثم أسلموا[3].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ أي: كتب الله لهم هذا

---

(١) سورة يس الآية ١ .

(٢) سورة يس الآية ٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣٨٠ .

الأجر المضاعف بما صبروا؛ لأنهم آمنوا بما أنزل من الكتاب التوراة والإنجيل قبل القرآن ثم لما نزل القرآن آمنوا به كما فعل عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب الذين آمنوا برسالة رسول الله ﷺ وبما جاء به ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: من صفات هؤلاء أنهم يعفون ويتسامحون في تعاملهم فلا يقابلون السيئة بالسيئة، وإنما يقابلون السيئة بالحسنة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: لا يبخلون بما آتاهم من المال على أهلهم وأقاربهم وعلى المحاويج من المسلمين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: يعرضون عن الكلام الذي لا فائدة منه مما يكون مدعاة للقول الباطل ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: إذا تعرض لهم أحد بسفه أو جهل أعرضوا عنه، فلم يقابلوا سوءه بسوء، بل يعاملونه بالكلمة الطيبة ويقولون له إننا لا نتحدث ولا نتعامل مع الجاهلين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الكتابي الذي يؤمن بنبيه ويؤمن بمحمد ﷺ. وفي حديث أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: (**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين .. ومؤمن من أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي ﷺ**) الحديث[1]. وفيها: تقرير فضل الصبر كما قال

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٦٩، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، برقم (٣٠١١) .

عزوجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١]. وفيها: فضل مقابلة السيئة بالحسنة كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢]. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣]. وفيها: فضل النفقة من المال الحلال على الأهل والأقارب والمساكين ومحاويج المسلمين. وفيها: وجوب الإعراض عن أهل اللغو وعدم التعامل مع السفهاء والجاهلين كما قال عز وجل في وصف المؤمنين ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[٤]. وقوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[٥].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧٢ .

(٥) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد إنك لا تستطيع أن تهدي إلى الحق من تحب، وإن الذي عليك هو البلاغ له وقد نزلت هذه الآية -كما سبق ذكره- في عم رسول الله ﷺ أبي طالب فلما حضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: (**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله**) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرض عليه الشهادة ويقولان له نفس مقولتهما، فأطاعهما وأبى أن ينطق بالشهادة فقال رسول الله ﷺ: (**والله لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عنك**) فنزل عليه قول الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[1]. كما أنزل قوله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٤١، والآية في سورة التوبة من الآية ١١٣ .

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ أي: هو الذي يهدي من يشاء من عباده ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي: هو العليم بمن يتبع الحق فيهديه ومن يتبع الباطل فيضله ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ أي: قال الكفار معتذرين لرسول الله ﷺ عن عدم إيمانهم قائلين بأننا نخشى على أنفسنا إذا آمنا؛ لأن العرب المشركين سوف يؤذوننا ويكيدون لنا ويخطفوننا من أرضنا وقد كذبهم الله بقوله عز ذكره ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي: أنهم لم يكونوا صادقين؛ لأن الله حرم البلد الذي يقيمون فيه وهو مكة ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: يحمل إليه من كل الثمرات التي تنبت في الأرض التي حوله ﴿رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رزقا لأهله من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لا يعرفون الحق ولو عرفوه لما عملوا به، ولهذا قالوا مقالتهم التي يعتذرون بها وهم كاذبون ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ أي: لقد أهلكنا كثيرا من الأمم التي أنعم الله عليها بنعمه مثل عاد وثمود ثم كفرت بهذه النعم ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي: وبسبب هلاكهم بادت ديارهم فلم تبق إلا آثارها لتكون عبرة للمؤمنين ﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ أي: نرث الأرض ومن عليها.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ أي: ما كان

ربك يا محمد ليهلك أهل القرى والمراد بهم الأمم حتى يبعث في أمها أي: مكة ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ والمراد به رسول الله ﷺ فقد بعثه الله من مكة وأنزل عليه القرآن ليتلوه على العباد لكي يؤمنوا بالله وحده ويتبرؤوا من الشرك به ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي: إن الله لم ولن يهلك أهل بلد إلا بسبب ظلمهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا أحد يستطيع، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أن يهدي أحداً إلا إذا كان الله قد هداه كما قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1]. وفيها: الحكم بأن الله حرم مكة فجعلها حرما آمنا وامتن على أهلها بنعمه بحيث تأتيهم أرزاقهم من كل مكان كما قال على لسان نبيه ابراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية[2]. وفيها: الحكم بأن الله يهلك الأمم التي ينعم عليها فتكفر بنعمه كما قال عز وجل ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٢٦ .

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1]. وفيها: الحكم بأن الله لا يهلك أمة إلا إذا كانت ظالمة؛ لأنه عز وجل حرم على نفسه الظلم، وحرمه على عباده بقوله في الحديث القدسي: (**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**)[2].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي: إن ما تنالونه في الدنيا من المال أو الجاه أو الولد ما هو إلا متاع دنيوي سرعان ما يزول؛ أما الذي يبقى ولا يزول فهو العمل الصالح الذي يدخر لصاحبه في الآخرة فيتنعم به أبد الآبدين وهو معنى قوله عزوجل ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون في أمر الدنيا وزوالها فتعملون للآخرة ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ

---

(١) سورة النحل الآية ١١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧).

﴿وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا استفهام إنكاري مفاده هل يتساوى من كان مؤمنا صادقا في إيمانه مصدقا بوعد الله له بوعده الحسن وهو الجنة بمن كان كافرا مكذبا بلقاء الله؟ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب والجزاء فيجد أنه ليس له عمل صالح يشفع له عند الله فيكون مصيره العذاب والجواب أن هذا وذاك لا يتماثلان ولا يتساويان من قريب أو بعيد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عدم التساوي بين زينة الحياة الدنيا الفانية وبين خير الآخرة الباقية كما قال عز وجل ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[١]. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ: **(والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم رجع إليه)**[٣]. وفيهما: تقرير أن من آتاه الله عقلا وجب عليه أن يتدبر به لكي يفرق بين ما ينفعه وما يضره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا

---

(١) سورة الأعلى الآية ١٦ .

(٢) سورة الأعلى الآية ١٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٦٨، كتاب صفة الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٢٨٥٨) .

تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

لما بيَّن الله حال من تمتع في الحياة الدنيا وترك الآخرة وأحضر يوم القيامة للجزاء بيَّن أنه يوم القيامة ينادى المشركين والكفار نداء توبيخ وتقريع فيسألهم عز وجل عن الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وما إذا كانت تنفعهم في ذلك اليوم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ المراد بهم أئمة الكفر والضلال ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ﴾ أي: يقول أئمة الضلال إننا ضللنا أنفسنا وأضللنا غيرنا فاتبعونا طواعية منهم ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ونحن نتبرأ اليوم منهم، لأنهم لم يكونوا يعبدوننا ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي يقال للمشركين على وجه الاستهزاء بهم: ادعوا من كنتم تعبدونهم من دون الله

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي: نادوهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لأن من المستحيل عليهم أن يفعلوا ذلك ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أي: رأوا النار محيطة بهم، وأن مصيرهم إليها وتمنوا حينئذ أنهم كانوا من المهتدين في الدنيا حتى يسلموا من العذاب وأنَّى لهم ذلك.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: وفي ذلك اليوم يناديهم الله فيسألهم عما إذا أجابوا المرسلين الذين أرسلوا إليهم ليدلوهم على الحق وينهونهم عن الضلال، وحينئذ لا يستطيعون الجواب كما قال عز وجل ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عمي عليهم الجواب عن السؤال ولم يستطيعوا التساؤل بينهم حوله؛ لأنهم يعرفون أنهم قد كذبوا رسلهم واذوهم وكفروا بما جاؤوهم به من عند الله فلم يكن لهم حجة يقولونها.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: إن من تاب في الدنيا وآمن بالله وعمل عملا صالحا ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ أي: تكتب له النجاة من العذاب يوم القيامة وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده أنهم إذا تابوا من الشرك والكفر وأخلصوا عملهم لله عفا عن سيئاتهم كما قال عز وجل ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٣٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير أن أئمة الكفر والضلال يتبرؤون يوم القيامة من تابعيهم كما قال عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾ الآية [1]. وقوله ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾[2]. وفيها: تقرير أن المشركين والكفرة ينادون لإحضار من كانوا يعبدونهم، كما ينادون لسؤالهم عن إجابتهم للرسل الذين أرسلوا إليهم فلا يجدون أحدا يجيبهم ممن كانوا يعبدونه، ثم يجدون أنفسهم حيارى عن الجواب عما يسألوا عنه كما قال عز وجل ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا ﴾[3]. ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفًا ﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٢٢ .
(٢) سورة سبأ الآية ٣٢ .
(٣) سورة الكهف الآية ٥٢ .
(٤) سورة الكهف الآية ٥٣ .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه هو الذي يخلق الخلق بمشيئته وإرادته المطلقة، وأنه هو الذي يختار هذا الخلق، فاقتضى هذا أن كل الخلق مربوبون وأنهم محكومون بما وضعه لهم من الأحكام والشرائع. ومن هذه الأحكام أنه الإلَه الذي تجب له العبادة وحده، وأنه ليس للمخلوقين أن يختاروا خالقا يعبدونه غيره كما قال عز ذكره ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم حق الاختيار بين من يعبدونه، فإن اختاروا غيره لهذه العبادة حق عليهم العذاب، وليس لهم حجة في ذلك؛ لأنه أرسل لهم الرسل الذين بينوا لهم الأحكام وأولها وأعظمها عبادته وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه أو صفاته ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عن الشرك به ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وحقيقة تفرده بالخلق والاختيار والتدبير اقتضت حكما أنه الذي يعلم ما تكنه صدور خلقه وما يعلنونه

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد مستحق الحمد والشكر والتعظيم على ما تفضل به على خلقه من خلقهم وإرسال الرسل إليهم لهدايتهم لما فيه خيرهم ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي: هو الذي يقضي بالقضاء النافذ في كل ما يريد ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: إليه رجوع جميع الخلق يوم القيامة فيجازي كلا منهم بعمله .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه ليس للخلق الاختيار فيما يريدون أو يرغبون، بل الله هو الذي يخلقهم ويختار لهم ما يشاء من الحياة والموت والرزق والمرض والصحة. كما أنه ليس لهم الحق في اختيار ما يريدون من الشرائع والأحكام، بل الله هو الذي يختار لهم ما يشاء منها؛ لأنه أعرف بأحوالهم وما ينفعهم في دينهم ودنياهم وفي هذا قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾(١). وفيها: تقرير أن الحكم لله، فلا حاكم إلا هو، ولا مدبر إلا هو كما قال عز وجل ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

(٢) سورة يوسف من الآية ٤٠ .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هذا استفهام تقريري وبيان من الله عن فضله وامتنانه ونعمه على خلقه فأمر نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: إن ربكم لو جعل الليل دائما لكان في ذلك أعظم الضرر لكم، لأنكم لن تستطيعوا فيه الحركة لمعاشكم وأرزاقكم ولهذا قال عز ذكره ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ﴾ أي: من الذي يقدر أن يجعل لكم ضياء تبصرون فيه وتعملون وتعيشون ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: أفلا تسمعون هذه الحقيقة؛ لأن السمع في الليل أكثر استيعاباً ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وهذا أيضا أمر لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لهم كذلك أرأيتم لو جعل

الله عليكم النهار دائما لكان في ذلك أعظم الضرر لكم؛ لأنكم لن تستطيعوا أن تريحوا أبدانكم، ولسوف يكون في ذلك مشقة كبرى عليكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ هذه الآيات الدالة على عظمة الله وأشار إلى البصر؛ لأنه انفذ في النهار .

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: إن من لطف الله بكم أن جعل لكم الليل، لتهدأ فيه نفوسكم وأجسامكم وجعل لكم النهار تعملون فيه لمعاشكم وحياتكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على هذه النعم العظيمة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بعظمة الله وقدرته أن جعل الليل غير دائم حتى يكون ثمة ضياء يستطيع فيه الخلق الحركة التي لا تتم إلا مع البصر؛ لأنه لو جعل الليل دائماً لسئموا من ظلمته وعدم إبصارهم فيه، ولو جعل النهار دائماً لوجدوا في ذلك العنت والمشقة حيث تتعب أجسامهم وأسماعهم. وفيها: مناسبة ذكر السمع مع الليل؛ لأنه أبلغ في سماعه، لقلة الحركة فيه وذكر البصر مع النهار؛ لأنه أبلغ فيه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

هذا أيضا بيان من الله أنه ينادي المشركين يوم القيامة فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركاء لي ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ المراد إذا حضر هؤلاء المشركون أخذ من كل أمة رسولها، ليشهد عليها بما كانت تعمله في الدنيا فيقول الله لهم: هاتوا برهانكم على شرككم فهل أمرتكم به أو أمرتكم به رسلي أم أمرتكم به الكتب التي أنزلت إليكم وتليت عليكم؟ وحينئذ لا يجدون جوابا فيدركون أن الهوى هو الذي أضلهم، وأنه ليس لهم فيما فعلوا حجة أو برهان فعلموا في ذلك الموقف العظيم أن الحق لله وأنه لا إلَه غيره وأن عبادتهم لغيره ضلال مبين قوله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: تولى عنهم من كانوا يشركونهم مع الله فباؤوا بالخسران.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير مساءلة المشركين ومن في حكمهم من الكفرة؛ لكي تقوم الحجة عليهم فيعترفوا أن عملهم كان ضلالا، وأن الله لن يظلمهم بما سيعاقبهم به. وفيهما: أن المشركين ومن في حكمهم لا يستطيعون الكذب كما كانوا يفعلون في الدنيا، وذلك لأن رسلهم

يشهدون عليهم كما تشهد عليهم أنفسهم كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ قارون من بني إسرائيل ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر واستعلى عليهم بما أعطاه الله من المال كما قال عز وجل ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي: آتاه الله من الأموال التي بلغت من الكثرة أنها صار حمل مفاتح خزائنها يثقل على عدد من أصحاب القوة ﴿إِذْ

---

(١) سورة النور الآية ٢٤ .

قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ ﴾ أي قال الناصحون له من قومه وخاصته: لا تفرح بهذا المال الذي أعطاك الله وتتكبر وتستعلي به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ الذين يفرحون بالمال ويبطرون به ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: اجعل ما وهبك الله من الأموال في عمل الخير بما يرضي الله ويقربك إليه يوم القيامة، ولا تنس منافعك الدنيوية من المآكل والمشارب والملابس الطيبة ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ أي: وكما أحسن الله إليك بمنحك هذه الأموال العظيمة أحْسِن إلى الفقراء والمساكين والمحاويج ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ولا يكون المال الذي لديك سببا في إفسادك في الأرض والتكبر على خلق الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أي: يمقتهم ويبغضهم ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ لما سمع قارون نصيحة خاصته قال لهم: إن هذا المال الذي أوتيته قد ملكته بجهدي ومعرفتي ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ هذا استنكار لما قاله والمراد: ألم يعلم هذا الكاذب أن الله قد أهلك قبله العديد من الأمم كقوم هود وقوم صالح الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر عددا وعدة ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: إذا أكثر هؤلاء الذنوب وعتوا وطغوا وصارت كل أعمالهم سيئات حاق بهم العذاب بغتة دون أن يسألوا عن أعمالهم؛ لأن الله قد علمها منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن كثرة الأموال قد تطغي أصحابها وتعمي بصائرهم فيكفرون بالله كما قال عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[١]. ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٢]. وفيها: تقرير وجوب توجيه المال وإنفاقه في طرق الخير التي تقرب العبد إلى الله مع الاستعانة به في أمور الدنيا المباحة من المأكل والمشرب والملبس في غير خيلاء ولا سرف. وفيها: وجوب النصح للطغاة بالمال وغيره؛ لأن تركهم على طغيانهم يؤدي إلى فساد الأرض فيحق على أهلها العذاب. وفيها: تحريم المال إذا أدى إلى الفساد في الأرض. وفيها: الحكم أنه لا أحد يستطيع الحصول على المال إلا إذا كان الله قد يسَّره له وهو في كل الأحوال امتحان لصاحبه ليشكر أم يكفر.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ

---

(١) سورة العلق الآية ٦.

(٢) سورة العلق الآية ٧.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ يبين الله تعالى أن قارون خرج ذات يوم في زينة له من الملبس والمركب ونحوه مفتخرا بما لديه من الأموال والجاه والقوة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الذين تعجبهم الدنيا ويحبونها ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ أي: تمنوا أن يكون لهم مثل الذي لقارون من المال والجاه ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: له حظ ونصيب كبير ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: من آتاهم الله علما وبصيرة يدركون بها أن المال ليس غاية للمؤمنين ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي: تبا لكم ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: إن فضل الله وثوابه الذي يدخره لعباده الصالحين في الآخرة خير من زخارف المال الذي ترونه عند قارون ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ أي: لا يلقى نعيم الجنة إلا الذين صبروا على طاعة الله، وعن ارتكاب محارمه، وما أرشدهم إليه وهذا يشهد له قول الله جل ذكره ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

(١) سورة طه الآية ١٣١ .

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الإشارة إلى أن الأغنياء أو بعضهم غالبا ما يستبد بهم طغيان المال فيسرفون في حياتهم، ويبطرون في سلوكهم وتصرفاتهم. وفيها: أن من الناس من تعجبه الحياة الدنيا وزينتها فيتمنى أن يكون له مال مثل الأغنياء ليقلدهم ويصنع صنيعهم. وفيها: أن من العباد من يهتم بالآخرة ويرى أن العمل الصالح الذي يجد أجره عند الله خير من الدنيا وزخارفها. وفيها: الحكم بأن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا على طاعة الله، وعصموا أنفسهم عن محارمه، وإن كتب الله لهم نصيبا من الدنيا لم ينسوا الآخرة، وكانت أمورهم في غاية الصلاح وإن لم يكتب لهم نصيبا من الدنيا صبروا وشكروا الله في كل حال.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: انشقت الأرض به وبداره فأصبح في سفلها ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

أي: لم يشفع له ماله ولا زينته ولا أعوانه وأنصاره ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي: ولم يستطع هو نصر نفسه ومنع ما حدث له من الخسف والهلاك ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ المراد بهم الذين تمنوا أن يكون لهم من الأموال مثل ما عنده وأن تكون حظوظهم مثل حظه ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ المراد نعجب ونعلم أن الله يوسع الرزق ويضيقه على من يشاء من عباده، وأن ذلك كله بقدره وحكمته وهذا على أن (وي) للتعجب وقيل: إنها بمعنى (ويلك) (اعلم أن) فخفف فقيل: (ويك).

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي: لولا رحمة الله لخسف بنا مثل ما خسف بقارون ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: ونعجب ونعلم أن الكافرين لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الهلاك عاقبة البطر بالنعمة والاستعلاء بها وجحود فضل المنعم بها. وفيهما: أن الطغاة لا يجدون أحدا ينصرهم عند محنتهم ولا يستطيعون لأنفسهم نصرا. وفيهما: الحكم بأن الباسط للرزق والقابض له هو الله وحده وأن أحدا من العباد لا يستطيع أن يزيد فيه أو ينقص.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما آل إليه قارون من الهلاك؛ بسبب بطره وعلوه بيَّن عز ذكره أنه أعد الجنة لعباده المتقين المتواضعين الخاضعين لعظمته وجلاله، فلا يستعلون في الأرض ولا يتكبرون على عباد الله ولا يبتغون في الأرض فسادا، بل دأبهم الصلاح والتقوى والخشوع لعظمة الله ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن للمتقين العاقبة الحسنة في الدنيا بما يكون لهم فيها من العزة والتمكين وفي الآخرة بما يكون لهم فيها من نعيم الجنة.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ﴾ أي: من جاء بالحسنة يوم القيامة فله أعظم منها وهو مضاعفتها إلى عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزى إلا مثلها وهذا من رحمة الله بعباده أنه يضاعف لهم الحسنات ولا يضاعف لهم السيئات.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله حرم الكبر بكل أنواعه كما قال عزوجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[١]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[٢]. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**)[٣]. وينبغي التفريق بين الكبر بمعنى الاستعلاء على الناس وبين الظهور بالمظهر الحسن لما ثبت أن رجلا قال: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: (**إن الله جميل يحب الجمال**)[٤]. وفي هاتين الآيتين أيضا تقرير فضل الله على عباده بمضاعفته حسناتهم وعدم مضاعفة سيئاتهم. وفيهما: الحكم بأن العاقبة الحسنى لعباد الله المتقين في الدنيا بما يكون لهم فيها من العزة والتمكين، وفي الآخرة بما يكون لهم فيها من النعيم المقيم.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٧٧، كتاب صفة الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: إن الله الذي أنزل عليك -يامحمد- القرآن لتبلغه وتبينه للناس سيردك إليه يوم القيامة، وسوف يسألك عما عملته وهو أعلم به. وقد يكون المراد بقوله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ أي: إلى مكة التي أخرجت منها فيعيدك الله إليها فاتحا منتصرا[1]. ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قل يا محمد لمن عصاك من المشركين وأنت تبلغ القرآن وتبينه له إن ربي هو أعلم بالمهتدي مني ومنكم ومن هو ضال عن الحق متبع لهواه ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: لم تكن متنظرا نزول القرآن إليك ولكن رحمة الله بك وبخلقه أنزله إليك؛ ليكون سعادة لكم في الدنيا والآخرة إذا عملتم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٢١ .

به ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تكن معينا ولا ناصرا لهم بل كن عدوا لهم إلى أن يسلموا ويتبعوك.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تتأثر بما يضعونه أمامك من العقبات ليصدوا عباد الله عن سبيله بل استقم كما أمرت واعلم أن الله معينك وناصرك ومظهرك عليهم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع إلى توحيد ربك وطاعته وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين حبطت أعمالهم وباؤوا بالخسران ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: اجعل عبادتك وعملك خالصا لله لا تشوبه شائبة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله في الوجود المستحق للعبادة إلا هو وأن كل ما عداه باطل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: كل شيء يفنى ويزول إلا وجهه الكريم ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: هو الحاكم المالك المدبر المتصرف في خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: ترجعون إليه يوم القيامة كما خلقكم أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

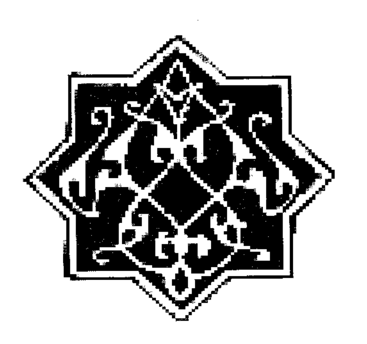
في هذه الآيات: الحكم بأن الله سوف يسأل الرسل عن أعمالهم كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[1]. وقال عز ذكره ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٠٩.

(٢) سورة الأعراف الآية ٦.

وفيها: الحكم بتحريم معاونة الكفار على المؤمنين وفيها: وجوب الإعراض عن أقوال المشركين ومجادلتهم الباطلة وصدهم عن سبيل الله. وفيها: وجوب القيام بالدعوة إلى الله مع الإخلاص في العبادة له وحده لا شريك له. وفيها: الحكم بأن كل شيء في الوجود يزول إلا الله، فهو الحي الباقي الذي لا يحول ولا يزول ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].



(١) سورة الحديد الآية ٣ .

فهرس المجلد السادس

مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣